



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية/ الأدب

صراع الهُويّات

في الشعر العراقي المعاصر التّفعيلة اختياراً
(٢٠٠٣ _ ٢٠١٥)

رسالة تقدّم بها الطالب

أحمد جميل عبد الصفرائي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية _ جامعة المثنى
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور

محمد فليح الجبوري

٢٠١٨م

١٤٣٩هـ



(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ
وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ)

صدق الله العلي العظيم

توصية المشرف

أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ :

(تمثّلات الهوية في شعر التفعيلة العراقي ٢٠٠٣_٢٠١٥) ، للطالب (أحمد جميل عبد محمد الصفراني) ، جرى تحت إشرافي في قسم اللغة العربية _ كلية التربية للعلوم الإنسانية _ جامعة المثنى ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها .

التوقيع

المشرف : محمد فليح حسن الجبوري

المرتبة العلمية / استاذ

التاريخ / / ٢٠١٨

توصية رئاسة القسم

بناءً على التوصيات المتوافرة ، أرشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع

رئيس القسم : أحمد حسين عبد السادة

المرتبة العلمية/ استاذ مساعد

التاريخ / / ٢٠١٨



الإهداء

إلى اخر أنبيائي ..

هي لك

حباً

وتاهت بمقلتيك سفنُ الكلام أبي النبيل

إلى

هُويّتي

وانشيلات المعاني

كلما أراك

أشعرُ بولادةِ قصيدةٍ جديدةٍ

يا كل ألحاني أمي العذبة

إلى تمتمة بلابل حياتي

أخوتي .. أخواتي .. زوجتي.....أحبُّكم

إلى زنبقة الروح

ولدي محمد

إليهم وهم أحياءٌ بجوارِ ربِّهم

شهداء العراق جميعاً



المحتويات

❖ المقدمة (أ - ج)

❖ التمهيد

في مصطلح الهوية (٢ - ١٦)

❖ الفصل الأول

الهويات الكبرى (١٧ - ٦١)

المبحث الأول

تشظي الهوية الوطنية (١٩ - ٣١)

المبحث الثاني

تطرف الهوية الدينية (٣٣ - ٤٤)

المبحث الثالث

تلاشي الهوية القومية (٤٦ - ٦١)

❖ الفصل الثاني

الهويات الصغرى (٦٢ - ١٠٢)

المبحث الأول

صعود الهوية الطائفية (٦٤ - ٧٧)

المبحث الثاني

استلاب الهوية المكانية (٧٩ - ٩٠)

المبحث الثالث

حضور الهوية الإيديولوجية.....(٩٢_١٠٢)

❖ الفصل الثالث

اقانيم التشكل الفني (١٠٣_١٤٦)

المبحث الأول

الهوية والرمز.....(١٠٥_١١٦)

المبحث الثاني

الهوية والصورة الشعرية.....(١١٨_١٣٠)

المبحث الثالث

الهوية و التناص.....(١٣٢_١٤٦)

❖ الخاتمة.....(١٤٨_١٥٠)

❖ المصادر والمراجع.....(١٥٢_١٦٦)

ملخص انكليزي.....(a_c)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الفاشي في الخلق أمره وحمده الظاهر بالكرم مجده الباسط بالجود يده الذي لا تنقص خزائنه ولا تزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً، ورحيق الصلاة وكثير السلام على حبيب ربه وقوده خلقه أبي القاسم محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً، وبعد.

الاحتفاء بالكتابة الإبداعية التي تؤرخ وجع الانسان وانكساراته أمرٌ يغري الدراسة لتتبع هذه الكتابة نقداً و تحليلاً بوصفها تملك قدرة كبيرة على محاكاة الحياة الإنسانية والتماهي معها، هذا الاحتفاء جاء؛ لاقتناص ما ينغص عيش الإنسان بكل تجلياته، ولعل موضوعة الهوية من أخطر الموضوعات التي تلامس الوجود الإنساني متخذةً من الشعر مساحة لبروزها؛ لقابلية هذا الجنس الأدبي على احتواء قضايا دولة الانسان المصيرية، فالوعي بإشكالية الهوية أصبح يشكل ظاهرة بارزة في الأفق الشعري العراقي.

ومن ثم فما يثير القارئ هو دواعي اختيار (صراع الهويات في الشعر العراقي المعاصر التفعيلة اختياراً ٢٠٠٣-٢٠١٥) عنواناً لهذه الدراسة، هذه الدواعي في حقيقتها متعددة لكنها تنكئ على استفهامين سيئاران هما: لِمَ كانت الهوية عنواناً؟ ولم كان المتن شعرياً؟ فالإجابة تنطلق من حادثة اشتغال حقل الهوية في الدراسات الأدبية بصورة عامة وندرتها في الساحة الشعرية، مما يتيح لهذه الدراسة أن تكون في واجهة الدراسات التي اتخذت الهوية عنواناً لها بوصف دراستنا تضاف إلى دراستين سنذكرهما، فضلاً عن ضرورة مناقشة حوار الهويات المفضي إلى الصراع والاقتتال الذي نعيشه نتيجة صعود الهويات الهامشية في المجتمع العراقي، هذا المجتمع الذي جعل من موضوعة الهوية حديثاً يومياً في حياته؛ لأنها أخطر ما يهدد وجود الانسان العراقي في وقتنا، أما متن الدراسة فكان شعرياً لقدرة الشعر على اكتناز مفاهيم الهوية وسبر أعماق الانتماءات الانسانية بطريقة إيحائية تختلف عن المتن الروائي؛ لاختلاف زوايا النظر الأدبية للتعبير عن واقع الحياة في عراق ما بعد ٢٠٠٣؛ لخصوصية وأهمية هذا التحول في تأريخ العراق، ولأهمية هذه المرحلة الزمنية حيث التحرر من القيود السلطوية والوقوع في فخ قيود الصراع الهوياتي هو من تسيد هذه المرحلة.

اعتمدت الدراسة آليةً لاختيار النصوص الشعرية تجنباً للوقوع في بهرجة الشهرة لبعض الاسماء من الشعراء، هذه الآلية تُعنى بخصوصية المتن الشعري المختار شريطة أن تكون السمة البارزة فيه هي تجلي مفاهيم الهوية وإشكالياتها أي أن النص الشعري هو من يفرض نفسه على الدراسة وليس هناك تأثيرات أخرى، وحتماً أن هذه النصوص قد حُددت في المجاميع الشعرية والدواوين المطبوعة ضمن تأريخ الدراسة فقط.

أما الدراسات الأكاديمية السابقة فلم أجد غير دراسة الباحث عمر السراي وهو رسالة ماجستير نُوقشت في جامعة المستنصرية/كلية التربية بعنوان (الهوية والشعر دراسة في تجربة ألفريد سمعان) وقد طُبعت كتاباً، والدراسة الأخرى وهي أطروحة دكتوراه للباحث رائد الكعبي بعنوان (الهوية في الشعر التسعيني) جامعة بابل/ كلية التربية، وهذه الأخيرة تختلف كثيراً عن رسالتنا زمنياً وآلية اشتغال فضلاً عن اختلاف المتن المدروس، أما الأفق الروائي فقد أطلعت على دراسة الباحثة غصون عزيز ناصر بعنوان (الهوية في روايات علي بدر بعد ٢٠٠٣، دراسة في ضوء النقد الثقافي) وهي أطروحة دكتوراه/ جامعة البصرة/كلية الآداب، و دراسة الباحث عماد جاسم وهي رسالة ماجستير بعنوان (تمثل الهويات الفرعية في الرواية العراقية ٢٠٠٣-٢٠١٤، الهوية المسيحية أنموذجاً) الجامعة العراقية/ كلية الآداب، ودراسة شيماء جبار علي بعنوان (إشكالية الهوية في الرواية العراقية ١٩٩٠-٢٠١١، دراسة سوسيو ثقافية) جامعة بغداد/كلية التربية للبنات، وإشكالية الهوية العربية في الرواية (٢٠١٣-٢٠٠١)، أطروحة دكتوراه، للباحث محمد جري جاسم، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية .

أما المعوقات فهي كثيرة ولعل أهمها هي صعوبة الحصول على المجاميع الشعرية لأنها سرعان ما تنتفد من المكتبات أو توزع هدايا، بيد أنني لا يمكنني تجاهل الشعور بكثافة التوفيق الإلهي لإنجاز العمل، هذا التوفيق جعلني أعرض عن ذكر بقية المعوقات والمشاكل، فله الحمد على توفيق.

طبيعة الموضوع تكفلت في إرساء البحث على تمهيد وثلاثة فصول تليها أهم النتائج، يُعني التمهيدُ برصد مفهوم الهوية في المساحة اللغوية والاصطلاحية، ثم تطرق إلى نوعي الهوية وصولاً إلى مقارنة الهوية في الحقول المعرفية الأخرى، إذ حاولنا توضيح المفهوم الفلسفي والنفسي والاجتماعي والثقافي للهوية، يليه ربط الهوية باللغة، أما الفصول فقد ظهرت بفعل محاورة النصوص عبر الممارسة النقدية، فأولها جاء بعنوان (تمثلات الهويات الكبرى في شعر التفعيلة العراقي) وبدوره قُسم على ثلاثة مباحث: الهوية الوطنية، الهوية الدينية، الهوية القومية، هذه الهويات ما هي إلا رؤية النص الشعري لواقع كل هوية في المجتمع وتأثيراتها عليه، فتشظي الهوية الوطنية وتطرف الهوية الدينية وتآكل الهوية القومية أبرز ما ظهر في هذا الفصل، في حين جاء الفصل الثاني بعنوان (تمثلات الهويات الهامشية في شعر التفعيلة العراقي) فقد تضمن ثلاثة مباحث: الهوية الطائفية، والهوية المكانية و الهوية الايديولوجية؛ للتعرف على تمثلات هذه الهويات، إذ إن تسامي الهوية الطائفية أدى إلى نزيف الأرواح والنظر إلى الحياة برؤية أيديولوجية تنصف بالإشراق بعيداً عن عتمة التدين الزائف تكفل في إظهار الهوية الايديولوجية، والتجذر والانتماء المكاني في الوعي واللاوعي في مواجهة الاستئصال الهوياتي، هذه أهم مدارات حوار النصوص الشعرية في هذا الفصل، ثم يأتي الفصل الثالث بعنوان (جماليات الاداء الفني) لفحص مدى تأثير الجمالية في إظهار مفاهيم الهوية للقارئ؛ بوصف النص ومنتجه وقارئه يتنفسون من ذات المحيط الثقافي، وقد أنقسم الفصل على ثلاثة مباحث هي: الرمز والهوية، والصورة والهوية، والتناص

والهوية، وفي هذا الفصل لم نتطرق إلى دراسة الإيقاع؛ لأنه أقل تأثيراً على المتلقي مقارنة مع المباحث الثلاثة التي درسناها، ثم خُتِمت الرسالة بأبرز النتائج تليها قائمة المصادر والمراجع.

إن أدوات المنهج الاستقرائي لم تمنع الدراسة من الإفادة من مناهج أخرى تتناغم مع طبيعة الموضوع، وهذا ديدن الدراسات الحديثة التي تنكئ على النقد الثقافي؛ لأنها توظف ما تراه يرفدها في تحليل المتن المدروس.

وقبل الختام فإن من كمال الخلق تقديم الشكر لمن له الفضل بعد الله تعالى إلى أستاذي المشرف، فقد خصني بحرصه الشديد على متابعتي وتوجيهي وإرشادي، جلساتي معه كانت خصبةً تتوهج أسئلة وتنتور آراءً في مضامين ما يُكتب فله الشكر الجميل .

وأخيراً لا أزعم أنني بلغت كنه الأشياء ولم أقل الكلمة الأخيرة في موضوع الهوية ولا أدعي أن هذا العمل بريء من العيوب والمآخذ فليس هناك كمال في الموجودات، لكنني لم أدخر جهداً في تنقيحه وتنقيفه، فإن وُفقت فمن عند الله تعالى، وإن خرجت عن جادة التوفيق فمن نفسي، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث



التمهيد

في مصطلح الهوية

مدخل

إنَّ العيش في زمن الحداثة وما بعدها يتطلب بُعداً إنسانياً آخر؛ ليلتقي الإنسان مع أخيه الإنسان ، ولا يتحول الى ذنبه الذي يفتكُّ به ، وبحكم تنازع البقاء واستمرار الحياة تسمح له الهوية بقهر نظائره في الإنسانية ، فهل يمكن في ظلّ الديمقراطية والعولمة والمواطنة أنْ يعيش الإنسان مع الآخر المختلف في انتماءٍ فقهي أو ايدولوجي أو قومي أو غيره من الانتماءات ؟ هذا ما سيُنَاقش في هذا البحث من نافذة مسائلة النصوص الشعرية ، فمن أوجاع دولة الإنسان إشكالية الهوية ، ولعل الدرس الذي يتناول البوتقة الفكرية للذات الإنسانية في مجتمع كالمجتمع العراقي يشكو من التباسات كثيرة : سياسية، و اجتماعية ، و دينية ، وقومية يتطلب منا معرفة الذات ثم معرفة الآخر وإعادة طرح سؤال الهوية للتوصل الى آليات مفترضة للتعايش بعيداً عن الاقصاء والتهميش الهوياتي.

فالفرد يعيش في عالم متغير - لا مُشاحة في ذلك- وفي ظل فضاءات العولمة التي باتت تؤثر على رؤى وأيدولوجيات وثوابت تعد من مكونات ومقومات الهوية (اللغة والدين والتأريخ) ، وهي مهيمنة على الذات ، فعند تعرض أي جانب من هذه المقومات للخطر الخارجي أو الداخلي تنشطر الهوية وتتعدد الانتماءات ، ف((الهويات هي منتج ثقافي يحضر اليوم بقوة كإحدى سمات مرحلة ما بعد الحداثة وهي ردة فعل على اخفاقات وعود الحداثة التي كانت تعدُّ... بالحرية والاعتناق الذاتي والجمعي، ولكنها وعود تبخرت مع نيران الحروب العرقية والدينية))^(١) هذا لا يعني أنَّ الحداثة وما بعد الحداثة قد خلقت هذه الهويات ، بل هي موجودة منذ اليوم الأول للخلقة ولكنها تنشطر وتفتت حسب حالات من الفعل وردود الفعل^(٢) وللوصول الى فهم أكثر نجاعة وجب تبيان أنَّ البحث في الهوية بحث مزدوج إنَّه بحثٌ في وعن الهوية ف((البحث في الهوية بحث معرفي ، أما البحث عن الهوية فهو بحث أيدولوجي غالباً ، فالبحث في الهوية بحث صَنع لهذه الهوية ومتابعة لصنيعها باستمرار ، أما البحث عنها فيعني ان الهوية منجزة ولكنها ضائعة يجب البحث عنها لاستردادها))^(٣). غير أنَّ سجية الموضوع تجعلنا نتردد بتخوف في المنطقة التي نريد الانطلاق منها ف ((بداية الكتابة عن الهوية تمثل مشكلة قصوى على اعتبار أنَّ البداية هي الهاجس المؤرق لكل كتابة خصوصاً حين يتعلق الأمر بكتابة موضوع لا يمكن أن نسمة بالحياد او البراءة؛ لأنَّ الحديث عن الهوية يتورط دوماً في إشكالية معينة مرتبطة بالمكان والزمان والمعطيات العامة التي ينطلق منها الحدث))^(٤) ، وهذا لا يعفي البحث من تتبع المفهوم والخوض في تنظيراته التي تُعبد

(١) القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة ، عبدالله الغدامي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٩ م ، ٦٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ، ٦٤.

(٣) نحن والآخر دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر ، محمد راتب الحلاق ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٧ ، ٥٣.

(٤) مدارات المنفتح والمنغلق في التشكيلات الدلالية والتاريخية لمفهوم الهوية ، اراق سعيد ، مجلة عالم الفكر، مج ٣٦ ، ٤٤ ، ٢٠٠٨ ، ٢١٥.

الطريق لفهم واحتواء التواشج الهوياتي مع العلوم الاخرى فستحدث في هذا المقام في الشطر الاول من الطرح السابق (البحث في الهوية)؛ لتوضيح أطر اشتغال هذا المفهوم مع بقية المفاهيم المعرفية ، والفكرية إذ تتقاطع فيه كثير من التخصصات والعلوم . لأنه يتسم بالزئبقية . كعلم النفس والاجتماع والفلسفة والأدب والسياسة وغيرها فالهوية ليست إلا اجتماع وتقاطع طرق هذه الانشغالات والمباحث بشكل يتعذر الفصل بينها فطبيعة المفهوم الفضفاضة والعائمة تمكنه من الارتحال بيسر ومرونة من سجل إلى آخر ؛ ولهذا تنبسط مباحث الهوية في كل الاتجاهات وتقع في مفترق طرق عدة^(١) متباينة في اشتغالاتها.

الهوية في اللغة والاصطلاح :

الأصل اللغوي للهوية يعني: ((بئر بعيدة المهواة وقيل الهوة الحفرة البعيدة القعر وهي المهواة))^(٢) وهذا يبدو بعيدا عما سنوضحه ، فليست هناك علاقة له مع دلالة المفهوم الحديث المتماهي مع معارف شتى، فالهوية ((لئن صُنفت عادةً بوصفها ظاهرة تاريخية او ثقافية أو انثروبولوجية...فهي في اصلها مسألة فلسفية قديمة))^(٣)، فالهوية من المصطلحات التي تدخل في صلب التفكير الفلسفي^(٤) ، فمنذ تبرعم الفكر الفلسفي الغربي ارتبط مفهوم الهوية بأمر ومجالات مختلفة ؛ ولذا ((يوصف بالمفهوم الغامض ومتعدد الأوجه ولا يسبر غوره))^(٥) إلا إنه يمكن مناقشة موقفين فلسفيين: الأول طُرح في قصيدة لبارمنديس التي كتبها في القرن الخامس قبل الميلاد ويسمى بالجوهرياني ويعني: أن هوية الكائنات هي ما تبقى ثابتة من دون تغيير على الرغم من التغييرات التي تحصل للحياة^(٦) أما الموقف الثاني فهو قبل بارمنديس بنحو قرن وهو ينسب إلى هيراقليطس إذ يقول : لا يمكن للمرء أن يسبح مرتين في النهر نفسه ، ويقول : كل شيء في سيلان دائم^(٧) وهذا يعني إن الأشياء في حالة دينامية وتغير مستمر ، ويذهب فلاطون إلى أن القولين ((رمز لكل ما هو موجود بوجه عام ومعناه : كل شيء يتحرك ولا شيء في سكون))^(٨) ، ومن هذه الرؤية الفلسفية تولد فكرة ؛ إن الهوية : هي الاختلاف من جهة والانتماء المشترك من جهة أخرى ، وهاتان العمليتان أساس مفارقة الهوية على وفق هذا المنظور لا توجد هوية

(٢) ينظر: الدين والهوية بين ضيق الانتماء وسعة الابداع، مصطفى بن تمسك ، مؤمنون بلا حدود للدراسات والابحاث، سلسلة ملفات بحثية ، ٢٠١٦ ، ١٣.

(٣) لسان العرب ، ابن منظور، دار صادر، بيروت، مادة (هـ.و.)

(٤) الهوية والزمان (تأويلات فينومينولوجية لمسألة النحن)، فتحي الميسكي، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١ ، ٦.

(٥) ينظر: التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل ، عادل عبدالله ، دار الحصاد ، دمشق ، ط ، ٢٠٠٠ م ، ٦٧.

(٦) من نحن التحديات التي تواجه الهوية الامريكية ، صاموئيل هنتنغتون ، تر: حسام الدين خضور ، دار الراي ، دمشق ، ٢٠٠٥ ، ٣٧.

(٧) ينظر: أزمة الهويات ، كلود دوبار ، تر: رنده بعث ، المكتبة الشرقية ، ط١ ، ٢٠٠٨ ، ١٦.

(٨) ينظر: موسوعة الفلسفة ، عبدالرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١ ، ١٩٨٤ ، ج١ ، ٥٣٤.

(٨) المصدر نفسه ، ٥٣٤.

دون غيرية (١) ، إذ ((إن الفرق والاختلاف هو أساس الهوية وقوامها ... وكأن الآخر فرداً كان أو جماعة هو المرآة التي تستشعر فيها الذات الفردية أو الجماعية نفسها وهويتها شعوراً واعياً)) (٢) ، فالهوية موضوع فلسفي بحث عالجته المثاليون ميتافيزيقياً ، وحولوه الى قانون الهوية والوجوديون تناولوه نفسياً منعاً لانقسام الذات على نفسها (٣) ، كما إن التراكم المعرفي والثقافي قد أفرز لنا مبدأ الهوية في الفكر الغربي الذي يعني تطابق الشيء مع ذاته ، وقد تم التعبير عنها (الهوية) بالصيغة الرياضية أ = أ (٤) ، وينجم عن هذا المبدأ الفلسفي بروز الهوية بطابع الوحدة (٥) ، بيد إن الفلسفة المثالية النظرية التي التي مهد لها (لايبنتز و كانت) وأعدّها وعمل على نشرها (فيخته و شلنج و هيغل) هي الفلسفة الوحيدة التي أعطت دوراً لكيثونة الهوية والتي يستند إليها هايدجر؛ لتحديد مفهوم الهوية ، فالمعادلة (أ) هي (أ) لا تعطينا سوى هوية مجردة ، ولا تخبرنا عن شيء يتعلق بها ، ويمكن أن نستعلم هذه المتعلقات بالهوية إذا أصغينا إلى مبدأ الهوية كي نفهم إن الـ(هو) يكشف عن مبدأ كينونة الهوية أي كل ما هو موجود هو نفسه مع نفسه ، فمبدأ الهوية قائم على كينونة الكائن ، فكل كائن الحق في الهوية أي الوحدة مع ذاته (٦) ، فديكارت قد عمل على تحويل مفهوم الهوية من دلالاته المرتبطة بالوجود في إطار (الشيء المفكر) إلى (أنا المفكر) ، أو الكوجيطو، بيد أن مراجعة ما جاء به ديكارت على يد ريكو و هايدجر اللذين توصلا إلى إنه لا يمكن إرجاع الهوية إلى الكوجيطو، و إنَّ هذا الانزياح الطريف عن المعنى الأنطولوجي للهوية الدال على معنى الوجود كما استعمله الفارابي إلى المعنى الالبيستمولوجي الحديث لأننا أو الذات بوصفها مصدراً لمعنى الوجود منذ ديكارت إلى كانت يمثل واقعة فلسفية ، فقد تحولت الهوية من مستوى اللغة الفلسفية إلى الهوية التي تشير إلى (نحن) في مستوى الأنثروبولوجيا والثقافة في ضوء النقد المابعد حدثي ، جُل ما حدث هو حدوث تحول من (هو) (النحوي إلى (هو) المنطقي إلى (هو) الأنطولوجي إلى (هوية) انثروبولوجية وثقافية في نظام الخطاب السوسيولوجي (٧) ، ولا يخلو التطور الفلسفي للهوية من دور للفلاسفة العرب فقد استعملوا لفظة (هوية) من الضمير (هو) بوصفه مقابلاً للفظ (إستين) اليونانية الدالة على فعل الكينونة ، ثم عدلوا عنها، ووضعوا كلمة (الموجود) مكان الـ(هو) والوجود مكان الـ(هوية) ، ومع ذلك فقط فرضت كلمة الهوية كمصطلح فلسفي يستدل به على كون الشيء

(١) ينظر: أزمة الهويات ، ١٨ ، ١٩ .

(٢) مدارات الحداثة ، محمد سبيلا ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩ ، ١٥٨ .

(٣) ينظر: الهوية ، حسن حنفي ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط١ ، ٢٠١٢ ، ٩ .

(٤) ينظر: الفلسفة الهوية والذات ، مارتن هايدجر ، تر: محمد مزيان ، منشورات الصفاف ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٥ ، ٢٩ .

(٥) يُنظر: هايدجر ضد هيغل (التراث والاختلاف) عبد السلام بن عبد العالي ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٦ ، ٨٤ .

(٦) ينظر: التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل ، ٦٩ ، ٧٠ .

(٧) ينظر: الهوية والزمان ، ٦ ، ٨ .

هو نفسه ^(١) ثم إن ((إنزلاق العرب المعاصرين في استعمال لفظة هوية من معناه الأنطولوجي لدى الكندي أو الفارابي أو ابن سينا و ابن رشد إلى دلالتها الأنثروبولوجيا والثقافية الراهنة هو ليس خطأ اصطلاحياً أو استعمالاً اعتباطياً، بل هو يستجيب إلى نفس الداعي الخفي الذي دعا المترجمين العرب الأوائل إلى اعتماد ضمير (هو) لمقابلة (إستين) وهو انزياح لم يكن صدفة قط بل يستجيب لفهم سابق على الأنطولوجي ثاو في بنية اللغة العربية رب فهم يجد اليوم برنامج (هرمونطيقيا الهو) التي اشتغل عليها هايدجر وريكو توكيداً طريفاً)) ^(٢) فالمتتبع لدور الفلاسفة العرب يجده لم يقتصر على النحت اللغوي لمفهوم الهوية فحسب، بل إن المفردة تجلت اصطلاحياً عندهم فقد عرفها الجرجاني بأنها ((الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق)) ^(٣) أما عند صاحب الكليات فهي تطلق على ((معانٍ ثلاثة : التشخص والشخص نفسه والوجود الخارجي قال بعضهم : ما به الشيء هو هو باعتبار تحقيقه يسمى حقيقة ذاتاً ، وباعتبار تشخيصه يسمى هوية ، وأخذ أعم من هذا الاعتبار يسمى ما هية وقد يسمى ما به الشيء هو هو ما هية إذا كان كلياً كماهية الإنسان وهوية إذا كان جزئياً كحقيقة زيد وحقيقة إذا لم يعتبر كليته وجزئيته ، فالهويتان متلازمتان صدقاً والماهية بالاعتبار الثاني أخص من الأول ، والحقيقة بالعكس ، فقال بعضهم : الأمر المتعلق من حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة ، ومن حيث امتيازها عن الأغيار يسمى هوية ، ومن حيث حمل اللوازم عليه يسمى ذاتاً)) ^(٤) ، وهنا تتضح الاشياء.

إن الطرح السابق يثير إشكالية مفادها هل الهوية هي ماهية أو هناك فرق بينهما؟ هذا الإشكال المعرفي جعل بعض الباحثين يفرق بين الهوية والماهية بإعتبار الهوية هي العينية والتشخص وما فوق ذلك إن كان كلياً فيعد ماهية ، ويذهب بعضهم إلى المساواة بين الهوية والماهية مثل جون جوزيف في معرض دراسته للغة ((إن هويتك ، هي بكل بساطة ماهيتك ، وإذا سألك شخص ما : من أنت ؟ فسينتظر منك أن تذكر أسمك رداً على سؤاله)) ^(٥) وهذا يعني إن الهوية هي الوجود والماهية والحقيقة والذات ، غير أن إختلاف مرجعيات الباحثين أدت إلى انقسامهم على فرق عدة ، إذ يرى فريق أن الثبات

(٢) ينظر: كتاب الحروف ، الفارابي ، دار المشرق ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٠ ، ١١٥ ، ١١٦ ، وينظر: الهوية والسرد ، حاتم الورفلي ، دار التنوير ، ٢٠٠٩ ، ٢٣ .

(٢) الهوية والزمان ، ١١ .

(٣) معجم التعريفات ، تح محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ٢١٦ .

(٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء الكفوي ، ١٠٩٤ هـ ، تح، عدنان درويش و محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٩٨ م ، ٩٦١ .

(١) اللغة والهوية ، قومية أثنية دينية ، جون جوزيف ، تر عبدالنور خرافي ، المجلس الوطني للثقافة الاداب ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ٢٠٠٧ ، ٧ .

صفة للهوية ؛ ((لأنها سكونية غير متفاعلة ولا متطورة إنها ليست نسيج الواقع الحياتي))^(١) ، وآخر يرى أن الهوية في حالة تطور مستمر لأنها تمثل ((الوجود الاجتماعي النشط الفعال المتجدد ... وهكذا تزدهر الأنا الاجتماعية أو الهوية مع التطور الاجتماعي وتغيير الواقع))^(٢) بكل تجلياته .

إن هذا الإشكال لا يعود في أصله الى التراث الميتافيزيقي فقط بوصفه فلسفة الثبات والوحدة البارميديدية ، أو التغير و السيلان في المدونة الهيريقليطية إذ يمتد هذا الإشكال إلى بقية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية^(٣) . وأخيراً يمكن القول إن ما جاء به المعجم الفلسفي لتوضيح مفهوم الهوية لم يخرج عن ما تم ذكره سابقاً بل هو تلخيص للجهود العربي لهذا المفهوم ، فيرى أن ((أسم الهوية ليس عربياً في أصله وإنما أشتقه المترجمون من حرف الرباط الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع ، كما إن الهوية عند بعضهم هي الحقيقة المطلقة المشتعلة على الحقائق أشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق))^(٤) . ولا يمكننا أن نتجاهل دور العرب المحدثين فقد أسهموا في تقعيد الكثير من الأمور و ردودنا برؤى و أفكار تدل على جهودهم البحثية فوضعوا لنا مجموعة أخرى من تعريفات الهوية منها تعريف محمد عابد الجابري الذي يرى أن ((الهوية وجود وماهية في المجال البشري ، مجال الحياة الاجتماعية ، الوجود سابق للماهية دوماً ، الشيء الذي يعني ليست معطى نهائياً بل هي شيء يتشكل بشيء يصير))^(٥) ، ويعرفها رشاد عبدالله الشامي بأنها : ((الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها التي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون بأعتباره منتبهاً إلى تلك الجماعة ، وهي شفرة تتجمع عناصرها المكونة لها على مدار تاريخ الجماعة وتراثها الإبداعي وطابع حياتها))^(٦) . ويعرفها آخر : ((إن الهوية جملة من العلاقات والروابط العقلية (اجتماعية، اقتصادية ، ثقافية) نسجها تطور تاريخي محدد في الزمان والمكان))^(٧) .

وبنظرة عجل إلى التعريفات السابقة يمكن تشخيص ثلاثة اتجاهات في موضوع الهوية هي :^(٨)

١ - الإتجاه البنائي الذي يعتقد بأن الهوية هي عبارة عن بناء اجتماعي وهي لم تأت من مكان محدد أو زمان بعينه بل إنها وليدة الظروف الاجتماعية.

(١) الفكر العربي وسياسيولوجيا الفشل ، شوقي جلال ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط ١ ، ٣٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ٣٧ .

(٣) ينظر الهوية والسرد ، حاتم الورفلي ، ٢٣ .

(٤) ينظر : المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ج ٢ ، ٥٢٩-٥٣٠ .

(٥) مسألة الهوية العربية والإسلام والغرب ، محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٧ ، ١٠ .

(٦) إشكالية الهوية في العراق (رؤية في التحديات ومستقبل بناء هوية وطنية عراقية بعد العام ٢٠٠٣) ، عبيد سهام مهدي ، عمار حميد ياسين ، المجلة السياسية والدولية ، العدد ٢٨-٢٩ ، العراق ، ٢٠١٥ ، ٣٩٣ .

(٧) الهوية والسرد ، حاتم الورفلي ، ٣١ .

(٨) ينظر : العراق من صدمة الهوية إلى صحوة الهويات ، علي طاهر الحمود ، مؤسسة مسارات ، بغداد ، ٢٠١٢ ، ٢٨ .

٢ - الإتجاه الجوهري الذي ينظر إلى الهوية من خلال الجوهر والعمق المشترك بين الأفراد والجماعات وهذا الإتجاه ينظر إلى الهوية بوصفها ملازمة للإنسان منذ الأزل وإنها ثابتة وغير قابلة للتغيير بشكل عام.

٣ - الإتجاه الذي يمكن أن نصطلح عليه بالتفاعلي أو التواصلية الذي يعتقد بأن الهويات بأنواعها هي حصيلة التفاعل إذ إن الحقائق الاجتماعية هي نتاج الحوار والتفاعل المستمر بين الأفراد وليس لها وجود خارج هذا الإطار.

ولكن البداية الجادة في استعمال (الهوية) مصطلحاً كانت على يد عالم النفس الأمريكي - الهولندي أريكسون (١٩٠٢ - ١٩٩٤) وأقترح أنموذجاً مطوراً للأنا الفردية مسمى إياها بـ (هوية الأنا) مؤكداً إن الهوية على نوعين الأولى شخصية والأخرى اجتماعية^(١) ، ((ذلك حسب الموقف الذي يجد الشخص فيه . ولهذا يمكن القول إن الآخرين يحيون فينا كما نحيا بدورنا فيهم))^(٢).

أنواع الهوية :

الهوية الفردية:

هي السيرة الذاتية لكل إنسان ، فالفرد منذ ولادته يحمل جنساً (ذكراً أم أنثى) ، وأسماءً ، وأسرة ، وجماعة ، وقدرة الإنسان على الحفاظ على هذه الإنتماءات أو تغييرها هي التي تشكل هويته الفردية ، وهذا الجانب هو مادة علم النفس وهناك تداخل معقد بين ما هو ذاتي يخص الفرد وما هو متداخل في الاجتماع الإنساني ، إذ من الصعوبة التمييز بين الهوية الفردية والاجتماعية ، لشدة امتزاجهما في الوقت الذي تبين الهوية تكوين الإنسان وإنتماءاته المختلفة ، ويبدو أن الهوية الاجتماعية أكثر تجريداً ، فد الاسلام والعراقية والشمريّة والانوثة لا توجد بمعزل عن (المسلمين والعراقيين وافراد عشيرة شمر والأنثى) فهي تصور مجرد فالمجموعة الأولى لا تشير إلى فرد بعينه ، بقدر ما تشير الى اتصالهم بها، والثانية تُشير الى خصائص يتصف بها أفراد معنيون وبهذا تتشكل الهوية الفردية^(٣) بوساطة خصائص معينة .

الهوية الاجتماعية :

(١) ينظر: المصدر نفسه ، ٢٤-٢٣.

(٢) الهوية والسرد ، حاتم الورفلي ، ٤٠.

(٣) ينظر: العراق من صدمة الهوية الى صحوة الهويات ، ٣٢-٣٠.

وتُعرف بـ((وعي الجماعة لذاتها وإدراكها للآخر ، والحدود الفاصلة بينها. والهوية الاجتماعية هي البناء الرئيسي الذي يتحدد بموجبه موقع الهويات الفردية))^(١) ، وطالما أن الهوية تنتج عن بناء اجتماعي ويُعاد بناؤها، فإنها تكتسب صفة التعقيد الاجتماعي^(٢) ، وبهذا الصدد يمكن القول : إنَّ الهوية الاجتماعية ((هي الأساليب التي بموجبها يتميز الأفراد والجماعات عن الأفراد والجماعات الأخرى في علاقاتهم الاجتماعية وطبقاً لهذا المنظور تصبح الهوية الاجتماعية عملية ربط لأوجه الشبه والاختلاف ، وتنظيمها بين الأفراد والجماعات ومن دون هذه العملية لا يمكن للجماعات أو الأفراد أن توجد)).^(٣)

الهوية بين الذات و الآخر :

لا يمكننا أن ننكر أننا نعيش في عصر الهويات ولأن الهوية ((خاصة بالإنسان والمجتمع والفرد والجماعة فهي موضوع إنساني خالص)).^(٤) فالقاسم المشترك بينها وبين الشعر هو الإنسان ، فالثاني يُعد منطقة خصبة لبروز الهوية ؛ لأنه يعبر عن وجع وتاريخ وأيديولوجيات ذلك الإنسان ، وهذا لا يمكن تصوره إلا ضمن علاقة الذات مع الآخر فـ((معرفة الآخر تقتضي ... نوعاً من الاتصال معه))^(٥) . فضمن برنامجه الفينومينولوجي ألفتت هوسرل إلى التأريخ بوصفه مجاًلاً ثرياً لفهم ذواتنا ؛ لأن التأريخ هو تأريخنا فإن معناه هو معانانا الحقيقي^(٦) ، وهذا يقودنا إلى الحديث عن تاريخية أشكال الهوية ، فقد عرض كلود دوبار ثلاث سيرورات تأريخية كبرى : ((السيرورة التي يدعوها بوربيريت الياس بسيرورة الحضارة والتي تحيل إلى مفهوم شديد التجربة لهوية (نحن ، أنا) وإلى فرضية الانتقال من أشكال جماعية إلى أشكال فردانية ... والسيرورة التي يدعوها ماكس فيبر بسيرورة العقلنة المرتبطة بالعلاقة التأريخية بين شكلين كبيرين للعلاقات الاجتماعية ، وسيرورة ماركس و أنجلز التي تناقش سيرورة التحرر ، بوصفها سيرورة ثورية وإنقلاباً لسيطرة طبقة على أخرى ، وانتقالاً من مجتمعات جماعية ما قبل الرأسمالية إلى مجتمعات شيوعية ما بعد الرأسمالية))^(٧) ، فإذا كانت الهوية إحساس الأنا بالانتماء ، سواء كان هذا الأنا فردياً أم جمعياً ، فإنه لا يتحد إلا بالآخر انطلاقاً من علاقة الذات بالآخر^(٨) ، وهذا يفضي إلى أن للآخر أهمية كبيرة إذ إنَّ سيرورات أشكال الهوية تنطلق من ((ليست هناك هوية للأنا

(١) المصدر نفسه ، ٣٣، ٣٢.

(٢) ينظر : الهوية والسرد ، حاتم الورفلي ، ٧٢.

(٣) العراق من صدمة الهوية إلى حصوة الهويات ، ٣١ .

(٤) الهوية ، حسن حنفي ، ١١ .

(٥) موسيقى الحوت الأزرق ، (الهوية الكتابة العنف) اودنيس ، دار الآداب ، بيروت ، ٢٠١٢ ، ٥.

(٦) ينظر : الهوية والسرد ، حاتم الورفلي ، ١٠٣ .

(٧) أزمة الهويات ، ٣٩ .

(٨) ينظر : الهوية والسرد ، حاتم الورفلي ، ٢٦ .

دون هوية للنحن)) ^(١)، فهي تؤكد على أن هوية الفرد لا يمكن أن توجد من دون الـ(نحن) أو الـ(هم)؛ لذا ((لا نستطيع فصل الأنا عن الـ(نحن))؛ لأن الهوية تحقق شعوراً غريزياً بالانتماء إلى الجماعة والتماهي بها)) ^(٢) وبناءً على هذا المعنى، فإن الهوية تُفهم بأنها علاقة بالآخر، وهذا ما جعل صاموئيل هنتنجتون ينفى معرفة كينونة الذات ((إلا عندما نعرف من ليس نحن، وذلك يتم غالباً عندما نعرف نحن ضد من؟)) ^(٣) ولكن هذا الاهتمام الهوياتي بالآخر، لا يتسع مساحة في الطرح الفكري، فهناك من من يتوقع حول الذات ويقدها ((فالرغبة الحميمة لكل كائن هي أن يكون متطابقاً مع كينونته وبلغة الهوية أن يكون هو - هو؛ لأن ذلك التحديد هو الشرط الرئيسي الذي يؤهله للأختلاف مع الغير)) ^(٤)، بيد أن جريان الفكر الحدائوي أوقع الإنسان في تصادمات لا فكاك منها، تجعل الهوية بين مفهومي الانغلاق والانفتاح، إذ ((إن التأويل المغلق للهوية يُبنى في الحقيقة على فرضيات مسبقة، أهمها رفض التجديد والحدثة... فإثبات الهوية لا يكون إلا بنفي الآخر... فالحديث بلغة الهوية المغلقة يعتبر في العمق آلية من آليات التجيش الحربي، حيث تمثل كل هوية فضاء مغلقاً في مواجهة فضاءات أخرى مغلقة بدورها، وهو الأمر الذي يعني انتقاء التواصل والحوار)) ^(٥) بين الهويات والسبب هو ((اعتقادنا في أصالة الموقف الهويوي كتعبير وحيد عن ذاتنا)) ^(٦)، فلا يمكننا أن ننكر ما هو قار في أفكارنا، من أن ((ربط الهوية بالماضي وربطها بما هو مألوف وبما هو ثابت لا يقبل التحول ولا يرد له أن يتحول حتى لا تندثر معامل ما يحفظ للذات استمرارها عبر الزمن)) ^(٧)، فالتمسك بالأرث التاريخي والفكري دون محاورة الآخر سوى كان الآخر فكراً أو مجتمعاً، لا يقود إلى أنوار جديدة، وتحرر هوياتي، بل يصنع من الإنسان هوية بلا ذات، وحوار الهويات قاتل وغير ممكن؛ لأنها غير قادرة على التخلص من أعباء الماضي والذاكرة السلبية، فالأفق الوحيد للحوار هو الحوار بين الذات الإنسانية الحرة ^(٨).

إذا كان ما تقدم يمثل مفهوم الانغلاق للهوية فإن التأويل المنفتح لها ((يقوم على تصور قوامه أنها نواة تغتني باستمرار، وتتعرض للتحول والتغير في علاقتها بالعلم، كما يقوم على قبول التفاعل مع الآخر، ويقبل مظاهر الحدثة باعتبارها إغناء للذات... ثم أن التغيرات التي تتعرض له الهوية قد تكون

(١) أزمة الهويات، ٤٠.

(٢) إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، ماجدة حمود، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠١٣، ١٥.

(٦) صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، صاموئيل هنتنجتون، ترطلعت الشايب، دارسطور، ط٢، ١٩٩٩، ٣٩.

(٧) أصول الهوية الحديثة وعملها، مقاربة شارلز تايلور إنموذجاً، مصطفى بن تمسك، دارجداول، بيروت، ط١، ٢٠١٤، ١١.

(١) الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، سعيدة بن بوزة، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر- باتنة / كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، ٢٠٠٧-٢٠٠٨، ٢٥.

(٦) الهوية والحرية، نحو أنوار جديدة، فتحي الميسكي، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠١١، ١٤.

(٧) الهوية والسرد، حاتم الورفلي، ٣٠.

(٨) ينظر: الهوية والحرية، ١٤- ١٨.

مصبيرية ، فتقضي على مكوناتها الثابتة كلياً)) ^(١) ، فالخروج من المأزقين يتطلب الوسطية بينهما ، هذه الوسطية التي قدمها بول ريكور في موقفه الفلسفي بين طرحين سابقين له :الأول: فينومينولوجيا هوسرل المفرطة في التشديد على الأنا وتعظيمها إلى أقصى الدرجات ، فكانت الذات هي المنتصرة ، والثاني : أراء البنيوية والفلاسفة من فوكو إلى دريدا حين أعلنوا موت الذات ونهاية المؤلف لصالح النص فالتوسط بين الذات التي عظمها كوجيتو ديكارت وسحقها تفكيكية نيتشه ودريدا أخرج الذات جريحة ، ولم تمت فقد تخلت عن حقيقتها المطلقة ؛ لتقبل بتواضع حقيقتها الذاتية التي مرت عبر معبودية الغير فالتوسط هو قبول الآخر ومحاورته وسماع كلمته وهذا أفضل من الافراط في تقديس الذات أو إلغائها ^(٢) ، وفي النهاية النهاية يمكن القول: إن هوية الشيء هي ثوابته القارة التي تتجدد ولا تتغير إذ تتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانها بنقيضتها طالما بقيت الذات على قيد الحياة تمارس أفعالها ^(٣) من أجل البقاء .

علاقة الهوية بالعلوم

الهوية من منظور علماء النفس

إن علاقة الهوية بعلم النفس علاقة حميمة ، تتعاضد في ((اللاوعي ... للكشف عن تحولات الشخصية وإنفلتاتها من الزعم القائل بوحدة الأنا العاقلة والواعية)) ^(٤) إذ إن شخصية الفرد إزاء الآخر تتكون ((من مناطق ثلاث : (الأنا ، الأنا الأعلى ، الهو) يحكمها منطق الصراع والمواجهة ، انطلاقاً من مبدأي اللذة والواقع)) ^(٥) فالهو يندفع لإشباع حاجاته الغريزية على وفق مبدأ اللذة ، أما الأنا الأعلى الأعلى فيقوم بمراقبة الذات وإقامة المثل العليا والضمير الخلفي ، وما بين المنطقتين يتوسط الأنا؛ ليوازن بين تعارض الهو والأنا الأعلى وهو ما يجعل الهوية الإنسانية في تأرجح بين الرؤية الذاتية والتقاليد المجتمعية ، وهذا ما يجعل الفرد في أزمة هوية^(٦) إن هذه الأزمة التي نشأت عند الفرد نتيجة عدم استطاعته على التكيف مع الوسط الاجتماعي جاءت :((بسبب تصادم حاجاته ورغباته ومعتقداته الذاتية مع مثيلاتها في المجتمع ... فيكون الصراع محتتماً بين هوية مرغوبة (فردية ذاتية)، وهوية مفروضة اجتماعية)) ^(٧).

(١) الهوية والأختلاف ، ٢٧.

(٦) ينظر: الذات عينها كآخر ، بول ريكور، تر: جورج زيناتي ،مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ، ط ١، ٢٠٠٥، ٦٧-٦٨.

(٧) ينظر: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، محمد عمارة ،دار نهضة مصر ، ط ١، ١٩٩٩، ٦.

(٤) الهوية والسرد ، حاتم الورفلي ، ١٧.

(٥) المصدر نفسه ، ١٨.

(٦) ينظر: الهوية والشعر، في تجربة ألفريد سمعان ، عمر السراي ، دار بغداد ، ط ١، ٢٠١٦، ١٩.

(٧) الهوية والأختلاف ، ١٧.

إن الإحساس بالهوية يتطلب وجود مكونات حسب رأي أركسون هي : فردية ، تكامل ، التماثل والاستمرارية ، التماسك الاجتماعي ^(١) لا يمكن القول إن المنظور النفسي للهوية يخلو من إشكالياتها ((إشكالية الهوية ضمن تطور الحياة النفسية تبرز بشكل جلي أثناء المراهقة)) ^(٢) التي يمر بها الفرد ((ويكمن موضع تحديدات عديدة تريد أن تؤسس له هوية على شاكلة عائلته ، فتجمع له صفات وملامح أفرادها حتى تشمل كل الذات المكونة لها في أطرها الاجتماعية والثقافية ... ويحاول الفرد انطلاقاً من التعرف على ذاته اعتماداً على مكونات متنافرة ، ومعايير متضادة في الوسط الاجتماعي)) ^(٣).

وهذا في الحقيقة يدل على أن الهوية تنمو وتتكامل وتتضج في مراحل النمو الإنساني ، وهذه المراحل لها مطالب أهمها : ((تكوين الهوية الذاتية ، والسعي في تكوين هوية مشتركة مع الآخر)) ^(٤) فبعض الباحثين ذهب إلى إعطاء الحب والحنان دوراً في بناء الهويات ، ((لأنّ الافتقار إلى الحب والحنان في مرحلة الطفولة يؤدي على تشظيات الهوية وانشطاراتها)) ^(٥) وهذا ما يؤثر سلباً على الذات الإنسانية في قادم حياتها، فعلم النفس أعطى أهمية للفرد لأنه ((لا يمكنه أن يعيش خارج المجتمع فهوية الفرد تعني شعور الشخص بالانتماء إلى جماعة أو إطار إنساني أكبر يشاركه في منظومة من القيم ، و المشاعر ، والاتجاهات، والهوية بهذا المعنى هي حقيقة فردية نفسية ترتبط بالثقافة السائدة ، وبعملية التنشئة الاجتماعية)) ^(٦) التي يحصل عليها الفرد.

الهوية من منظور علماء الاجتماع:

تعددت الطروحات التي تعمقت كثيراً في إزالة الغموض عن مفهوم الهوية ، فمن هذه الطروحات ، المنظور السوسيولوجي فالهوية بالمعنى السوسيولوجي : ((مجموع السمات الاجتماعية ، والثقافية ، والحضارية المميزة لجماعة بشرية معينة ، والهوية بهذا المعنى تطل عدة مستويات ، وتشمل عدة مكونات أي أنّها مفهوم واسع يشمل كافة النشاط البشري)) ^(٧) . فهي بشكل عام متعددة الجوانب، ويمكن مقارنتها من عدة زوايا ، فالهوية تتعلق بفهم الناس وتصورهم لأنفسهم وللآخرين ولما يعتقدون إنه مهم في

(٥) ينظر: سمات الشخصية وعلاقتها بأساليب مواجهة أزمة الهوية لدى طلاب المرحلة الثانوية والجامعية ، محمد عبد الرحمن ، دار قباء للطباعة والنشر ، ١٩٩٨ ، ٤٨ ، ٥٢.

(٦) الهوية والأختلاف ، ١٦.

(٧) الهوية والسرد ، حاتم الورفلي ، ١٨.

(٨) الطالب المراهق وأزمة الهوية ، دعد الشيخ ، مجلة إتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس ، مج ٤ ، ع ٢ ، ٢٠٠٦ ، ٨.

(٩) الهوية ، أليكس مكشيلي ، تر: علي وطفة ، دار الوسيم ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٩٣ ، ٨.

(١٠) الهوية والاختلاف ، ١٧ ، ١٨.

(١١) المصدر نفسه ، ١٨.

حياتهم الاجتماعية تحديداً ^(١) ، فمن الأمور البديهية التي يؤمن بها علماء الاجتماع إنَّ الهويات الاجتماعية تصنع وتتشكل بوساطة الناس أنفسهم ، وأنها أمر مكتسب ويجتهد الناس في الحصول عليها، وهي تنتج ويعاد انتاجها من خلال التفاعل الاجتماعي والحياتي ^(٢) ، ولهذا يمكن تسجيل وظيفة للهوية الاجتماعية فهي : ((تغذي إحساس الفرد بوجوده وماهيته وتسحبه من مخاطر الانغماس في الأنا والواقع في مستنقع الانقسام عن الواقع)) ^(٣) ، وهذا يعني أنَّ الذات بوصفها إحدى مكونات الجماعة لها أواصر انتماء، ومنافرة ، وعلاقات مشتركة ((فالشعور بالهوية يقدّم مساهمة مهمة لجعل العلاقة مع الجماعات الأخرى قوية ، ودافئة مثل الجيران ، وأعضاء جماعة معينة ، أو أبناء الوطن، أو التابعين للديانة نفسها)) ^(٤) وهذا ما جعل الإيمان بأنَّ ((هوية الفرد من الناس لا تتفك عن هوية الجماعة التي ينتمي إليها)) ^(٥) مقبولاً ، بوصف الهوية أهم مصدر ((لصناعة الانتماء الفردي والجمعي)) ^(٦) ، إذ إن وعي الإنسان بالانتماء والتجذر لا يتم إلا بالهوية ، ووضوحها ، وتماسكها وفاعليتها وستنتج حراكاً وفعلاً إنسانياً يستعصي على التهميش أو المصادرة أو الإلغاء من الآخر فكراً أو مجتمعاً ^(٧) .

فعلماء الاجتماع قد اعتنوا بموضوع الهوية انطلاقاً من الذات ؛ لأنها ((لا توجد إلا كحركة اجتماعية)) ^(٨) ، الأمر الذي جعل من الهوية ((بناءً اجتماعياً لم يأت من مكان محدد ، أو زمان معين، بل أُنْها وليدة الظروف الاجتماعية للإنسان ، بمعنى آخر إنَّ الهوية ما هي إلا ملك الظروف التي يجد من خلالها الإنسان طبقة ، وتأثيره ، ودوره الاجتماعي ضمن إطار الجماعة)) ^(٩) التي ينتمي إليها.

الهوية والثقافة:

(١) ينظر: علم الاجتماع ، انتوني غدنز، تر:فايز الصياغ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥ ، ٩٠ .

(٢) الهوية والاختلاف ، ١٩ .

(٣) ينظر: العراق من صدمة الهوية إلى صحوة الهويات ، ٣٠ .

(٤) الهوية والعنف امارتيا صن ، تر: سحرتوفيق ، سلسلة عالم المعرفة ، ٢٠٠٨ ، ١٨ .

(٥) خطاب الهوية ، (سيرة فكرية) ، علي حرب ، منشورات الاختلاف ، ط٢ ، ٢٠٠٨ ، ٤٦ .

(٦) القبيلة والقبائلية ، ٥٥ .

(٧) ينظر: يقظة الهوية العراقية ، سليم مطر ، ميزوبوتاميا ، ط١ ، ٢٠١٠ ، ٣٢ .

(٨) نقد الحداثة ، آلن تورين ، تر: انور مغيث ، المجلس الاعلى للثقافة ، ١٩٩٧ ، ٣٠٧ .

(٩) إشكالية الهوية العربية في الرواية (٢٠١٣-٢٠٠١) ، اطروحة دكتوراه ، محمد جري جاسم ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، العراق ، ٢٠١٥ ، ٨ .

تشغل الثقافة حيزاً كبيراً ضمن مفهوم الهوية ، فهي تلعب دوراً أساسياً في تشكيل الهوية وتحديد سماتها العامة ، إذ تتمايز الجماعات فيما بينها ؛ لاختلاف ثقافتهم التي تشتمل على الأعراف ، والمعتقدات ، والفنون وعلى هذا الأساس تتعدد الهوية الثقافية : ((فهي أساس حياة الشعوب تنبثق من ماضي هذه الشعوب وترتسم في مستقبلها ، بحيث إنها ليست أبداً شيئاً ساكناً))^(١) ، فالثقافة واسعة جداً ، لا يمكن حصرها في الأعراف ، والعادات ، والمعتقدات فقط ، ومن هذا الطرح يمكن تعريف الهوية الثقافية ب : ((مجموعة السمات الثقافية والمهيمنة خلال فترة تاريخية طويلة الامد والتي تميز جماعة بشرية ما من غيرها من الجماعات))^(٢) ، فالثقافة تتعامل مع الجماعة بوصفها دائرة أكبر من الفرد ، وتتعامل مع الفرد كونه أحد مكونات الثقافة ، وهذا ما يجعل من الثقافة : ((في وجه من وجوها محاولة لتحديد موقع الإنسان في العالم ، إزاء جماعته البشرية ، وإزاء الطبيعة والعالم وإزاء الزمن))^(٣) هذا الزمن الذي أفرز لنا ((حقبة جديدة يهيمن عليها صراع الثقافات))^(٤) رؤية كهذه جاءت : ((كثمرة لتمييز النفس الإنسانية في كل حضارة من الحضارات ، وذلك لتمييز المكونات والمواريث والعقائد والفلسفات والعادات والأعراف التي مايزت بين البصمات الثقافية في أمم هذه الحضارات))^(٥) ، ويرى أحد الباحثين أن الثقافة لا يمكن حصرها بالنصوص المكتوبة (دينية - أدبية - تاريخية) كما يتبادر إلى الذهن ، بل هي نتاج التاريخ المشترك والحضارة والعمران والاجتماع ، فحين تكون الثقافة في عروق الناس ؛ فإن حياتهم تصبح ثقافتهم ، وبالعكس وهذه الثقافة ليست أصلاً واحداً ، بل هي الأخرى تضمّ ثقافات فرعية متنوعة و متعددة باختلاف وتعدد المجتمعات البشرية^(٦) ، مما دفع بعض من الباحثين الى التفريق بين نوعين من الهويات الثقافية ((الهويات الثقافية الكبرى وهي تلك التي تنظم جماعة بشرية كبيرة تضمّ اخلاطاً من الديانات والأعراق والتنوع الاقليمي ٠٠٠ والهويات الثقافية الصغرى وهي تلك التي تنظم جماعة بشرية محدودة ومحددة حول عنصر واحد فقط من العناصر السابقة))^(٧) . وفي الحالتين لا يمكن أن تنسلخ الهوية عن الثقافة عند الفرد أو الجماعة ، بل نجد هناك أواصر جدلية وتفاعلاً علائقياً بينهما : ((فالهوية أساساً : وظيفة من وظائف الثقافة ، وذلك من حيث أنّ الثقافة هي مجموعة المعطيات الفكرية ، والسلوكية التي يحياها الناس تلقائياً وكأنّها هواؤهم الأيديولوجي الذي يستجيب لندرجسيّتهم الفردية عبر تحقيقه النرجسية الجماعية ٠٠٠ ويجعل منهم ذواتاً تاريخية تعتبر بانتمائها وتشعر بفاعليتها

(١) مدارات الحداثة ، ١٥٠ .

(٢) المصدر نفسه ١٥٢ .

(٣) الهوية والشعر ، ٢٠ .

(٤) سياسة جديدة للهوية ، بيبكو بارليك ، تر: حسن محمد فتحي ، المركز القومي للترجمة ط ١ ، ٢٠١٣ ، ٢٤٠ .

(٥) مخاطر العولمة على الهوية ، ٦ .

(٦) يُنظر: الشخصية العراقية (البحث عن الهوية) ، ابراهيم الحيدري ، التنوير ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٣ ، ٢٣٥ .

(٧) الهوية والشعر ، ٢٠ .

وضرورتها))^(١) غير أنَّ مسألة الهوية تبقى مسألة استراتيجية ، تدخل في سياق الصراع الاجتماعي ، ولا يمكن اختزالها في معنى محدد ، أو تأطيرها ضمن منطق محدد ؛ لأنها تتشابك وتتداخل بقوة مع الثقافة واللغة ^(٢) ، ومن ثم فبحثٌ يتناول تمثّلات الهوية الإنسانية في العراق لا يمكن أن يجد له اشتغالا خارج إطار اللغة لمناقشة هذه التمثّلات ؛ لأنها : ((تمتلك تلك الخصوصية المدهشة في انها عنصر هويّة وأداة اتصال في الوقت ذاته))^(٣) فارتباط اللغة والهوية لا يرب فيه : ((فعناصر الهوية تتمحور كلها حول . . . اللغة))^(٤) هذه اللغة التي تمثل جزءاً من تجربة الإنسان ، فبإمكان السامع أن يميز هويات مختلفة من مختلف التعبيرات التي تعتمد على الصوت واللهجة وكيفية الكلام التي يسمعها وسمات أخرى ،^(٥) فهناك دورٌ كبير للغة في تشكيل الهوية ، وصياغتها إذ ((إنَّ اللغة ولّدت الهوية على النحو التالي . . . تجرد اللغة عالم التجربة الى كلمات ، فالالتقاء باللغة يجعلنا نتعالى عن التجربة الآنية البسيطة ، والانغماس في تيار التجربة ، وهذا يمكننا من تشكيل تصور للذات ، بدلاً من أن نكون مجرد ذوات))^(٦) ويبدو أنَّ فصل اللغة عن الهوية غير ممكن، وغير مفيد، فقدّر اللغة ان تبقى محور الهوية ، وان يبقى التنوع اللغوي محور كل تنوع^(٧) ، اذن لا خلاص من التواشج الهوياتي واللغة في بناء الإنسان فهو ((يتشكل . . . من حيث هو ذات في اللغة وباللغة إذ هي وحدها التي تؤسس في حقيقة الأمر مفهوم الانا ضمن واقع هو واقع الوجود))^(٨) مما جعل الذات الإنسانية تتوجس خيفةً عندما تتعرض لغتها (هويتها) الى خطر المسخ والتهميش من الآخر ف((لا يوجد ما هو أخطر من السعي الى قطع الحبل السري ، الذي يربط الإنسان بلغته ، عندما ينقطع ، أو يضطرب بشدة ينعكس ذلك بشكل مدمر على مجمل الشخصية))^(٩) ، التي تصبح مجردة من الهوية ، فاللغة هي موطن حياة وانتماء وهويّة ، وليست مجرد استعمال ومراقبة ، وتعيين العلامات هو اثبات لما يتضمنه واللغة من طاقات انفتاحية وحوارية إبداعية ^(١٠) ، وهذا ما يدعونا الى الاشتغال في فضاء اللغة الادبية سواء أكانت اللغة سرديّة أم شعرية ، فريكور يتخذ من السرد سبيلاً للهوية؛ فهي عنده : ((مسار تكويني يُصاغ بفن سردي وبحركة تفاعلية بين الأنا والآخر تأسيساً للوجود))^(١١) ، لا ريب ان ريكور لا يقصر نظره للسرد شكلاً تخيلياً معتاداً الرواية أو

(١) مدارات الحداثة ، ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢) ينظر: مدارات المنفتح والمنغلق في التشكيلات الدلالية لمفهوم الهوية ، ٢١٧ .

(٣) الهويات القاتلة (قراءات في الانتماء والعولمة) ، امين معلوف ، تر: نبيل محسن ، ورد للطباعة والنشر ، دمشق ط ١ ، ١٩٩٩ ، ١١٧ .

(٤) مدارات الحداثة ، ١٥٥ .

(٥) يُنظر: اللغة والهوية ، ١٠٠ ، ٩ .

(٦) اللغة والهوية ، ٢٠ .

(٧) يُنظر: الهويات القاتلة ، ١١٧ .

(٨) اصول الهوية الحديثة ، ٥٦ .

(٩) الهويات القاتلة ، ١١٨ .

(١٠) يُنظر: اصول الهوية الحديثة ، ٦١ .

(١١) الهوية والسرد حاتم الورفلي ، ٦٠ .

القصة فقط، وإنما يتعداه نحو بعده الانطولوجي، بطريقة سرديّة تميّز الوجود الإنساني ، وتفصل الحدث التاريخي عن الطبيعي (١) وغيره .

وإذا ما انتقلنا الى النص الشعري العراقي نجد لغته لم تقتصر على محاكاة الجمال والحب فحسب ، بل راحت تمسرح ما يدور في المجتمع العراقي من أمورٍ تمس عصب الهوية بشتى أنواعها وما يصيبها من تصدع وانشطارات ؛ نتيجة ما تفرّز من ايديولوجيات ورؤى دينية وقومية واجتماعية ومن ثمة التخلي عن الهوية الوطنية ، فالشعر العراقي كان وما زال صدىً لحياة الشعب من خلال تمثل الشعراء لقضايا العراق الطائفية والسياسية وغيرها ، بوصف الشعراء مجسات استشعار داخل المجتمع ، فالدراسة تحاول الكشف عن تمثلات الهوية في المجتمع العراقي الذي عانى كثيراً من الوجدع الهوياتي (القومي، الديني، الوطني، الطائفي المكاني، الايديولوجي) انطلاقاً من النص الذي تميز بقابليته على احتواء مفاهيم الهوية ، ففي الوقت الذي تحاول الأبحاث دراسة جماليات النص تأتي هذه الدراسة لتعالج موضوعاً إنسانياً ما زال حديث اليوم.

(١) المصدر نفسه ، ١٦٥ .

الفصلُ الأوّل

الهُويّاتُ الكبرى

المبحث الأول

تنشيط الهوية الوطنية

الهوية الوطنية :-

بقدر الأدوار التي يشغلها الإنسان أو يقوم بها في حياته تتعدد هوياته ، وقد يتخلى عن بعضها ويكتسب بعضاً آخر حسب دينامية الحياة وحركة الفكر ، بيد أن الهوية الوطنية الموعلة في أعماقنا هي البوتقة الصاهرة لجميع هذه الانتماءات والهويات الفرعية المتنافرة فيما بينها ، فتذيب هذه الولاءات يتطلب منا التشبث بالهوية الوطنية التي تُعرف بأنها ((نتاج اجتماعي ثقافي تاريخي عام ، وتمثل علاقة متكاملة وتغطي مدى واسعاً للتصنيف، وتعطي الناس شعوراً بأنهم مرتبطون ببعضهم برابط محدد وتتجاوز كل الولاءات الطبقية))^(١) وهناك من يذهب إلى أن الهوية الوطنية هي : ((التفاعلات الواعية لأفراد الأمة التي تشترك بنظام سياسي وعيش على رقعة جغرافية محددة والتي من خلالها تعيد بشكل متواصل انتاج الرموز وتفسيرها والقيم والتراث ومصادر نفوذها التي تميزها عن الأمم الأخرى))^(٢) ، وقد عرفها (أنتوني دي سميث) بـ ((إعادة إنتاج وإعادة تفسير دائم للرموز والقيم والذكريات والأساطير والتراث الذي يميز الأمم ويُعرف به الأفراد))^(٣) ، فالرابط الذي يجمع ويوحد أبناء الوطن هويتهم الوطنية ، وهذا لا يعني أن يتخلى الناس عن هوياتهم الفرعية وخصوصياتهم الدينية والأيدولوجية وغيرها، بل إن الهوية الوطنية تحفظ لهم هذه الخصوصية شريطة أن لا يتعصب لها على حساب الهوية الوطنية ومن ثمة إضعاف الهوية الوطنية ؛ لأنه ليس بمقدور الهويات الفرعية بناء هوية وطنية إذ ((إن الغلو والتعصب في العقائد والأيدولوجيات يُفقد الإنسان هويته الوطنية))^(٤) ، وبهذا تطفو على السطح كثرة الولاءات والانتماءات داخل الوطن الواحد وهذا يفضي إلى تزايد الأمراض والمشاكل المجتمعية مما يؤدي إلى أزمة في الهوية الوطنية

إن الحديث عن مفهوم الهوية الوطنية يثير لدينا تساؤلاً عن أبعاد هذا المفهوم و مكوناته الرئيسية و بخصوص هذا الموضوع قدم (ديفيد ميلر) خمسة أبعاد للهوية الوطنية هي:^(٥)

١- الاعتقاد المشترك والالتزام المتبادل : ويقصد به الإيمان المشترك بين أبناء الوطن تجاه بعضهم البعض أولاً وتجاه وطنهم ثانياً.

٢- البعد التاريخي : ويعني خلق تلك الأحاساس والمشاعر والوعي المشترك لدى أمة ما والشعور بالدين للأجيال الماضية والمسؤولية تجاه الأجيال المقبلة أي اشتراك الأجيال في تحمل أعباء المسؤولية.

(١) الدولة والمواطنة: نحو مفهوم مركب للهوية الوطنية العراقية ، ظاهر محسن هاني ، نعيم حسين كزار ، مجلة جامعة بابل - العلوم الإنسانية ، مج ٢٤ ، ١٤ ، ٢٠١٦ ، ٥٤٥.

(٢) العراق من صدمة الهوية إلى صحوة الهويات ، ٣٨ - ٣٩.

(٣) المصدر نفسه ، ٣٤٠.

(٤) يقظة الهوية العراقية ، ٤١.

(٥) ينظر: العراق من صدمة الهوية إلى صحوة الهويات ، ٣٥.

٣- البعد الجغرافي : هو مدى تعلق الفرد / الجماعة بالأرض وحدودها الجغرافية المعينة.

٤- الثقافة العامة : إن الثقافة تشكّل بعداً مهماً للهوية الوطنية فالإرث الثقافي يمكن أن يعزز أو يضعف الشعور بالهوية الوطنية.

٥- البعد السياسي : أي التعلق والشعور بالانتماء للنظام السياسي فالانتماء الفيزيقي المجرد لا يكفي للتعبير عن الهوية الوطنية وإنما هذه الهوية تتجلى في بعدها السياسي عن طريق الإسهام في صنع القرار .

إن البحث في الهوية الوطنية العراقية التي تعيش في مأزق هوياتي فاضح، يجعلنا أمام التواءات زئبقية ، وهي الأسباب التي جعلت من هذه الهوية متشظية توصف بالاضمحلال إزاء بروز الهويات القومية ، والدينية ، والطائفية وغيرها ، فلا أظن أن إشكالية الأقليات ، والأكثريات ، وكثرة وتنوع الطوائف والانتماءات كان السبب وراء ضياع الهوية الوطنية ؛ لأن أغلب الأوطان تتصف بهذا التنوع ، بل أن السبب يكمن في أن حواراتنا المتأتية من منطلق الهويات وليس الذات الإنسانية ((وحوار الهويات غير ممكن فالأفق الوحيد للحوار هو الحوار بين الذات الحرة))^(١) الإنسانية كما أن هناك سبباً آخر لا مناص من الإقرار به لما له من التأثير الكبير على الهوية الوطنية وهو ((أننا نتعامل مع الزمن بوصفه ذاكرة مخزونة بالصراعات والانقسامات))^(٢) سواء كانت هذه الذاكرة الدينية المتخمة بالحروب ، أو القومية ، أو التاريخية وغيرها.

كلُّ هذا نجدُه جلياً في المشهد الشعري العراقي الذي تميز بالتماهي مع الذات العراقية الموغلة في بانوراما الأسى المتواتر ؛ بفعل مؤثرات تناسلت لتحوك الجفاء عن الهوية الوطنية ، والوطن ، ف ((الأدب العراقي قد بقي يسير جنباً إلى جنب مع القضايا السياسية ، والاجتماعية ، والدينية متفاعلاً مع وقائعها وأحداثها ، متأثراً بأصداها ، وتحولاتها))^(٣) ، فالشاعر انغمس كثيراً في أتون الحياة ، فهو وإن لم يكن منتماً لقومية أو ديانة أو سياسة حزب ما ، فحتماً سيكون خطابه متصلاً بكل هذه الانتماءات من زاوية التفاعل مع الواقع المعيش ، فلا غرو من القول: إنَّ النصَّ الشعري باذخ العطاء في رسم نوع المكابدة الإنسانية للكشف عن مديات وإشارات مُغرقة بالضياع تارة للوطن ، وأخرى للهوية الوطنية ، ولكل من الضربين تجليات في المتن الشعري وسيحاول التحليل رصدها .

الهوية الوطنية

(١) الهوية والحرية ، ١٤ .

(٢) الزمن ومصادر الهوية ، بحث في اجتماعية الذاكرة وعلاقتها بتمزيق الهوية العراقية ، حاتم راشد علي ، جامعة القادسية -مجلة كلية الآداب ، ٣٥٨ .

(٣) في رحاب الكلمة ، دراسات أدبية ونقدية ، مهدي شاکر العبيدي . مطبعة النعمان . النجف الاشرف ، ١٩٧٢ ، ١١ .

لا ريب ان الهوية الوطنية لدى الفرد العراقي لاتزال تعاني من لوعة التهميش، وآثار التشوية ((جراء ما مارسته المجتمع السياسي من خلال فهم إنَّ الهوية الوطنية تعني إلغاء الذات، وتقمص ذات أخرى تُفرض قسراً، وبهذا فان الهوية الوطنية لم تتبع من ذات الأفراد بشكل تلقائي))^(١)، أضف الى ذلك أنَّ مشكلة الإنسان التاريخية هي أن يستبعد الآخر أو أن ينفي الآخر ويفنيه ، على وفق ظروف يخلقها الإنسان عندما يقع فريسة ضعفه ؛ مما يعطي الأقوى فرصة لأن يُحكم سطوته وسلطته غير مكترثٍ بسلبه هوية الإنسان الأضعف منه ^(٢) ، كلُّ هذه التداولات قد اخذت حيزاً في مسارات التجربة الشعرية ، وأصبحت تُطرح عبر اكتناه من الرؤية المنتمية إلى تجربة الشاعر ، ففي هذا الجو المضمخ بالوجع والأسى يُبحر عارف الساعدي من شطآن الوطن الى المنافي إذ يقول: ^(٣) (تداخل بين الخشب والمتقارب)

قيل منفي

فقلنا احجزوه لنا

ربما سنغادر ثانية لبلادٍ ستحفظ اسماءنا

وقيل البلاد

فقلنا سنترك هذي البلاد التي لا تُسامح اخطائنا

من خلال هذه الرؤية يتأطر وجود الشاعر في منطقة ال((نحن)) التي يمثلها الشعب ليبوح بما تشكو منه الذات العراقية من ضياع للهوية الوطنية في بلادٍ لم تحفظ أسماء أبنائها ،ومن ثمَّ ترتأي منطقة ال((نحن)) أن تؤثت أجواءً يتفشى بين جنباتها هاجسٌ بالطمأنينة هو ترك هذه البلاد والرحيل عنها بتعبير ((ينماهى مع ما يعايشه واقعنا النفسي والسلوكي الجمعي الموبوء بالانكسارات والخيبات))^(٤) المتكأئنة على الشخصية العراقية ، فالمنقب عن الهوية الوطنية الممعنة في ضباب محنتها يُكاشفنا بالحقيقة المرة ألا وهي: التخلي عن الوطن الذي لا يسامحنا، وإنَّ كانت هناك أسباب انتجت هذه الحالة ، فصخب الايديولوجيا الصدامية أهمها، فقد أجهضت الهوية الوطنية بفعل ممارسات الصداميين ، ويمكن تلمس هذا حين يتوق الناس الى مجيء الغزاة غير مكترئين للوطن ؛ لذا لم يبق للشاعر نوفل الحمداني سوى البوح بهذه المضامين إذ يقول : ^(٥) متدارك

(١) يقظة الهوية العراقية، ٥٤.

(٢) يُنظر: الرؤي الفلسفية في الشعر العراقي الحر، بشير عريعر، دار المدينة الفاضلة ، ط١، ٢٠١٤، ١٥٤.

(٣) عمره الماء، عارف الساعدي، منشورات الاجتهاد، بغداد، العراق، ٢٠٠٩، ٧.

(٤) منطق النخل، علي حداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٨، ٢٢٣.

(٥) في الطريق الى القلب، نوفل الحمداني، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ٢٠١٤ ، ٩.

في الطريق الى وطني
حين كان الملايين منا
يودون من حنق ان يجيء الغزاة
يتوقون شوقاً لبعض هزيمة
فقد ملّ هذا العراق انتصارات طاغية
من ورق

فالنص يستحضر الماضي المتمثل بمآسي الحروب، ويستذكر العذابات المحيقة بكل شيء، فهي القاسم المشترك بين الناس ، كون الشعر صورة معبرة تعبيراً حقيقياً عن المجتمع الذي يحيا فيه الشاعر (١) لكن تعبير الشاعر جاء ساخراً جداً، وهو يبوح بملل الجماهير التي عاشت تحت وطأة الشعارات الرنانة، وعظمة الانتصارات الورقية ، تلك الانتصارات التي انطلت على البعض ، ولكنها سرعان ما تبخرت ، بدخول الاحتلال الأخير، وإذ يكتمل الطريق بمأساويته يدلف بنا الشاعر نفسه الى لحظاتٍ من الفرح ، والجدل هي انتظار الغزاة ، فلم يعد لأبناء الرافدين من سبيل غير هذا ، فقدموا هويتهم الوطنية قرباناً للنجاة بحياتهم من السلطة فيقول : (٢)

متدارك

في الطريق إلى فرجةٍ بانتظار الغزاة
كانت معبدةً دربنا بالمقابر
وموصدة بابها بالسجون
يُضيء مداخلها طيفُ أبنائنا الغائبين

هكذا إذن يوثق لنا هذا النص الزمن الذي فقد العراقيون فيه ولاءهم للوطن، فعملية تشظي هويتهم لم تكن وليدة حرائق مباغته ، بقدر ماهي وليدة حكم استبدادي يبطش ، ويهمش ابناء الوطن، ويعبد الدرب بالمقابر، فرجة انتظار الغزاة انبثقت من ثنايا ويل (المقابر ، السجون، وابنائنا الغائبين) ، ومن يعوم أكثر في مياه النص يتبدى له إنَّ تأملات الذات المبدعة هي تفصلاتٌ من اروقة ذاكرة العراق المليئة بضجيج الحروب والمقابر الجماعية في ضمن ايديولوجية السلطات التي استعبدت الاوطان، حتَّى اصبح الوطن هو السلطة ، وبالعكس ، فالضوء المنبعث من طيف ابنائنا الغائبين يكتنز على شحنة دلالية يستلهم منها المتلقي مغازٍ تدور حول تهميش الهويات، هويات معينة دون أخرى ، فلا يخفى إنَّ الذين فضلوا

(١) يُنظر نقد الشعر العربي الحديث ، عباس توفيق ، دار الرسالة للطباعة وزارة الثقافة والفنون، د. ١٦٢.

(٢) في الطريق الى القلب ، ١٠٠.

السيء (الاحتلال) على الاسوأ (السلطة) هم المغيبون، الذين يشعرون إنهم كائنات غريبة بين احضان الوطن، اما الذين كانوا ينتمون الى ما تنتمي اليه السلطة دينياً وفكرياً، فقد ظلوا يتغنون بالقومية الباهتة، وبالنتيجة نحن إزاء هويات هامشية خلعت وطنيتها .

وفي خطاب شعري آخر يكشف لنا النقاب عن بُعد عمق من جرح الهوية الوطنية في الذوات الإنسانية، وهو لا يقل أهمية عن الحرب والمنفى والاعتراب، فسياسة التجويع باتت هي الأخرى من أدوات ((السلطة السياسية التي تتأرجح بين ما تعلنه من ايديولوجيا التي تمثل وجهها المعلن، وبين السيكلوجيا التي تمثل وجه السلطة الخفي))^(١)، فالفقر، والجوع ما زالوا عنواناً لمأساة المغيبين من أبناء العراق، وتلك مفارقة عجيبة، شكا منها الشاعر والمتقف والإنسان البسيط، ولهذا توشحت عشرات القصائد بهذين المضمونين، أما اللوم فكان دائماً يقع على القدر بوصفه تهمة جاهزة يخشى الشاعر من تبين أسبابه الحقيقية التي تقع أولاً على السلطات^(٢)، بيد أن الشاعر شاعر التميمي نأى بنفسه الى منطقة أخرى، منطقة تتبعث منها صرخة الشاعر التي تمثل أصوات الجمهور، في مواجهة السلطة الظالمة إذ يقول :^(٣)

الكامل

وطني الذي خيراته قد اشبعت

دول الجوار ونال منه الأبعدون

أبناءؤه مثل اليتامى في القمامة يبحثون

عن كسرة الخبز التي

قد يملؤون بها البطون

الذات الشاعرة التي تحملُ كينونة الجماعة لم تنسج هذه الحروف للحديث عن يوتوبيا، أو تروي حكايات من اروقة الزمن الغابر، بل هي معاناة حقيقية لطبقات مجتمعا، فالشعراء يبتكرون من الفجيرة مجالاً للبحر، وهذا دأب الأعمال الأدبية التي تتحسس وجع الذات الإنسانية، فالبحت في القمامة عن كسرة خبز لا تُسكت صوت الجوع، في الوقت الذي تُهب خيرات الوطن الى دول الجوار حتى التخمة، تتاقض اختزل مفهوم الوطنية، وأباد أفكار الانتماء للوطن، تلك هواجس ما تضج به نفوس الناس، وهذا ما أتاح لتشظي الوطنية ان يكون ذا فاعلية في التجربة الشعرية في مدار اشتغالها، فإذا كانت ((الهوية في وجه من وجوها ذاكرة، او خلاصة ذاكرة فردية، أو جماعية))^(٤) قد اشبعها - حد التخمة - السلطة السابقة ألواناً من الأسى، والوجع والضياح والغاء بعض المكونات، تلك التخمة التي تسببت في اغتيال

(١) سيكلوجيا السلطة، بحث في الخصائص المشتركة للسلطة، سالم القمودي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٩، ١٦٠.

(٢) يُنظر: الرؤى الفلسفية في الشعر العراقي الحر، ١٩٢.

(٣) خلجات عند احتضار الافق، شاعر التميمي، دار ابن السكيت، ط١، ٢٠١٥، ٦٣.

(٤) الهوية والشعر، ٦٣.

الهوية الوطنية ، فالشاعر العراقي رغم ترجمه في بعض كتاباته عن صهوة عوالمه الجوانية، وبرجه العاجي ، وتحول من رؤيته العميقة الى رؤية تتعاورها البصرية والمباشرة، والتقريبية ، لكنه بقى عبر صرخاته يكشف زيف السياسيين؛ كونهم سحقوا هويات الشعب ، والنصّ الآتي يحمل هذه المضامين يقول شاعر التميمي: ^(١)

رمل

دونما أيّ حياءٍ ينشدون
قد قتلنا في قلوب الطيبين
حبهم أرض الوطن
ثم اشعلناها حرباً
بين أبناء الطوائف
كي يعيشون الفتن

هذا الخطاب هو وليد الإحساس بالضياع ، تفشى بعدما مُزقت الوطنية ووضعت في مهب الرياح وراح السياسيون يترنمون بقتلهم حب الوطن في القلوب ، وقد تفوقوا حول رماد الطائفية ، ينفخون فيتوهج الدّم، حتّى أنسوا من جانب الطائفية ناراً ، يستمدون منها بقائهم حتّى أصبح العراقيون ((يعيشون في واحاتٍ شبه منعزلة من الهويات ضيقة الافق)) ^(٢) فالنصّ ألصق الفتن الطائفية وعملية انكائها بالأحزاب السياسية بأسناد الأفعال (قتلنا، واشعلنا) وبذا أُيقظت الطائفية الى الوجود ، وقد لا تختلف الرؤية عند سرب الشعراء الآخرين في تمثّلهم شعرياً لموضوع الهوية الوطنية ، حتّى تهرأ لحمها ، وسال دمها من الواقع الثقيل ((المبني على وفق الرؤى الاجتماعية والسياسية ، التي تجثم على انفاس الناس ، وتغلف حياتهم بهالة من الضبابية ، تحول دون حياة واضحة الرؤية ، بل تتسم بالقتامة والسوداوية من المجهول)) ^(٣) ، فحين يبدو المنفى وطناً تتسامى معالم المحنة كاملة ، ويصبح الحديث عن ذات المبدع غير مناسب ، لتتعالى أصوات الشعب عبر هوية الـ (نحن) بواسطة قلم عارف الساعدي يقول : ^(٤) متقارب

قيل منفي

فقلنا وطن

وقيل الوطن

(١) خلجات عند احتضار الافق ، ١٢٠٠ .

(٢) حصاد العاصفة ، ثقافة التضاد العراقي بين زمنين، سعيد العبيدي ، سلسلة دراسات ، العراق ، بغداد، ط١ ، ٢٠١١ ، ج١ ، ١٠٦ .

(٣) المدينة في الشعر العراقي الحديث ، عبدالله حبيب كاظم التميمي ، دار الراي ، دمشق ، ط١ ، ٢٠١٠ ، ١٢٢ .

(٤) عمره الماء ، ٧ .

فقلنا منافٍ مبعثرةٍ وبقايا كفن إذا سأغادر هذي البلاد

فهذه مفارقة تشي عبر لعبة شعرية إلى استحسان المنفى القار في أذهان الجميع بأنّه مكان اغتراب، وحنين للوطن إلّا أنّ الخطاب الشعري قلب الموازين ، وأصبح المنفى هو الحزن الدافئ الذي يتحسس الإنسان ، ويصون هويته الإنسانية ، وهذا جاء نتيجة الواقع المعيش بكل تجلياته الفوضوية ضمن إطار اللاوعي ، أما الوطن فجو الاضطراب لم يفتأ يجرّجه في منافٍ مبعثرة على أرضه التي توصف بالجدب والفقار ؛ لوجود دالٍ ألسني هو (بقايا كفن) ، فصار لزاماً مغادرة هذي البلاد ؛ لأنّها تحولت إلى اغتراب للجماهير لأسباب عدّة منها عنف السلطة ، وديكتا توريبتها ، فأيدولوجيا السلطة على وفق هذه الحالة تكون أداة من أدوات التي تتخذها السلطة لإخضاع الشعوب والسيطرة عليها^(١).

هوية الوطن

جاء في كتب التراث إنّ كلمة (الوَطَنُ) تعني موطنُ الإنسان ومَحَلُّهُ .. وأوطان الاغنام : مرابطها التي تأوي إليها، ويُقال : أوطن فلان أرض كذا ، أي اتخذها محلاً ومسكناً يُقيم بها^(٢) ، أما في الاصطلاح فهو : ((ينطلق من الأرض ، أي من المكان وما يرتبط به من زمان يعكس تاريخه، يشمل مختلف العناصر الطبيعية والبشرية وما ينشأ عنها من أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية وأنماط سلوكية))^(٣) ، إنّ علاقة المرء بوطنه علاقة ذات فاعلية تنحو منحى دينامياً في نظامها ، ورؤيتها بوصف ((الوطن لدى الإنسان يتخذ أبعداً متشعبة ، متداخلة فهو انتماء ، وتاريخ ، وخليط معقد من المشاعر والعواطف يحتاج سبرها إلى عمليات تحليل معقدة ، بل يمكن للوطن إنّ يتخذ صوراً وأنماطاً متنوعة فيتسع أحياناً ليشمل العالم كله ، وقد يضيق في بعض الأحيان حتّى يمكن اختزاله إلى حديقة منزل ، وفي ضوء ذلك ستعدد دلالات (الوطن))^(٤) الذي أصبح الكيان المشترك بين الناس لجمع شملهم وإن اختلفت هوياتهم ، فهوية الوطن هو ما يميزه عن الأوطان الأخرى ، بينما هوية الإنسان انتماءه للوطن، وإنّ الشعور بهذا الانتماء هو أساس ارتباطه بالدين ف ((الدين والوطن توأمان فلو نُزعت العقيدة من وجدان الإنسان لُنُزعت منها محبة الوطن ، ويشدد بعضهم على الوطنية والمواطنة أساساً لعلاقات الناس ببعضهم بدلاً من الاعتماد على الدين

(١) يُنظر: نقد النص ، علي حرب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط ٢٠٠٨ ، ١٨٧ .

(٢) يُنظر: كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ١٧٠ هـ ، تج: عبد الحميد هنداوي ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٢٠٠٣ ، ٣٨١ : لسان العرب ، مادة (وَطَنٌ) وينظر: المنجد في اللغة والاعلام ، دار المشرق بيروت لبنان ، ط ١٩٧٣ ، ٩٠٦ .

(٣) الهوية الوطنية والهوية ، عباس الجراري ، الموقع

www.abbesjirari.com

(٤) الوطن في شعر السياب ، كريم مهدي المسعودي ، دار صفحات للدراسات والنشر ، سوريا ، ط ١٠ ، ٢٠١١ ، ١٥ .

وحده^(١)) على أساس إننا نختلف في الانتماء الديني وليس الوطني ، لكن لم يدم الوقت طويلاً ، حتى التهبت نيران الهويات الفرعية مع بعضها بفعل ما ((استبطنه الزمن ، من اكرهات ، وأحقاد جعل حضور ذاكرة الزمن حضوراً سلبياً ، فحول الممكن إلى استحالة وأصبح التراث المشترك متشظياً الى حد لا نلاحظ معه هوية عراقية وطنية))^(٢) ، وبناء على ذلك ندفع هذه الضريبة وهي (ضياع الهوية الوطنية) التي أدت الى ضياع هوية الوطن تلك الهوية التي أتاحت للتجربة الشعرية ان تكون فاعلة في استثمار هكذا موضوع ضمن اشتغالها ، بوصف الموضوع يمس عصب الهم الإنساني الذي انكفأت اليه هواجس الشعراء فمما أثار انتباه الشاعر سامي مهدي تغير ملامح هوية الوطن إلى ملامح توعز بالضياع ، فراح يحاور ذات الوطن عبر استفهام ؛ليحرك صراعاً دلاليّاً برؤيته إذ يقول: ^(٣)

الوافر

أهذا انت يا وطني

أهذا وجهك المخضوب بالدم والرماد

كأنني ما عدتُ اعرفه

كانك لست انت

ولست تملك اي ذاكرة

ولا ذكرى

فهل سلمت روحك للرياح

وهمت ، كالأشباح بين مقابر التاريخ

ام نزلت بما ملكت الى المتاحف

إنّ ما يرسمه الشاعر من صورة قائمة عبر تساؤلاته (أهذا أنت يا وطني ،أهذا وجهك) تتبئ بضياع الوطن ، مما يُدلل استحالة وجود منفذ لانعتاق الوطن من مقصلة المعاناة ، فوجهٌ مخضب بالدم والرماد يخائل من ينظر بالضبابية ، فالشاعر ما عاد يعرف وطنه والسبب بـ(لست تملك ذاكرة ولا ذكرى) ، ثم نجده يسترسل في بوح تراكمات من الاحباطات الفكرية والنفسية التي تجسد أفقاً من عذابات الوطن التي تعددت في استفهامات الشاعر حين اختزل الوطن في ضريين من المكابدة تارة يسلم روحه للرياح تجوب بها ، وأخرى ينزح الى المتاحف بوصف الشاعر ((وحده من يملك زمام الأسئلة الصعبة ،الأسئلة الحائرة والمحيرة معاً، تلك التي تتبعث من أعماق حساسيته المفرطة بكل ما يتداول نبضه لتأتي لاهثة لا تنتظر الاجابات ...ولكن الشاعر لا يريد ان يبقى في كنف أسئلة وحيداً يصهل بها في فضاءٍ خاو...ولذا حمل أعباء تلك الاسئلة ليضعها في الخضم من محيطه الاجتماعي الذي ينتمي اليه ومشاركته الآخرين حيوات

(١) ازمة المواطنة في شعر الجواهري ،فرحان الحيحي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ، ٢٠٠١ ، ٢٧ .

(٢) الزمن ومصادر الهوية ، ٣٨٩ .

(٣) أبناء ايننا ، سامي مهدي ، ٥٤ .

وهموم يصطبغ بها الوجود الإنساني ((^(١) ، ولعلنا نجد خطاباً آخر يُجانب السابق في حوارهِ مع الوطن ، ذلك الحوار الذي يتميز بارتداء ثياب الفجائع التي مرت على العراق ، في أغلب التجارب الشعرية ، فنص نوفل الحمداني واحد منه إذ يقول: ^(٢)

في المخاض الذي مرّ
ما كان يخطر في بال حربِ ضروس
سوى وطنٍ مترع بالندوب
وطني ...
ما الذي تركته على وجنتيك الحروب

استهلال النص يكشف لنا خبايا ما يخطر في ذهنية الحروب من تتاسل غايات تهدف إلى تمزيق الوطن ، إذ تتماهى ذات الشاعر في انهماكاتها الرؤيوية عبر إثارة سؤال نفشى في مواطن تشويه الوطن ف(ما لذي تركته على وجنتيك الحروب) يكتنز على كثافة المأساة التي ما زالت طازجة في كينونتها ، فخطاب كهذا يُعد ((وثيقة شعرية متراصة تداولت مستويات الفجائع العراقية منذ الحروب ذات المسميات المتلاحقة ، مروراً بالحصار الذي طال كل شيء عراقي ، ووقفاً عند الاحتلال الآثم للوطن والعبث بهويته وتاريخه وتطلعات ابناءه))^(٣) ، فالشاعر أكمل رسمه لتشطيات معالم الوطن بالتدرج ، فالرؤية الشعرية اثبتت أنّ ((المأساة الإنسانية هي خامة الآداب والفنون))^(٤) ؛ ولهذا جاء النص معبراً عن شدة ما يعتري هوية الوطن ، تلك الهوية التي اخذت حيزاً كبيراً في الساحة الشعرية العراقية ، التي اختلفت في التعبير عن هذا الموضوع لاختلاف عناصرها الأبداعية ، إذ إن لكل شاعر مرجعياته الثقافية ، وانتماءاته الايديولوجية ، فالمنابع مختلفة في تكوين مادة الشعر _ وان توحد الموضوع حول الوطن _ فهذا مهدي الغانمي ، يحدثنا عن ضياع بطريقة تقترب من الغرائبية ، بوساطة لعبة شعرية ، ففي قصيدته (الوطن بن أبيه) يقول : ^(٥)

الرجز

حدثنا شيخٌ جليل قال
عن شيوخهم
- وهؤلاء منتهى الجلالة -

(٢) منطق النخل ، استدعاءات قرائية في الشعر العراقي الحديث ، علي حداد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٨ ، ١٨٣ .

(١) في الطريق الى القلب ، ٩٠ .

(٢) منطق النخل ، استدعاءات قرائية في الشعر العراقي الحديث ، ١٨٦ .

(٣) شعرنا الحديث الى اين ، شكري غالي ، مكتبة الدراسات الادبية ، دارالمعارف ، مصر ، ١٩٨٦ ، ١٢ .

(٤) المملوء مهدي حارث الغانمي ، دارالمدينة الفاضلة ، ط ١ ، ٢٠١٤ ، ٤٧ ، ٤٨ .

تمخضت مولاتنا أمّ الوطن

فولدت سيّدنا الوطن

وهو ،الى الساعة

لم نعرف له أبا

ولم نجد سلالة

من يمعن الغوص في أعماق هذا النص يُدرك تماماً قدرة الذات المبدعة على النقاط أحاسيس الإنسان بضياح وطنه ، حيث التناول القصصي للحدث يأخذ بتلابيب المتلقي الى منطقة الجذب، فمنذ الولوج في عتبة العنوان أرسل للمتلقي إشارات دلالية إذ ((سعى الشاعر الحديث ،في أكثر الأحيان ،إلى أن يكون عنوان قصيدة تفسيراً : يُجسد معنى القصيدة أو يختصر حكمتها))^(١) ف (الوطن بن أبيه) يُثير احساساً بأنّ الوطن أصبح لقيطاً، اغرقته سديمات . لا فكاك من طوقها . غربته الى ((حد الخوف من الحياة ومن الزمن))^(٢) ، وانقطاع الحبل الهوياتي مع أسلافه ، وسلالته ، بدلالة إنّنا نجهل الرابط بينهما (الأب) ، وبهذا فقد الوطن الهوية الموروثة ،التي وجد نفسه عليها ،أما أمّ الوطن فقد جعلت التمزق هو المهيمن على ذات الوطن ، فالشاعر أنسن اللغة الأدبية الى دوالٍ كلّ دالٍ منها يرمز الى فكرةٍ معينة ، فالوطن الذي يعاني من الضياح الهوياتي هو (الشعب) ،وأمّ الوطن التي تسببت بهذا الخراب والنكوص ،فهي تحمل أكثر من دلالة ،قد تكون السلطات السياسية، التي تعاقبت على العراق ،او الايديولوجيات الدينية المتطرفة ،التي تستقي افكارها من الخارج ،تلك الافكار التي لا تُجيد التعامل مع التأويل ،بل تتعامل مع ظاهر النص فقط ،وما على الشعر ال ان يُصهر هذه الرؤى في بوتقته ،بوصف الابداع ، نافذة لنشر الافكار ، والآراء ، وصوتاً صادراً من ضمير الحياة ، والواقع ،يعبر عن آلام الجماهير ، وآمالها^(٣) ، وفي بيانٍ لشاعرٍ آخر ، يقودنا في مركب تساؤلاته ، الى بؤر المجهول ،يقول : على الامارة:^(٤) متدارك

لماذا هوانا محال

وحقائقتنا من غربتها

لم يصلها الخيال

يتساءل الشاعر لِمَ أصبح الهواء ضمن دائرة المحال ،والحقائق غدت غريبة ،ولم تطأها قدم الخيال ،ثم يجترح لنا سؤالاً، يسهم في تكوين إجابات للتساؤل الأول ،فالهواء محال والحقائق غريبة ؛نتيجة لغياب

(١) الشعر والتلقي ،دراسات نقدية ،علي جعفر العلق ،دار المشرق ،عمان ،الأردن ،ط٣ ،١٩٩٧ ،٥٨ .

(٢) الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر ،مرحلة الرواد ،محمد راضي جعفر ،منشورات اتحاد الكتاب العرب

١٩٩٩ ،١٤ .

(٣) يُنظر: نقد الشعر العربي الحديث في العراق ،عباس توفيق ،دار الرسالة للطباعة ،وزارة الثقافة والفنون ،د.ت ،١٦٢ .

(٤) رسائل الى الموصل ،علي الامارة ،شركة الغدير للطباعة والنشر ،البصرة ،ط١ ،٢٠١٥ ،٢١٠ .

الوطن، مما أثار جذوة الكتابة الاستفهامية لدى الشاعر حين يقول: (١)

ولم يبق في هذه الارض

سؤال

الى اين يا وطني ذاهب

نحن هنا

فتعال

هكذا يُقيمُ النصُّ الشعري طقوسه الخاصة ، وهو يكشفنا عن حقيقةٍ ، هي استحالة العيش خارج احضان الوطن ، اما تواسج الاستفهامات ، فهي اعلانٌ لهجرة الوطن ، فهو لم يذهب الى مكان معلوم بل أفل عنا وتركنا نردد تعال، أو ان الوطن في فترة سبات في أتون الحرب المحيقة به من كل صوب فيُعامل معاملة البعيد ، او الذاهب الى المجهول ، فالأسئلة يوجهها الشاعر رغبةً، في تحقيق حُلُم العودة ، في معانقة الوطن ، في حقبة بات الناس فيها يختلفون ويمعنون ، في إسالة دماء بعضهم بعضا (٢)، فالشعر جعل من منطقة الاشتغال بالوزن والقافية، والتنافس الجمالي ، بين ما يُنسج من الشعراء مقومات ، وسخرها للتعبير عن رؤياه ، ونبوءته ، ولكن ((ينبغي على هذه النبوءة الا تلوي عنقها عن اهم ما يمرُّ به العراق وشعبه، في سنوات محنته ... وكذلك لم يعد الشاعر الحقيقي نظاماً يرضي ذاته ، وأنما عليه عبء التعبير عن الموقف السؤول ، بوصفه مثقفاً منحازاً يلتزم قضايا شعبه)) (٣) ؛ ولهذا اتخذ الشاعر عارف الساعدي من الاسباب التي أدت بحياة الوطن مسوغاً ليجترح لنا بلاداً، ولها وهوية جديدة، يقول: (٤) متقارب

لنصنع منا بلاداً بلا رافدين

بلا نفطٍ لا اولياء ولا اضرحة

ونحرقُ تاريخ كل البلاد

فتاريخها مولغ بالدماء مع الأسئلة

بعد الخيبات التي ألمت بهذا الوطن ، نجد الشاعر يريد صناعة وطنٍ مجرد من الهويات المكانية (بلا رافدين)، والاقتصادية (بلا نفط)، والدينية (لا اولياء ولا اضرحة) ، بل يحرق تاريخ العراق كاملاً ، لأنه موغل بالدماء من الزمن القديم كل هذا التجرد جاء ليحافظ على هوية الإنسان فيقول : (٥)

(١) المصدر نفسه ، ٢١.

(٢) ينظر: غبار السباع قراءات نقدية في نصوص شعرية، عبد الرضا علي ، شركة العارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ١٠ ، ٢٠١١ ، ٤٠.

(٣) المصدر نفسه : ٨٥.

(٤) عمره الماء ، ٧٠ ، ٨٠.

(٥) المصدر نفسه ، ٩.

إذا سوف نبني بلاداً
ونغفو ولو لحظة في يديها
بلاداً نعيش بأحضانها
شرط ألا نموت عليها

الشاعرُ أولى اهتماماً كبيراً في رسم ملامح الوطن الجديد، بوصفه حضناً للعيش، والمكان الوحيد الذي يصلح أن نغفو ولو لحظة فيه وليس الموت عليه ، فالشاعر ((وهو يرسم ملامح الوطن، فقد اشار بأنامله الى تلك النتوءات التي احدثتها الرؤى السياسية المغامرة))^(١) ، والقصيدة بشكل عام رغم اكتنازها على اوجاع إنسانية الا انها لم تغادر مغزاها الاساس ،وهو رسم تشظيات هوية الوطن .

هذه التجليات الهوية التي تخص الهوية الوطنية لم تقتصر على هذه النصوص فقط ، فهناك نصوص أخرى تضمنت ما سبق مناقشته ، ولكن لتقنين الدراسة بالإيجاز نشير إلى بقية النصوص : ^(٢)

(١) ديوان عمره الماء للشاعر عارف الساعدي ،مقاربة وهموم ،عباس عبيد الساعدي ،دار الفراهيدي ،٢٠١٢ ، ٥٥ .
(٢) الأسماء كلها ،٢٢ ،مدونات هابيل بن هابيل ،١٠١ ، بياض السواد ، ٤ ،خذ الحكمة من سيدوري ،٦٢ .

المبحث الثاني

تطرف الهوية الدينية



من أجلِ رصف مدخل يضعنا في صلب الموضوع لا بد من استعراض سريع لبعض التعريفات لفهم تجليات مفهوم الدين الذي شغل الباحثين والمفكرين كثيراً، فالانطلاق من المعجم يكشف لنا دلالات كلمة الدين التي تُؤخذ من الفعل (دان له) وتعني الخضوع والانقياد والاستسلام لطرف ما ،ومن الفعل (دان به) و تعني اعتقدهُ أو آمن به ، وتارة من الفعل (دان) وتعني ملكهُ وحكمه^(١).

أما مفهوم الدين من الجانب الاصطلاحي ،فقد تعددت وجهات وزوايا النظر اليه ؛ لتعدد الاديان وتنوع المجتمعات لأنَّ الدين ((نتاج الحياة المجتمعية القائمة على التلاحم والتضامن والتعاون ... وبالتالي يعبر الدين عما هو مجتمعي))^(٢)، متماهياً مع علوم السوسيولوجيا والانثربولوجيا، ويحمل في جعبته اجوبةً للأسئلة الميتافيزيقية التي تمارس جماحها في العقل البشري ، فمن وجهة نظر علم الاجتماع يعرف ب ((الإيمان بقوة علوية سامية تأمر الناس بقيم اخلاقية ، وانماط سلوكية معينة وتبشرهم بحياة اخرى))^(٣) ، وكذلك يعرف ب ((الرباط الذي يصل الإنسان بالله ...وهو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على اوامر إلهية ...وهو الإيمان بكائنات روحية))^(٤) ، فحتماً إنَّ الدراسات لم تكتف بهذه التعريفات ،كما لا يمكنها الخروج من إشكالية تعريف الدين تعريفاً يصلح لكل الأديان ؛ لتنوع هذه الاديان من حيث ممارسة الطقوس وسلوك التعبد من جهة ،وتباين الفكر الديني بين الديانات من جهة ثانية .

لا شكَّ إنَّ الظاهرة الدينية لازمت الإنسانية منذ نشأتها ،فهي ذخيرة من القوة الروحية تمد الإنسان بحوافز الحياة ،وتوفر له ملاذاً آمناً للشعور بالطمأنينة والسكينة النفسية ؛لارتباط هذه الظاهرة ((بقوى عليا يتلوه محاولات لاسترضاء هذه القوى))^(٥)، فالهوية الدينية بوصفها اعتقاداً وممارسة تساعد الافراد على تعزيز الشعور بالانتماء إلى الجماعة ، وترتد تلاحم الإنسان مع اخيه بالقوة ؛لتوحيد هوية معتققيها ،ولكنها في جهة ثانية يمكن عدّها أرضية خصبة لنمو الصراعات الهويةانية خاصة عندما تُدنس وتُنتهك رموزها ومقدساتها ،او حينما تذهب الهوية الدينية إلى إلغاء الآخر المختلف معها فكرياً أو سلوكياً، وبهذا لا يمكن للمنتمي لهذه الهوية الهرب من قضبان التطرف والتعصب لها ؛لأنه يقرأ الحقيقة الدينية بعين

(١) ينظر: لسان العرب مادة (دين)، القاموس المحيط مادة (دين).

(٢) سوسيولوجيا الاديان ،جميل حمداوي ،الدار البيضاء ،٢٠١٧، ٥.

(٣) علم الاجتماع ،انتوني غدنز، تر، فائز الصياغ ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت لبنان ،٢٠٠٥، ١، ٥٠٩.

(٤) الدين ،بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان ،محمد عبدالله دراز ،دار العلم ،الكويت ط٥، ٢٠٠٦، ٢٤، وينظر:

دين الانسان ،فراس السواح ،، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني ، دار علاء الدين ،ط٤، ٢٠٠٢، ٢٥ : ادوار سعيد المؤثرات

الدينية للثقافة ،وليام د.هارت ، تر، قصي انور هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث ، ط١، ٢٠١١، ٣٤.

(٥) دين الإنسان ،بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني ، ٢٥.

واحدة على وفق رؤى ومقاييس الثنائيات المتضادة مرةً يُدنس هذا الخطاب ، وأخرى يُقدس هذا الخطاب تماشياً مع طموح ومصالح الذات للوصول إلى التفرد ، وهرم التميز في النرجسية الدينية .

ففي العراق تصدعت الهويات الدينية نتيجة مرض الروح الدينية المغلقة في قراءة وتأويل النصوص المقدسة التي تقاطع الإنسان مع الإنسان في فكر القارئ المؤول ،ذلك القارئ الذي تبوأ مكاناً من التعصب والتطرف يُمكنه من احتكار وهم الحقيقة والمعرفة وحده من دون الآخر الذي قد يكون مجتمعاً أو فكرياً أو ديانة أخرى هذه الافكار الدوغمائية ((وان كانت اكثر المنتجات القابلة للانتشار ،فإنها لا يمكن بطبيعة الحال إلا أن تكون تعبيراً عن حاجات وأزمات سياسية وثقافية ومعرفية ، وبالتالي هي لا تأتي بالمطلق من خارج المجتمع ،او من خارج التاريخ))^(١) الديني الذي يشكو من أزمة القراءات في الوسط الاسلامي ((ذلك ان ظاهرة الإسلام السياسي عموماً منذ نشوئها ثم دمجها ،أو وصمها بالإرهاب أو العنف ، خضعت لتفسيرات ،وتحليلات شتى...منها ما اعتبر العنف مكوناً بنيوياً أصيلاً في منظومة القيم التي تنطلق منها ...لتحليل معنى دلالات قطع الرؤوس فضلاً عن العمليات الاستشهادية ،و الانغماسية))^(٢) في الساحة العراقية التي تعددت فيها الهويات الدينية ، فلئن كان الفكر الطبيعي يُؤمن بوجود تنوع ،وتناقض بين المعتقدات ضمن الفضاء المجتمعي فالفكر المتطرف يرفض وينبذ كل ماهو مختلف معه ، ولا يتعامل بالوسطية التي تحفظ هوية الإنسان .

ومن هذه الصراعات الدينية فاضت أنهر المنجز الشعري موضوعاً ورؤيةً لبنية ابداعه ؛ليكشف عن البروز الصارخ للهويات الاسلامية المتطرفة التي تتغذى على سفك دماء الآخر ،وكذلك اظهر لنا هويةً اخرى (المسيحية) بشكل مغاير للهوية السالفة ،كونها عانت كثيراً من التهميش والاقصاء بسبب التطرف الاسلامي او غيره ،ولكل من الهويتين تجليات في المتن الشعري الذي واكب المشهد العراقي بكل تفاصيله القابعة .

لم يعد سراً حقيقة تلك الهوية المتطرفة بشرعنة الدين حسب مقاسها الفكري ، بل نلاحظ اقرار الذات الجمعية بأنَّ للممارسات المتمخضة عن الروح الدينية يداً في عملية إراقة الدماء وتهميش الآخر باسم الرب ،فالشاعر يحيى السماوي أحد الاصوات التي أقرت ذلك بترانيمها المضمخة بشجاعة البوح يقول:

(٣)

الرجز

فمرة

(١) سوسيولوجيا الهوية ، جدليات الوعي والتفكيك واعادة البناء ،عبد الغني عماد، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ١ ، ٢٠١٧.

٢١٩.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٢٠.

(٣) البكاء على كتف الوطن ، ٥٧.

تُذبح باسم
جنة السلام
ومرة
باسم فتاوى
حُجة الاسلام
ومرة
تُسلخ لما رآه في منامه
سماحة المفتي
وما فسرهِ
وكيله الغلام

يُشهر النصُّ هويةً متطرفة لا تترك فسحة للحياة من الغرق في خضم ذلك اليم الذي ينبع من نصوص إسلامية قُرئت سطحيّاً، هذه القراءة التي صنعت لنفسها دينياً يقوم على القتل والذبح ، لأنّ من ينتمي لهذه الهوية يشعر بأنّه ((ابن الله والآخرين أبناء الشيطان فهو يتوجه نحوهم بصفات الإلغاء وأفعال الإرهاب ، وكلما صدر الفعل الإرهابي عن قناعات مستمدة من ذلك الاستعلاء والفخر المجوف والحماسة الغاضبة متلبساً بلبوس دين، او قومية ما ، أو ايديولوجيا معينة ، أو قراءة مذهبية كلما كان تدميرياً في طروحاته وأفعاله))^(١) التي تذهب إلى تغيب روح الإنسانية في الإنسان عبر ما تضمنه النص من سخرية لاذعة حول فتاوى حجة الاسلام ، أو ما رآه سماحة المفتي وتفسير الغلام بوصف ((الارهاب منذ كان الى اليوم صناعة إنسانية خالصة أداته الإنسان وضحيته الإنسان ايضاً))^(٢) وإذ تسترسل الهوية الدينية بإلغاء الآخر باسم الرب حين تتعكز على قراءات ، أو تأويلات لنصوص سماوية تقدس الإنسان وتقولها ما لم تقل تماشياً مع ايديولوجيا الهوية الارهابية ، وبهذا الوجد يصيح الشاعر شاكر التميمي ليبوح بما يعصر قلبه يقول: (٣)

الرمل

ألم يعصر قلبي
حين عيناى تراهم يذبحون
ثم بعد الذبح دوماً يصرخون
كبروا (الله اكبر)

(١) الشعر فاعلا ارهابيا ، قراءة في خطابات شعرية سلبية ، رحمن غركان ، رند للطباعة والنشر ، دمشق ، ٢٠١٠ ، ٢٦٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢٩ .

(٣) خليجات عند احتضار الافق ، ٧٦ .

يبعث هذا الخطاب بخباياه التي تكشف لنا تبريرات داعمة للاضطهاد تتكئ على مسوغات دينية أخذت من الإنسان قرباناً لدخول فردوس الوهم والظفر بحور العين، فالاشتغال على شعارات إسلامية احتواها النص (الله اكبر) يُراد منها شرعنة أفعالهم من جهة وغرس بلادة العاطفة الإنسانية، وجفاف الشعور بالآخر؛ لإشاعة الذبح من جهة أخرى اعتماداً على ظنون واهمة بان الهوية المتطرفة ((تمتلك الحقيقة المطلقة، والمعرفة التامة، والصواب المحض، وهي وحدها تعبر الصراط المستقيم الذي يؤدي الى الجنة بشكل حصري))^(١) وفي طاقة شعرية أخرى نجد انساقاً تشكل معلماً للتطرف الهوياتي في المجتمع فصلة الشاعر بالمجتمع متينة فهو ((لا يسقط على مجتمعه من السماء وإنما ينشأ فيه ويصدر عنه يصدر عن كل ما رأى فيه وأحسّ وسمع ناسجاً مادته من مسموعاته، وإحساساته، و مرئياته))^(٢) فمن المرئيات التي تُسجت منها بؤرة النص الشعري هي عمليات التفجير المبنية على رؤى جهادية يقول: الشاعر سعيد جاسم الزبيدي^(٣)

الرملة

واذا الجسر الذي كنا نمّني النفس ان نعبر مثله

فجروه

فجروا اي عراقي

مشى يطوي جناحيه عليه حينما يصحب ظلّه

هكذا يبقى الخطاب الشعري نافذة ضوئية تزيج ما انسدل من أفكار التدين الزائف بوساطة فضحها لهوية التطرف الديني بوصف ((الخطاب الإبداعي يقترب أكثر من غيره لمعاينة الظاهرة عن قرب، بل يدخل إلى عمقها ويسبر اغوارها كاشفاً عن كواليس الهوية الدينية المتشددة والاستراتيجيات التي تعتمدها))^(٤) للقضاء على كل ما تتمناه او تحلم به هوية الإنسان، وهذا يشكل قلقاً وجودياً لدى الآخر المنضوي تحت خيمة هذا الوطن، ومن ثمّ نجد ان جمال الحياة يفتأ ان يظل مُعتقاً بوجود تطرف ديني يتسم بالتكافؤ بين تفجير الجسر وتفجير الإنسان العراقي في مدينة الكاظمية تحديداً.

(١) العنف المقدس في الاسس الثقافية لعنف الجماعات التكفيرية، عقيل سعيد، مؤمنون بلا حدود ٢٠١٧، ٨.

www.mominoun.com

(٢) البحث الادبي، طبيعته، مناهج، اصوله، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢، ٩٦.

(٣) صوت بلا صدى، سعيد جاسم الزبيدي، دار كنوز المعرفة، عمان، ط١، ٢٠١٠، ٣٣.

(٤) سوسيولوجيا الهوية، جديليات الوعي والتفكيك واعادة البناء، ٢٥٢.



هكذا تنهل رماح التدين المجوف من خاصرة الحياة ؛لنتثير في العالم الجواني للشاعر اسئلة لا تكاد تغادر
التمثل الطاعن في المأساة التي أراقت حتى دماء الاطفال الثمينة ببراءتها يقول: الشاعر محمد الاسدي
(١)

الرمل

يا دم الاطفال
من ارخص سعرك
لم تزل تجري
وتجري
ساخناً
تصبغ عصرك

الاستفهام في النص جاء ليستنطق براءة الدم المقدس ضمن اشتغال يكشف شرعية مؤقتة لمصادر الظلم
الديني ،وعوالمه ف ((الديانات السماوية حين تصبح أرضية بفعل تراكم القراءات السلبية التي تنقل المقدس
من سماء الله في كتابه إلى فضاء التأويل في رغبات العقل مما يؤدي إلى إلغاء الآخر المختلف ،فإنها
تشيع الإرهاب وتنباه مع المختلف))^(٢) حتى وإن كان طفلاً ينتمي لهوية الآخر ، هكذا نتواءات تمزق
أواصر المجتمع، وتقطع حبل تواصل ابنائه.

بهذا وغيره من النصوص يتضح عمق اشتغال التجربة الشعرية بموضوعات تشكل تلامس شغاف الوجود
الإنساني ، فالشاعر يعي ذلك ويحاول بهذا الوعي ان يكون النص المائل صنواً كاشفاً لهذا الفكر المؤدلج
دينياً، وهذا جاء نتيجة متأتية من اعتماد الهوية الدينية على ((التأويل الذي اعادة انتاج الدين خارجاً به
عن حقيقة وجوده ووظيفة حدوده لدى الشعوب))^(٣) .

فالقول : إن ((الإنسان كائن متدين ،وإن تباينت تعبيراته عن تدينه ، واختلفت تجليات ومظاهر
الدين في حياته))^(٤) لا يعني ان يتزمت في طروحاته بعقلية دوغمائية ((تقدم النص الثابت على العوامل

(١) معجز احمد، تنمة معاصر غنائيات العقل ، محمد الاسدي، دار تموز ،دمشق، ط٢، ٢٠١١، ٢٣.

(٢) الشعر فاعلاً إرهابياً قراءة في خطابات شعرية سلبية ، ١٥٠.

www.mominoun.com (٣) الدين والهوية بين ضيق الانتماء وسعة الابداع ،الحاج دواق ،مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٦، ٢٠.

(٤) انقاذ النزعة الإنسانية في الدين ،عبد الجبار الرفاعي ،مركز دراسات فلسفة الدين ، بغداد، ط٢، ٢٠١٣، ٢٧٣.

الإنسانية ، والاجتماعية المتميزة بالحركة والتغيير وتفرض قراءة واحدة على باقي القراءات للنص ((^(١) التي قد تُعطي نافذة ضوئية تعمل على ابتكار أفقٍ جديدٍ مكتنزٍ بالحياة غير مكتنزٍ بفقه الدراويش الذي يحاول طمس معالم الجمال بنشر عفونته على جميع ادبيات الوجود ، فهذا يحيى السماوي ينسج من خيوط وجعه صوراً ساخرة تتضمن في قيعانها نقداً لرجس فكرٍ متطرف دينياً يقول : ^(٢) الرجز

يحدث ان يُقتل عصفورٌ

لان ريشه

ليس بلون جبة الامام

يحدث ان يُصفع ظبيٌّ

في الطريق العام

لأنه

لم يطل اللحية

ان تُطرد من ملعبها غزالة

لأنها

لا ترتدي عباءة

طويلة الاكمام

وهنا تتبدى لنا أنَّ ((حساسية الاشتغال الشعري مستندة الى مقولة حداثوية تفيد في أنَّ كلَّ ما يتحمله النص مقصود))^(٣) وتكمن هذه الحساسية في الحفر بما يؤرق الإنسان والطبيعة ،حيث تنبّهت له مرآة الشاعر بمقاربات تبدو غرائبية ،فقتل العصفور ،وصفع الظبي وطرد الغزالة تمثل عمليات استلاب نستشرف منها تطرفاً يُصهر إرادة الكائنات للدخول في الدين اكرهاً بوساطة أدلجة المحال وهو ارتداء لون ،ونوع الملابس التي تدل على تدينهم قصراً ليس على أبناء جلدتهم في الإنسانية فحسب ،بل على الحيوانات التي خلقت بأشكال هكذا، فتكرار دال ألّسني (يحدث) يؤدي ((وظائف عدّة منها وظيفة شعورية ،بتركيز الشاعر على عبارة واحدة، يجعلها قطب الرحى أو مركز الخصوبة الدلالية في النص ، مسلطاً أنظار المتلقي الى مدلول العبارة المكررة ،وأثرها الباطني على نفسه، ومثيراتها الطاغية على ذاته، ليبث معاناته ،وقلقه))^(٤) ،حتّى لقد تفشت الاكتناحات الدلالية للأفعال التي تدلل على استمرارية الأحداث

(١) سوسيولوجيا العنف والارهاب ،ابراهيم الحيدري ،دار الساقى ، بيروت ،لبنان ، ط١٥، ٢٠١٥، ١٤٣ .

(٢) البكاء على كتف الوطن ، ٥٩.

(٣) الدراويش والمرايا ،قراءات نقدية في نصوص عراقية معاصرة ، حمد محمود الدوي ، دارميزوبوتاميا ، ١٣، ٢٠١٨.

(٤) حفريات النص الشعري ،قراءات في نصوص عراقية معاصرة ، حمد الدوي وطلابه ، دارميزوبوتاميا ، بغداد ١٢، ٢٠١٧ .

؛ ((لأنَّ حياتهم مهووسة بالهيمنة على الآخر ،هم بحر يغرق فيه كل مختلف عنه))^(١)، هذه المضامين
المستلة من الواقع المعيش شجعت قلم الشاعر عليّ الإمارة على استثمارها في تخليق اغصان نصه الذي
مثل مساحة تظهر الهوية الدينية ذات النزوع المتطرف على حقيقتها يقول: ^(٢))
متقارب

من ترى هؤلاء؟

اي وصف يليق بهم

وقد دنسوا كل ما يلمسون

حتّى الهواء

تقيأهم زمن مظلم

وليس لهم لغة

غير هذا العواء

حتماً إنَّ استفهام الذات الشاعرة يجعلنا في فضاء تتصارع فيه هويتان الأولى تُثير غبار الدين
المتطرف ،والايديولوجيات الأحادية المنبثقة من طروحات إلغائية ،والثانية المتمثلة بهوية ال(نحن) تعاني
من ضيق في استنشاق هواء الطبيعة بسبب مثار نقع الاولى التي لا تجيد غير لغة العواء، فالذي ينتمي
لهوية التطرف ((يقرر إنَّه بواسطتها يمكن أنْ يحمي وجوده...إنَّه يحول العنف الى جزء طبيعي ، بل إلى
جزء لا يتجزأ من الواقع الاجتماعي))^(٣) الذي يعيش فيه .

أن التجربة الشعرية العراقية جعلت من بروز مخالب الهويات الدينية المتطرفة مناط الاستثارة الأول في
معالجتها لموضوعاتها وفي فضاءات اقتناص الظواهر الدينية في المنجز الشعري تلوح لنا قصيدة الشاعر
سامي مهدي لتفصح عن ثيمة غاية في الأهمية مفادها ان الحقيقة ليست مطلقة يقول: ^(٤)) متدارك

خطأ

خطأ كان منذ البداية

والنظريات تُخطئ

بل سقطت

وغدت مرضاً

(١) الشعر فاعلا ارهابيا ،قراءة في خطابات شعرية سلبية ، ١٥٤ .

(٢) رسائل الى الموصل ، ٥٨٠ .

(٣) الشعر فاعلا ارهابيا ، قراءة في خطابات سلبية ،

(٤) يحدث دائماً، سامي مهدي ، دار ميزوبوتاميا ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٤ ، ٦٣ .

حين ايقنت أنّك وحدك

كالله

تملك كل الحقيقة

كالله

اجدرُ بالملك

والحلّ والعقد

من سائر العالمين

إنّ الايمان بالحقيقة الدينية والتعصب لها لهو من الأمراض التي تهتك بهويات الآخرين ، فالنص يقوض النظريات الدينية ذات الفكر الأحادي التي تعتمد على ان من يختلف فكراً معها تلاحقه حجارة الدين ،ومن ثمّ ليس هناك تنزيه من الخطأ ، فالله وحده من يملك الحقيقة ،وغير ذلك فهو نسبي مبني على التقاسم والمشاركة بين جميع الأفكار ،وبهذا فالنص يمثل رؤية تستند إلى إحلال الفكر التنويري النقدي محل الفكر المنغلق الثابت الذي يتصف بالجمود ((حيث الوصول إلى الحقيقة التي هي على طول الخط نسبية ،وصولاً يشارك فيه الجميع رغم تبايناتهم إلى درجة التناقض احياناً ،وهذا يعمق الخروج الى فضاء الإنسان بوصفه أولاً إنساناً ،ويدفع الذات الى ابتكار اشكال جديدة لفهم الآخر ثانياً))^(١) .

في ظل هذا الاحتدام الدموي الذي مارسته الهوية الاسلامية المتطرفة المتجلي في بنية النصوص تتنبق مساحةً أخرى من التجربة الشعرية تكتنز على طاقاتٍ من البوح تؤكد في أفق اشتغالها بوجود هوية دينية عانت من الوجد ،والتشظي بسبب انتمائها ،وهذا تمثل في مواطن كثيرة منها قصيدة (إليك سيده النجاة) للشاعر الفريد سمعان يقول: ^(٢)

الرجز

يا أخوة الانجيل

إنّها تزهو بنا

ونحن يا أحبتي نزهو بها

بل إنها تمنحنا الرجاء عندما نقول

صلّي لنا يا مريم العذراء

(١) الهوية والمواطنة ،البدائل الملتبسة والحداثة المتعثرة ،عبد الحسين شعيان ،مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، ٢٠١٧ ، ٢٥_٢٤ .

(٢) الطيور ،الفريد سمعان ، دارالاديب للصحافة والنشر ، عمان ، ٢٠١٣ ، ٣١ .

صلي للخطاة التائبين

تفشي الخطر الارهابي المحيق بكل شيء يجعل استدعاء القوى الروحية المتمثلة بالنص(مريم العذراء) ضرورة حتمية تظل الهوية المسيحية من هجير التطرف ،فالنص يناقش حادثة اقتحام كنيسة (سيدة النجاة) في كينونته التاريخية ،وهذا مدعاة للتجذر الهوياتي بأدوات لغوية تؤكد المضارعة ،واستمرار الانتماء ،والاعتزاز به (تزهو بنا ،نزهو بها ،تمنحنا الرجاء) ،فكلما تعرضت الهوية وخصوصاً الدينية الى الطرق ازدادت تشبهاً بخشبة انتمائها، وهذا افضى إلى أن تجيء الهوية المسيحية عبر رموزها (الانجيل ،مريم العذراء) وهي مثقلة بالوجع جراء ما تتعرض له .

وفي خطاب آخر أتخذ من الحدث السالف مادةً لنسج لواعج هوية أثقلها المسخ والشمولية يقول: الشاعر علي حميد الشويلي في قصيدته (عرس السماء)^(١)

من نحن ؟

انغلقتنا حول اجزاء الرصاصة

رمل

ليلهم اقذر من أن يعتري ذاك النهارا

انهم جوع لكل سلالة للحب

فارتجلوا اله الكره

وانسلوا جهارا

انهم وجه لنفس الموت في زي الحياة

كامل

قتلوا المسيح على بساط الرب

وافترشوه في وقت الصلاة

كثف النص من دوال اللعبة الشعرية لصناعة الهوية المسيحية عبر أدوات لغوية (قتلوا المسيح، افترشوه) ،تلك الهوية التي تعرضت للتتكيل ،أو الاضطهاد ، فالنص ربط العذابات الماضية بعمليات الاقصاء الراهنة ؛لتساوي وتشابه المأساة عبر التراكم الزمني ، أما الجانب الآخر لمرايا النص فإنه يختزل جميع المظاهر التي لا تخرج عن كينونتها المتطرفة هوياتياً تعريضاً بانحسار هذا التطرف في جسد الهوية المسيحية ،وكذلك قلب موازين الأنساق الأخلاقية المبنية وفق رؤية لا إكراه في الدين إلى اتخاذ الكره آلهة يتزلفون إليها بقتل الآخر لاختلافهم معه.

(١) على طبق من أنثى ،علي حميد الشويلي ، مكتبة عدنان ، ط١ ، ٢٠١٢ ، ٣٥.

بهذا القلق الوجودي والانكسارات الهويةانية اضاعت لنا فوانيس ابداع الشعراء عن تساوي كفتي الوجد بين الهوية المسيحية والاسلامية الاصلية التي تعاني مما أصابها من هوية لقيطة تدعي التدين والاسلام والمقطع الآتي للقصيدة السالفة يبين ذلك ^(١)

أنا مسلمٌ قد جئتُ أقسمُ أننا

لسنا الذين ...

فهم ممرات إلى اللاشيء

ربهم الفراغ

...

قد جئتُ أحملُ دمع طه واحتراقات الحسين

قد جئتُ ابكي جرأة الساعات في شفق السنين

انا مسلمٌ لكن عيسى

غاص في طيني الى حد اليقين

هكذا يرحلُ بنا الشاعر إلى فضاءات مسكونة باللوعة والمأساة بلغةٍ تتكئ على التراث الموبوء بازدهار هويات التطرف بوجه الاسلام الحقيقي عبر رموزه (دمع طه ، احتراقات الحسين) ، فذاكرة الشاعر المبتلة بالدم والحزن بسبب امطار اسلام التطرف جعلت من الذات الجمعية محور عملية الاعتراف للهوية المسيحية ،ومفاد الاعتراف بأن السيل الجارف لهذا الفكر اجتاح اسوار الهويتين المسيحية والاسلامية ، فأستدعاء فترات ما زالت راسخة ومعششة في أروقة الثقافة الاسلامية اسعفت النص في تقديم موضوعه ،حتى شكل مساحة لتواتر الفكرة التي مثلت بتواردها بؤرة للانطلاق في فضاء الفجائع الراهنة التي شكلت قلقاً يهدد مصير الإنسان ، وبهذا ظهرت الهوية المسيحية وهي تشكو من الاستلال الوجودي لانتفاء أفرادها، وهذا يدل على النضوج في تناول موضوعات تلامس الوجد الإنساني ف ((ايدولوجيا الشاعر الحديث تتبع أساساً من إحساسه الذاتي بالقضايا الكيانية الكبرى ،لذلك فهو لا ينحصر في أطر سياسية او اجتماعية او اقتصادية ،وإنما يكسب ايدولوجيته في الاطار الحضاري الشامل لمأساة الإنسان))^(٢) ،

(١). على طبق من أنثى ، ٣٧.

(٢) المعذب في الشعر العراقي الحديث ١٩٥٨-٢٠٠٠ ،لؤي شهاب محمود ،اطروحة دكتوراه ،جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد

١٠٣، ٢٠٠٥.



ثم يتعاضم شكل الخوف من الضياع في طقس من التلاشي والخذلان في رؤية الشاعر عليّ الإمارة حتّى
إنّه رأى الخوف موزعاً على محيا الكنائس ، والجوامع بمقاييس التشابه يقول: (١)

فأني رأيتُ هناك
في نهاية أفقك
قافلة الأنبياء
تطلب حق اللجوء
ورأيت الكنائس مثل الجوامع
خائفة
أن يطال فضاءها العواء
أراضية انت
أن يحتوينا الهراء

متقارب
متدارك

نصّ تتكاتف فيه أحاسيس الاحباط والرهبه في مدينة شوّهت هويتها القارة بمغادرة قافلة الأنبياء إلى
المجهول ، فهذا الخوف وما يقتضيه من هيمنة طاغية لقوى الهويات الدينية المتعصبة هو بداية لجذوة
عماد الانتماءات الدينية وبروزها في المشهد العراقي بعدما كانت ضامرة ، وفي بوح آخر يفيض بالشكوى
لضيق العيش تحت وطأة المفارقة حيث الخطاة يُحتفى بهم بالمرح ، والانبيااء يُقتلون يقول: الشاعر الفريد
سمعان (٢)

الرجز

علمتُ يا سيدتي
من رحلة العمر التي حصدت شوكا
في عصرنا الموبوء بالآثام
الخطاة ... يمرحون
والانبيااء يُقتلون

رحلة من الشوك تراكمت فيها خبرة الشاعر بطريقة تُمكنه من الحفر في موروث الهوية المسيحية المتمثل
ب (سيدتي) ليبوح ما طفقت به ذات الشاعر من قتل الأنبياء ومرح الخطاة ، ويبدو ان إلغاء هذه الهوية

(١) رسائل الى الموصل ، ٣٥٠.

(٢) الطيور ، ٥٧٠.

عبر التاريخ يعيد نفسه بمفارقة جعلت الشاعر يصدق بانتمائه للوجع القديم للهوية المسيحية لتقوية
اواصر الانتماء الهوياتي .

إن ظهور الهويات الدينية بأشكالها السالفة المضطهدة التي تحاول التشبث بالموروث الديني لتماسك
جذور الهوية والتخلص من كوابيس القلق الوجودي ، والأخرى المتطرفة التي تحاول التميز والظهور بقوة
، وفرض أيديولوجياتها شكّل بوجهٍ أو بآخر تفككاً في بنية المجتمع العراقي ، إذ أصبح الهروب الى
هويات الدين هو الكنف والملاذ الآمن بعد تشظي الهوية الوطنية .

ومن ثمّ لا بُدّ من الإشارة إلى نصوصٍ شعرية أخرى تكتنز على ما تطرقنا إليه من مفاهيم تدور في فلك
الهويات الدينية ^(١)

(١) يُنظر: خلجات عند احتضار الافق، ٩، ٦٢، ٧٦: ذكريات نبض، ٧٣: مياه النص الاول، ٤٢-٤٣: سلالم الاسئلة، ٢١٣ ، البكاء
على كتف الوطن، ٨٧.

المبحث الثالث

تلاشي الهوية القومية

مفهوم القومية :

لا سبيل لفهم مفهوم القومية سوى الانطلاق من توضيح الإطار اللغوي والاصطلاحي له ، فقد ورد في معاجم العربية إن كلمة (قَوْمٌ) كل رجل شيعته وعشيرته والقوم : الرجال دون النساء^(١)، وهذا يعني : أي جماعة تربط بينهم رابطة معينة .

أما في الدلالة السياسية ، فيرتبط مفهوم القومية بمفهوم الأمة من حيث الانتماء الى أمة محددة^(٢) هذا الارتباط جعل التفريق بين مفهومي الأمة والقومية بالغ الصعوبة ؛ لأن الأمة تعرف بأنها ((الشعب ذو الهوية السياسية الخام الذي تجمع بين أفراده روابط موضوعية وشعورية وروحية متعددة تختلف من شعب لآخر مثل اللغة والعقيدة والمصلحة والتاريخ والحضارة))^(٣) ، أما القومية فيعرفها أنتوني دي سميث بأنها ((حركة ايديولوجية لنيل وحفظ الاستقلال والوحدة والهوية لمجموعة من الأفراد الذين يؤمن البعض منهم بأنهم أمة))^(٤)، ولتحقيق أهداف هذه الحركة الايديولوجية التي تقوم على أساس لغوي أو ديني أو طائفي ، وجب على القوميين أن ((يضعوا أيديهم على مشاعر الهوية ذات الجذور الأكثر عمقا فيستدرجون الأفراد نحو مشاعر التفاني و التضحية حيال قيم متخيلة غالبا والتي تمثل أساسا للتنظيم الحركي))^(٥) ، وهناك من يعرفها على انها ((نتاج اصطناعي للفقاعات و الولاءات والتضامن التي مصدرها الثقافة))^(٦) ، والفرق بين الأمة والقومية يمكن تلخيصه بالآتي: ^(٧)

١- إن الأمة تعترف بالتنوع وتقوم على ذكريات وتاريخ مشترك وتتصف بأنها تنظيم عقلائي

٢- القومية تقوم على النقاء والأساطير المشتركة وتتصف بأنها تنظيم لا عقلائي

أما الهوية القومية : فتعرف بأنها ناتجة عن جماعة تشكلت وتبلورت في وجدان الفرد إنها بناء أو تشكل أو تصور مجرد وفكرة تضامن مع كيان أو تشكل خارج إطار القرابة وهي فكرة خيالية^(٨)

الهوية القومية بين النشأة والأفول:

(١) ينظر: كتاب العين ، مادة قوم ، وينظر لسان العرب ، مادة قوم.

(٢) معجم المصطلحات السياسية ، عبد الوهاب الكيالي ، المركز القومي للترجمة ، ط١ ، ٢٠١١ ، ٤ ، ٨٣١.

(٣) المصدر نفسه ، ٨٣١.

(٤) العراق من صدمة الهوية الى صحوة الهويات ، ٤٣.

(٥) المصدر نفسه ، ٤٢.

(٦) الهوية وقضاياها ، ٤٠٦.

(٧) ينظر العراق من صدمة الهوية الى صحوة الهويات ، ٤٢.

(٨) الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر ، أحمد بعلبكي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، ٢٠١٣ ، ٤٠٦.

تزامن ظهور مفهوم الهوية القومية مع اندلاع الثورة الأمريكية (١٧٧١ - ١٧٨١) والثورة الفرنسية (١٧٨٩) حيث كانتا الحدثين الأساسيين اللذين أسسا للمفهوم الحديث للقومية بوصفها وقعاً سياسياً^(١)، أما القومية عند العرب كمصطلح حديث النشأة ((تشكل في نهاية القرن التاسع عشر و بدايات القرن العشرين وهما العصران اللذان يطلق عليهما عصر القوميات))^(٢)، فظهر الفكر القومي ونشوؤه لم يكن محض الصدفة في تلك المرحلة ، فاشتعال فتيل الحس القومي جاء نتيجة طبيعية للواقع الطافح بالمشاكل وقتذاك كون ((الفكر ينشأ من المشكلات التي تتخض عن الواقع))^(٣)، وحتما تسعى القومية الى طرح الحلول لهذه المشاكل التي أصبحت فيما بعد اسباباً ساهمت في ولادة القومية العربية ومنها^(٤):

- ١ - الظلم والاستبداد والإضطهاد الذي مارسته الدولة العثمانية مما أدى الى نشوء حركات قومية معادية للسلطة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وهذه الحركات تدعو للاستقلال السياسي .
- ٢ - ضعف الدولة العثمانية وانحطاطها من جهة والانفتاح الغربي في تلك المرحلة اسهم إسهاماً مباشراً في تشكيل هذا الوعي الجديد ، فتولد شعور عربي مفاده أن خطر الغرب قد يصبح أعظم من الخطر العثماني . مما جعل إهتمام القوميين يدور حول إيقاظ صورة الماضي لإثارة المشاعر عند الجمهور اعتماداً على اللغة والتاريخ ، والخصائص النفسية والمصالح المشتركة ، فغاية القومية السامية هي ((توحيد الشعب والطاقت وتحرير الأرض والإنسان من الاستعمار والتبعية وإقامة نموذج حضاري اعتماداً على قواها الذاتية بالاستفادة من تجربتها التاريخية ومن التراث الحضاري))^(٥)، وبهذا ينتقي عن القومية كونها عرقية لأنها لا تعتمد العرق أو الدم أساساً لها، ((فالوعي القومي استقطب المفكرين العرب ، والمسيحيين مما أدى إلى أن تكون الروابط القومية اهم سياسياً من المعتقدات الدينية التي تفرق بينهم ؛ولذلك نادى اصحاب هذا الطرح بوجود امة عربية تضم المسلمين، والمسيحيين))^(٦) ، وعلى هذا الاساس حاول التيار القومي ترميم الواقع ؛ للوصول الى هوية العرب الضائعة، وهذا ما جعل أحد الباحثين يقول: ((بأنّ الثقافة القومية هي التعبير عن أفضل الاقوال، وأفضل الأفكار))^(٧)، ولكن الفكر القومي لم يصل الى حلمه المنشود ، فسرعان ما توالى على البلاد العربية نكسات الاحتلال، وذهبت

(١) ينظر الماركسية والمسألة القومية ، جورج طرابيشي ، دار الآداب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٩ ، ٥٤٠ وينظر اللغة والهوية (قومية ، إثنية ، دينية) ١٢٣ .

(٢) الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع (دراسة في الفكر المعاصر) ، عهد كمال شلفين ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، ٢٠١٥ ، ٩١ .

(٣) تحولات مفهوم القومية العربية من المادي الى المتخيل ، هاني عواد ، الشركة العربية للأبحاث و النشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٣ ، ٥٠ .

(٤) الهوية العربية ، صراع فكري وأزمة واقع (دراسة في الفكر المعاصر) ، ٩٠ .

(٥) الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر ، ٧٠ .

(٦) الرؤى الفلسفية في الشعر العراقي الحر ، ٣٩٤ .

(٧) المثقف والسلطة ، ادور سعيد ، تر: محمد غالب ، دار رؤية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦ ، ٦٨ .

القومية إدراج الرياح ،فالشعارات القومية لم تُطبق على أرض الحقيقة ، وما حصل ((تغيب للفكر القومي وتغريب لمعتقديه ،وقد حلت محله الاقليمية القطرية))^(١) ، بل نجد أنَّ التجارب السياسية القومية (العراق أنموذجاً) تعتمد مبدأ الاقصاء والتهميش لمكونات الشعب التي لا تُؤمن بهذه الايديولوجيا ، كون السياسة تنبؤاً مكاناً مهماً في الساحة العراقية وقد مثلت الوجه البارز في حياة العراقيين الثقافية والاجتماعية .

أما علاقة ارتباط القومية بالشعر ،فقد شكل التراث الأدبي رافداً مهماً من روافد القومية منذ ارهاصات الاولى ، إذ يقول: طه حسين ((أنَّ الشعر هو منشئ القومية العربية ،وهو الذي شارك في تكوينها وتكوينها وأن الأدب هو الذي أتاح لهذه القومية أن تنمو))^(٢) ، بوصف الشعراء مجسات ،يشاركون الأحداث السياسية ولهم أفكارهم ، وطرق ترجمة هذه الأحداث إلى نصوص إبداعية ، غاية هذه النصوص استنهاض الهمم ، وبث الامجاد من خلال التغني بالتراث ،والمعتقدات والدين ، ف ((العلاقة وثيقة وطردية بين الفكر القومي وتطور الوعي الشعري والمضمون الشعري ، وبهذا الارتباط اتسع أفق الشاعر القومي وتعمق وعيه الإنساني ، وكان ذلك سبباً في إثراء القصيدة القومية))^(٣) كما لا يمكن تجاهل ((فترات الغزو وموجات الاستعمار الحديث وما صاحبه من غزو فكري وحضاري زرع كيان الإنسان واضعاف انتماؤه الى امته ،ومنجزها العقلي الامر الذي فتت وحدة الامة ،و قد انعكست حالة التشرد السياسي وكرست مظاهر البؤس، والتشاؤم))^(٤) الشديدين.

فإذا كان القرن التاسع عشر جعل شعراء العراق يحملون راية القومية العربية التي وجدت طريقاً في قصائدهم ، فشعراء العراق بعد ٢٠٠٣ أكملوا المسير متخذين من الرموز الدينية ، والتاريخ سبيلاً لبوح آلام الامة ، ورسم تشظيات الهوية القومية ، وهذا ما طغى في اعمالهم الشعرية التي انطلقت من ((منطلقات، ورؤى فلسفية ،فالشاعر بإحساسه القومي يشكل وعياً خاصاً بنزعتة المائلة الى تفضيل عرقه على غيره من الاعراق الاخرى ، وهذا لوحده كافٍ يجعل الركون الى التغني بالقوم ...لأنه يلامس الهم الجماهيري اليومي))^(٥) ، فالشاعر القومي كرس جهده للتعبير عن حال الهوية القومية المنشظية التي ما تزال منهارة من الناحية السياسية ، ولكنها متجددة ادبياً كون ((القصيدة ممارسة كتابية ،هي جديرة بأن تؤثر على الممارسة السياسية ،ذلك ان هذا حدث عابر، أما القصيدة فرؤيا تبقى))^(٦) تلامس وتناغم الشعور والهاجس العربي قبال ما تعرض له العراق من احتلال جديد أثر على الشعراء بوضوح ، بهتك الاحتلال حرمة أوطانهم ، وعنه تمخضت أعمالهم التي تستقي مادتها من معاناة أبناء البلد ، ومن

(١) الرؤى الفلسفية في الشعر العراقي الحر ، ٣٩٥.

(٢) الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى ١٩٥٨. دراسة نقدية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ٢٠٠٦ ، ٩١.

(٣) الشعر الحر في العراق ، ٩٤.

(٤) جماليات النص الادبي (دراسة البنية والدلالة) ، مسلم حسين ، دار السياب ، ط ١ ، ٢٠٠٧ ، ٦٦.

(٥) الرؤى الفلسفية في الشعر العراقي الحر ، ٣٩٩.

(٦) زمن الشعر ، علي احمد ، أودنيس ، دار الساق ، بيروت لبنان ، ط ٦ ، ٢٠٠٥ ، ٨٥.

انكسار الهوية القومية المنشطرة ، فغاية الكتابة ليس الأبداع فقط ، فهي غاية ومسؤولية كبيرة ، تلعب دوراً في خلق طاقات ثورية ورؤى لتغيير المجتمعات بوساطة بث الوعي في نفوس الجماهير ، كون ((مسؤولية المثقف في زمانه هي القيام بالنبوة في مجتمعه حين لا يكون نبياً ، ونقل الرسالة الى الجماهير ومواصلة النداء ، نداء الوعي ، والاخلاص ، والانقاذ في آذان الجماهير الصماء التي أصيبت بالوقر ، وبيان الاتجاه والسبب ، وقيادة الحركة في المجتمع المتوقف ، واضرام نيران جديدة في مجتمعه الراكد))^(١) ، مما جعل النص الشعري يسمح للهوية القومية المنكسرة بالظهور وفق تجليات تمثل صوراً متداخلة لواقع الهوية القومية في العراق ومن هذه التجليات: خيانة العرب للعروبة ، استحضار تأريخ الأماكن ذات الانكسار القومي لتشابه انكسار الهوية في ماضي تلك الاماكن وحاضرنا.

إن المعاناة التي تضح بها النص الشعري كثيرة ومتنوعة، وهذا يدل على نجاعة الشاعر وقدرته على خلق كائناته الشعرية من تلك المعاناة التي عايشها عبر استحضار جروح لم تتدمل والام لم تتعرف السكون علقت في فضاء الذاكرة العربية؛ ليبوح بواقع هويتهم القومية الحالية، فاستحضار أحداث تاريخية مرت بها مدن عربية ضاقت مرارة الانكسار القومي؛ جاء للتعبير عن الواقع المماثل في وقتنا الحاضر، إذ إن تلك المدن أصبحت ((الحلم المضاع الذي يستذكره الشاعر بحميمية وانشداد عاطفي مستعر، حتى وكأنه يستحضر اوجاعنا كلها دفعة واحدة))^(٢) ، من تجاويف الزمن الغابر الذي يُعد حقلاً ثرياً بالرؤى والموضوعات التي تقف عليها التجربة الشعرية العراقية ، فحضور مدينتي (فلسطين والاندلس) في قصيدة الشاعرة بشرى البستاني جاء لتأصيل دلالة الانتماء والحضور العربي على مستوى الضياع المكاني والتشظي القومي في الحاضر العراقي إذ تقول: ^(٣) الخبب

دبابات الغزو تدور

شواطئ دجلة غبراء

أنفص السمّار

عنها

السّمك الميت يعلو ضفتها

الطحلب كدر صفو الماء

زفير الشعبان يريق النار

على أعمدة الكون

سرير الغنقاء

(١) مسؤولية المثقف ، علي شريعتي ، تر: ابراهيم الدوسقي ، دارالامير بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥ ، ١٢٩ .

(٢) منطق النخل ، استدعاءات قرائية في الشعر العراقي الحديث ، ٢٠٠٠ .

(٣) اندلسيات لجرح العراق ، ١١٠ .

محمول بيد الزوبعة الصفراء

وقلب الليل

ينزف اندلساً اخرى

وفلسطين تطلع من عين غزال

زنبقة تطفئها الشمس

تكتنف القصيدة ثيمات متشابهة تلامس الهوية القومية العربية وتعمق الإحساس بفقدان المكان المفضي إلى الضياع العربي في بقاع كثيرة عبر امتداد زمني طويل وتؤكد استمرارية هذا الضياع دلالة الفعل المضارع (تدور) الذي يكشف حضور الغزاة الذين احتلوا العراق ، فكلُّ وطن تستباح أرضه هو نزيف اندلس جديدة، تثير الهاجس العربي، ويبدو أنَّ هذه الاوطان تواسي بعضها البعض بوساطة تكثيف رمزيته التي تختزل كل معاني الضياع والغياب وفقدان الذات ف((الاندلس بكل ما تثيره من احساس بالواقع كانت صدًى لانفعالات الشاعر وتصويراته المنبثقة من زمكانية لا تتفصل عن ذاته))^(١)، هذه الذات التي تستذكر رمز الضياع (فلسطين و الاندلس) كلما تصدعت شواطئ دجلة بعلاقة تواشجية تأخذ من الذاكرة المكانية ذات الزهو القديم والانكسار الحاضر اسقاطات لرؤاها لربط جراحات العرب في بوتقة واحدة، هذه البوتقة تتجلى في الغزو و الاحتلال الذي حول جمال دجلة إلى جحيم ينفض عنه السمار وتغادره الحياة.

فإذا كان هذا النص قد استثمر طاقة جرح قديم لمحاكاة جرح طري و هو دخول الاحتلال إلى العراق (شواطئ دجلة)، فإن النص الآتي ينطلق من الإحساس الفاجع والحالة المأساوية التي سببها المستعمر لمدينتي البصرة وذي قار إذ تقول : الشاعرة بشرى البستاني: ^(٢)

دبابات الحقد تدور

غرناطة تعدو في قمصان الليل

يلاحقها الذئب التتري

تصل البصرة

يوقفها الامريكي على السلك الشائك

تزحف في ذي قار

بين جذور النخل الممتدة من اوتار الحزن

(١) التناض الديني والتأريخي في شعر محمود درويش، ١٨٣.

(٢) اندلسيات لجرح العراق، ١١١.

بسومر حتى قلب النار

نلمس تفاعل ذات الشاعرة مع الواقع العربي المطل على المدائن المسكونة بالضباب عبر لعبة زمانية إلى الوراء والأمام معاً، هذه اللعبة تتكىء على استدعاء تاريخية غرناطة المكانية ؛ للتعبير عن المشاكل الآنية، فضياع آخر معاقل المسلمين (غرناطة) ما هو إلا ذاكرة مجروحة للهوية القومية العربية، هذه الذاكرة لا يلتئم جرحها طالما هناك استنزاف لمدن عربية أخرى في العراق، حتى كأن غرناطة تتأغي البصرة وذوي قار ، فاستكانة الروح القومية جراء ما يفعله الاحتلال جعلت النص يؤنس المكان (غرناطة) ؛ لتعدو هرباً من الذئب التتري وصولاً إلى البصرة التي فقدت معناها بوجود الاحتلال الأمريكي، فربط خيوط الأحداث عمق اثر الفكرة الهويةتية ، واصبح بإمكان المتلقي إدراكها بصورتها الدلالية غير المقيدة والتي تفتح آفاقاً من التأويلات مما يزيد النص ثراءً، ف((تحولات النص الشعري تختصر تحولات الواقع العربي باتجاهاته المختلفة ، فالخطاب الشعري ... هو ترجمة وتكثيف لإدارة أمة كانت تبحث عن ذاتها وهويتها في زمن فقدت فيه ذاتها وهويتها))^(١) القومية وهذا ((يعد انعكاساً لوعي الذات الشاعرة فكراً وإبداعياً بالماضي وفهم الحاضر))^(٢) وتستمر كتابات بشرى البستاني في البكاء على هويتها وهذه المرة من نافذة تعالق القدس مع بغداد إذ تقول: ^(٣)

دبابات الغزو تدور
الليلة اكتب حزني
فوق جذوع الجوز
وابصر صخر القدس
يتدحرج فوق مآذن بغداد
أخبئ جرحي في قلب ضمير الخيمة
دمع التفاح دم يتخثر في كأس عطشى
نهران يدوران على جيد البستان
يصلان
بغداد بعكا

(١) آليات القراءة في الشعر العربي المعاصر، ١٤٢-١٤٣.

(٢) مرايا نرسييس (الانماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديث)، حاتم الصكر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،

بيروت، لبنان، ط١٩٩٩، ١، ١٠٩.

(٣) اندلسات لجرح العراق، ١٣١.

...

مرهقة بغداد

ومجروح معصمها

سر الرمان على وجنتها

يذبل في الاصفاد

شظايا الروح القومية المطرزة بالشجن تؤرق الشاعرة وتؤرخ لانكسارات الذات العربية، فتراتيل الحزن على نكسة العرب في القدس تتكرر في بغداد في مفارقة غرائبية ، فبعد أن كان العرب ضد احتلال القدس ، ولكن فشلوا في استعادتها أصبحوا يرحبون باحتلال بغداد ضمن ايدولوجية التخاذل والخنوع، ففكرة ربط ودمج تجليات الانكسار العربي في أماكن متعددة ما هي إلا عملية صهر وإعادة خلق أبداعى لواقع الهوية القومية العربية برؤية لا تخلو من الإيحاء إلى ابعادٍ تثير هواجس المتلقي، فمآذن بغداد المهدمة هي صدى لجرح القدس العميق وصخرة القدس بدورها تتدب وتواسي جرح بغداد، ومن ثم فاستحضار المكان المفقود الذي عانى من ويلات الاحتلال يعد امتداداً طبيعياً لكل احتلال جديد، وهكذا رؤية يكون الفن الشعري ((تعبيراً عن اوضاع اجتماعية ولحظات تاريخية محددة ، وتأريخ الانسان ليس سلسلة من الحلقات المنفصلة التي لا يربطها غير التتابع بل هناك اتصال عميق في حركة الاحداث، وهذا الاتصال العميق يسترعي انتباه الشاعر ليبحث عن الظروف المتلامسة في ضوء تجربته الخاصة التي تبرز في وسط اجتماعي، فهو إذ يحاول نقل الواقع في ضوء التواصل التاريخي))^(١) القريب والبعيد.

وفي بوتقة المعاناة نفسها تتبنى قصيدة الشاعر سامي مهدي قضايا الإنسان العربي وهمومه وآلامه بطريقة متشجرة ببلاغة الاستفهامات إذ يقول :^(٢) الكامل

سقط القطار من الخريطة

أم سقطنا نحن وانفلت القطار

وتبعثرت عرباته في البر

وانقطعت بنا سكك الطريق

فلا رحيل ولا مقام ولا انتظار

وها نحن يسأل بعضنا بعضا :

أما كنا نياماً في العراء

(١) التناص الديني والتاريخي في شعر محمود درويش، ١٨٦.

(٢) يحدث دائما ، ١٦، ١٧، ١٨.

ألم يكن هذا القطار
حلماً لم تكن المعابر والحدود
مسدودة من جانبيها واليهود
يتربصون
فلا نرى عكا ، ولا يافا
ولا نصل العريش
ألم تكن كل الديار
مزقاً يقسمها على اسباطة رب الجنود
ويقول : " هذا الوعد "
لا كنعان بعد اليوم
لا قحطان او عدنان
بل ملك تملكناه والحكم السيوف
فأين سيفي ؟
أين سيفل ؟
اين كل سيوف من ركبوا القطار
ها نحن ثانية ، وثالثة
وغزة في الطريق
شلق مدمى ، والحريق
يمتد ، والفقهاء يشتجرون
لا سيف يُسل ولا قرار
يستغفرون به ، ولا كأس تدار
إلا كؤوس دم الضحايا
والخيار هو الخيار

لا مشقة في قراءة الروح القومية على جسد القصيدة ، هذه الروح التي تبحث في وجع استفهاماتها عن نضارة الوحدة والقوة العربية ؛ لمواجهة شراسة التشظي الذي فتك بالهوية القومية ((ذلك أن عمليات استكشاف الذات وتأكيداتها وتحريرها تقضي بالألا يكون لقوة اجنبية سلطان عليها))^(١) ، فحكاية جلد الذات الجمعية ومحاولة النفخ في الرماد العربي للتوهج ما هي إلا أسئلة تزوع بها النص الشعري ؛ للتمتع بثناء

(١) الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ، ٣٩٦ .

كبير من الدلالات والايحاءات ((لأن الأسئلة الشعرية لا تنتهي بجواب حاسم ، بل كل سؤال شعري يقود إلى سؤال آخر))^(١) ، هذا التفاعل الشعري جاء للتعبير عن متاهات الضياع الفلسطيني ، هذا الضياع الذي عبّر عنه مثّل عمقاً للانتماء العربي المضمخ بالنكسة ، فالنص يستجمع واقع الأمة العربية عبر بوابة القضية الفلسطينية متماهياً مع ما يتبناه من أسئلة تُعد في وجه من وجوها صورة معبرة عن واقع الهوية القومية التي لا تجدُ سيفاً يدرأ عنها طغيان التهوّد بعدما حقق الاخير وعده بإلغاء هويات (كنعان ، قحطان ، عدنان) ، وقد أسهم في ذلك اجواء اشتجار الفقهاء لتكميم الأفواه وإطفاء جذوة سلّ السيوف ، لتجد لغة الخنوع صداها في أطر الهوية .

أما الشاعر مهند الحديثي ، فله معاناته الخاصة ولكنها تمثل معاناة الشعب المُستَلَب الحرية فيقول: ^(٢)
متدارك

اوقفني الجنديّ وقال بملء الافواه الوطنية : أنت ترحل

وأنا منذ قُرُونٍ اترجّل طوعاً

واظّل بتيه الغربة في وطني أرحل

اوقفني وانا متجة نحو بلادي

داخل ارضي

آتٍ منهُ اليه وأسأل

سبحان الله تبارك ذو العزة والمُلك

ماذا يفعل جيش الافرنجة في وطني ؟

ماذا تفعل كل حثالات الكون على أرضي ؟

وتخيّلت للحظة هارون يمَسّد لحيتهُ عجباً

ماذا يفعل جيش النقفور على دربي

وصلاح الدين يقول : أيا ربّي

أين الجيش ؟؟؟؟

وكيف تسلل كلُّ اولئك

من ثقبٍ في جببي ؟؟؟؟

(٢) بلاغة الاستفهام في شعر علي جعفر العلاق ، محمد جواد علي ، مجلة آداب الفراهيدي ، كلية الآداب ، جامعة تكريت ، مج ٦١ ،

ع ١٦٤ ، ٢٠١٣ ، ١٣ .

(١) في بغداد لي قمر ، مهند الحديثي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠١٣ ، ٩ .

إنه قدرٌ لافح حين يتقمص المحتلُ الوطن ،وينفقه بالوطنية ،فتبادل أدوار الهويات تجعل ذات الشاعر في متاهات الضياع ،وبنتيه الغربية في منافي الوطن ،كما إن حجم الكبت النفسي ، واحتقار الإنسان امتد في فضاء زمني طويل جداً ،يطفو على جسد القصيدة بدلالة (منذ قرون اترجل) ، فالشاعر لا يقدر له دفعاً ،فتلون المأساة يعود الى مصدر واحد هو (الاحتلال) تارة تُهتك هوية الإنسان ، وأخرى تشوه الحياة التي يحيا بها، ثم يمكننا تلمس استحضار الموروث القومي (هارون ،صلاح الدين) في النص الشعري ؛ لتوليد نوع من المفارقة في فضاء التعجب والاستفهام الذي تخيله الشاعر ، فما كان عليه الحاكم العربي من القوة وما أصبح عليه اليوم هو تناقض كبير يفصح واقع الهوية القومية ،فالارتداد إلى الماضي وإعادة انتاج وخلق رموزه برؤية جديدة ما هو إلا مساعلة للواقع ونقده .

أما الشاعرة بشرى البستاني قد تمثلت لحالة الطفولة التي لحقها حقد الاحتلال من خلال تلوين نصها الشعري بانفعالات شتى تبين حجم الدمار إذ تقول: ^(١) الرجز

يا ايها الطفل الذي جاء بلا يد

ولا قدم

لكن في وجهه قنديلين اخضرين

اغمض عينيك ،تمرن ،نم

موسيقى عصرك هذي يا ولدي

في الوطن العربي

امريكا اهدتك صواريخ ودبابات

رصاصاً اهدتك وخاماً ابيض

يصلح في كل الاوقات

امريكا اهدتك قذائف يورانيوم

كي تعقم

مثلت رؤية الشاعرة منطقتي صراع بين هويتين ،هوية الذات العراقية القومية (الطفل) ، وهوية الآخر المستعمر ،فهشاشة الأولى وانقسامها ،كان السبب وراء استفحال الآخر (المحتل) مما أتاح له ان يُمسك بزمام الأمور ، فهو الذي يُهدي الصواريخ والدبابات وغيرها للطفل ، لأنه في الوطن العربي ، فهو لا يستحق الحياة من وجهه نظر هوية الآخر كل هذه الهدايا هي محاولة حثيثة لعقم الهوية القومية لدى أجيال المستقبل ، وهذا ما تحفل به جملة (كي تعقم)، وبقدر ما صورهُ النص من تنوع القتل تحت وطأة ضياع الهوية القومية ، نتلمس فيه دفاعاً عن الحياة بوصف ((الأدب حين يتسامى الى مستوى الالتزام

(١) مواقع باء .عين بشرى حمد البستاني ،عمان ،٢٠١١، ٢٢٦.

الإنساني، فإنه يصبح أداة فعالة للدفاع عن الحياة وبنائها ^(١)، فإذا كانت الثيمة الرئيسة لهذه النصوص هي رسم مشاهد من معاناة مقتطفة من الحياة العراقية ابان دخول الاحتلال، والتي تماهت مع تأريخ مدن عربية تعرضت للاحتلال ايضاً، فهي كذلك تضم بين جنباتها نتائجاً لأسباب هذه المعاناة أدت لهذا البؤس، فما على المنجز الشعري القادم الا اماطة اللثام عن هذه الاسباب التي جعلت من الهوية القومية متناثرة لا تدرأ رياح الغزاة، ولعل أهم الاسباب التي يعزوها الشاعر يحيى السماوي هي: الخيانة والتخاذل، وبهذا فنحن ندخل إلى التجلي الثاني لهذه الدراسة وهو خيانة العرب لهويتهم العربية إذ يقول:

(٢)

الكامل

وفارس الفرسان

حامينا ابو زيد الهلالي باع صهوته

واودع سيفه في متحف الآثار

اصبح نادلا(حانة) الدولار

يسجد للذي يعطي المزيد

من العمولة

بوساطة هذا التصوير المتكئ على التراث التاريخي تُبَيِّن لنا ذات المبدع خنوع الهمم، وبيع الذمم في الروح القومية لدى العرب، فمسارات كهذه تضيف على النص شيئاً من حيوية التعبير وتدفق الإثارة، فالشاعر ((عندما يتوجه الى معطيات موروثه فانه لا يعمد الى الإفادة الجامدة التي تدخل في باب التكرار والتقليد، وإنما يهدف الى إعادة صوغ تلك المعطيات بما يثري عمله الجديد، ويجعله صالحاً للتعبير عن قضايا المعاصرة)) ^(٣)، فلا شك ان استدعاء شخصيات حفرت مواقفها البطولية في ذاكرة الوجود وهذه الصورة ليست للثورة والنهوض ضد المحتل، وإنما للانقياد وراءه، وتسليم مقاليد العصمة للهوية الاخرى؛ ولذا عمد الشاعر الى توظيف، وصهر مادة الموروث، وإعادة تركيبها، وصياغتها في صورة مقلوبة الاحداث، وقد اقام ((علاقات جديدة بين مفرداتها بحسب ما يتطلبه واقعه الذي يعيشه)) ^(٤)، فتجريد الموروث من بطولاته المعروفة، والصاق بطولات الجبن، والعمالة به يكاد لا يخلو من السخرية الصارخة من العرب، تخليهم عن القومية في الوقت الحاضر، إذ ((إن بنية هذا المقطع تعلن

(١) جماليات النص الادبي دراسة في البنية والدلالة ٧٦.

(٢) البكاء على كتف الوطن، يحيى السماوي، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٨، ٨٥.

(٣) دير الملاك دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، محسن اطيّمش، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٨٢، ٢٢٢.

(٤) تطور الشعر العربي الحديث في العراق (اتجاهات الرؤيا وجماليات النسيج)، علي عباس علوان، منشورات وزارة الاعلام سلسلة الكتب الحديثة، ١٩٧٥، ٢٢٣.

وتضمر، تقول ولا تقول تبين حالة من المفارقة بين حكام اليوم وحكام امس، بين بطولات الاجداد وخنوع الحكام في عصرنا الراهن، ولكن تمت الدلالة افقياً وعمودياً^(١)، ولهذا يقول: ^(٢)

"والحارس القومي"

امسى حارساً للمعبد الوثني

مخصي الارادة والرجولة

"واليعربي الشيخ"

"حلال المشاكل"

صار عبرياً

وسادن حرمة التلمود

والجسر الذي يصل المكارم

بالرذيلة

قال:التوسل للغزاة

هو الوسيلة

فتواه

ان الجبن عند الحرب

حيلة

إذ يتدرج الشاعر بنا من ذل الحس القومي في المقطع السابق حين أصبح (نادلاً في حانة الدولار) ،إلى خيانة النزعة الدينية ، حين امسى حارساً للمعبد الوثني ،فاقداً للرجولة، ومن ثم فالمسوغ الأكبر (الدين) لاستنهاض الروح القومية لدى الناس وتغير الموازين ،فيجنح (الشيخ) الى خلع هويته ، ويرتمي في احضان هوية الآخر العبري مرّة ، وأخرى يرتأى وسيلةً لردع الغزاة وهي التوسل وحياناً يصدر فتوة تزيد من برودة شتاء الجبن ، وبهذا وجد الشاعر مادته الخام للتعبير عن الإحساس بالخذلان ، أما الشاعر درع غزاي الطائي فينسج في شعره سبباً آخر للهزيمة فيقول: ^(٣) الرجز

اذا خسرت الحرب لا غرابة

لأننا ندخلها

بكل ما يملكه الشرقي من مواهب الخطابة

(١) آليات الكتابة في الشعر العربي المعاصر، ٣٥-٣٦.

(٢) البكاء على كتف الوطن، ٨٧.

(٣) سلسلة من ذهب، ٦٠٥.

بالعنتريات التي ما قتلت ذبابة لأننا ندخلها بمنطق الطلبة والربابة

نصّ ينضوي ضمن أطر الرؤية السياسية للشاعر الذي احتطب أفكار الجماهير، وعبر عنها، فالإحساس بالاستلاب وهيمنة المحتل يعزو سببها الشاعر إلى أن الفكر العربي ما زال يحتفظ بالكياسة، والخطابة الزائفة الرنانة، فحينما يحتدم الصراع بين هوية قومية مدججة بالخطابة ومنطقها قرع الطلبة والربابة، وأخرى هي هوية المحتل، فحتما ستكون الغلبة من نصيب الثانية، والتفهم، والنكوص من نصيب الاولى، التي وُصفت بإنّها اصواتٌ اعلامية فقط.

لا شكّ أنّ التجربة الشعرية أرضية خصبة ورحم ولود في تعايشها مع المستجدات التي طرأت على الشارع العراقي؛ لأنّها تستجيب له من خلال تمثلات تعبيرية نابغة عن فهم مبستر للوجود الإنساني ((الشاعر يرى العالم، بعينين مغسولتين))^(١)؛ ولذا نجده يرصد لنا مرحلة اخرى لحال الهوية القومية الا وهي مرحلة ما بعد الانكسار، فبعد ان تشظت وضاع حلمها تحولت الى حلقات متناثرة، كما تستقي ما يفد اليها من افكار، وبهذا باتت الهوية القومية تطبق اشتغالات الغيرية، على وفق رؤى مرسومة غايتها التفرقة، والاحتدام، والصراع داخل الهوية القومية، فلا غرو ان نرى الدول العربية تشن هجمات على العراق فكرية، وسياسية وبهذا تنتفي حالة الصراع بين هوية المحتل والهوية القومية إذ تتجلى هذه النزاعات في تجربة الشاعر مدرك الحبيب بقوله: ^(٢) الرجز

في هذه الاوقات
يأتي الأعاريب الينا بالرماد
وفعلهم حقير
وكأن مكتوب علينا
ان نعيش في هوان
فهادم العراق سلم الراية للصغار

هذا ما كانت تصبو اليه هوية الآخر وقد ظفرت به، هم ثقيل فصيرت من الهوية القومية مساحة لصراع اعضائها، كما أن الزمن الممتد بين سطور النص له دلالات مشتركة تدور حول راية الدمار، فحين هُدم العراق زاده الأعاريب دماراً حتى كُتب قدرنا أن نعيش في هوان، ولعلّ مكاشفة أخرى في الفلك السابق،

(١) جماليات المكان، اعتدال عثمان، مجلة الاقلام، بغداد، ١٩٨٦، ع ٣٥. ٢.

(٢) ذكريات نبض، مدرك الحبيب، مؤسسة السياب، ط ١، ٣، ٢٠١٣، ٢٩. ٣٠.

تبيين تكالب هوية العرب والغرب على محو العراق وإزاحته وتحطيمه في طخية عمياء، ترجمها الشاعر
بسام صالح مهدي حين قال: ^(١)
الوافر

سلاماً أيها المشنوق بين الروم والعرب
وفي الساحات في الطرقات في الاعراس
هم لبسوا دماً
ولبست ظل الله
ذنباً ليس كالذنب

...

جلست كخمرة في الكأس
يجلس حولك الندماء
جيران واصحاب واعداء
ونخبك ايها المشروب والمقسوم بين
الحزب والحزب

في النص مواطن وجع كثيرة الا ان هيمنة ثيمة الاستلاب تطفو على سطح النص ، فقراءة النص تكشف
لنا ثنائية من الهويات هي : المستلب والمستلب عبر دوال ألسنية تتجلى الهوية الاولى (هم لبسوا دماً،
يجلس حولك الندماء ، جيران ، اصحاب ، اعداء) اما الثانية فتظهر في (المشنوق ، لبس ظل الله ،
جلست كخمرة) و اما سلام الشاعر ، فيبدو متدافع البوح ممزوج مع الذنب متماهيا مع حال العراق الحزين
، فحين يفتح فضاء النص ، نلاحظ مقاصد التعبير ، وغياب أصرة القومية وانقلابها ندأً افضى الى حضور
هوية الآخر الذي تكفل بإراقة الدماء بالساحات والطرقات وغيرها ، حتى ((أبليت الاعوام اجيالها ، لكنها لم
تبل مأساتها فما زالت الاجيال الميتة منهمكة في عدوها القطيعي على طريق العدمية))^(٢)، كما أن بنية
النص استحوذت فاعلية ادائية أنسنت العراق الى خمرة يتقاسمها السمار والندماء، وهم (الجيران
والاصحاب والاعداء) ضمن إطار الهوية الاخرى .

ومن ثم ((ما دام الوعي الشعري يستطيع أن ينشئ من العلاقات على مستوى الدوال والمدلولات ما لا
نهاية له، فإن له الحرية في تشكيل رؤيته للعالم وفقاً لخط التنظيمي الذي تتخذه هذه العلاقات، وبذلك فإنه
ينبي العالم ويستكشف ماهية حدسياً، أو أستعارياً))^(٣)، عالمٌ مشحونٌ بدلالاتٍ تكشف لنا الصراع العربي
العربي؛ لتهديم آخر أطلال الهوية القومية العربية، هذا التجلي جاء في الأفق الشعري الذي حاول فيه

(١) الماء يكذب ، بسام صالح مهدي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٧ ، ٣٦ .

(٢) جماليات النص الادبي دراسة في البنية والدلالة ، ١٠٧ .

(٣) جماليات الشعر العربي، دراسة في فلسفة الجمال في وعي الشعر الجاهلي، هلال جهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١،

١٠٥، ٢٠٠٧ .

الشاعر أن يستنفذ طاقات الحرف و ((يستنزف أنواع دلالات الكلمة، وتفاوت إحياء اللفظ... معولاً في ذلك كله على ثقافته))^(١) ؛ للتعبير عن حياة العراقيين الذين يعانون من آفة القومية العربية المؤدلجة التي تفتك بهم باسم الدين، بوصف الشاعر هو الرئة الوحيدة لإفراغ هموم الذات الإنسانية لمن يشاطرونه الانتماء، هذه الهموم تراهن على إلغاء العراقيين جميعاً، ومن ثم فمسألة الواقع بلغة شفافة تبعث الالم وتكشف لنا حجم المفارقة المرة التي تغرس في ذات المبدع متسعاً من الوجد والحسرة لإن ((ما يعذب حياتك يعذب طريقتك في الكتابة))^(٢) عن واقع هويات هذا الشعب، كل هذه الاشتغالات هي شهادة على ذوبان جليد الهوية القومية التي تأكلت داخلياً بدلاً من أن تصبح سوراً لحماية من ينضوي تحت راية القومية.

يمكن القول: أن استحضر تاريخ المدن التي فقدت هويتها العربية وانكسر فيها العرب وخيانة العرب لعروبتهم وهويتهم القومية في النصوص الشعرية هو خلاصة ما تضمنته النصوص السابقة لبوح الحقيقة وفضح أكنوبة القومية الساذجة، وفي هذا المسار يمكن النظر إلى نصوص أخرى مماثلة للنصوص المدروسة : ^(٣)

(١) النص والممانعة، مقاربات نقدية في الادب والابداع، محمد راتب الحلاق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩، ٤٢.

(٢) منطق النخل استدعاءات قرائية في الشعر العراقي الحديث ، ٢٣٦

(٣) ينظر: البكاء على كتف وطن، ١٠١: مرايا العمياء، ٧٣: بياض السواد، ٢٦، ٣٠: اندلسيات لجرح العراق، ١٠٥.

الفصل الثاني

الهويّات الصغرى

المبحث الأول

صعود الهوية الطائفية

الهوية الطائفية

لا شك أنَّ الانطلاق من الأصل اللغويّ ، يشجّع الدراسة على البحث في مناطق أخرى لمصطلح الهوية الطائفية ، ف((الطائفة من الشيء: جزء منه ، وفي التنزيل العزيز)) (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)) * قال مجاهد : الطائفة الرجل الواحد الى الألف، وقيل الرجل الواحد فما فوقه... ويُقال طائفة من الناس ، وطائفة من الليل... والطائفة : القطعة من الشيء))^(١) ، وقبل الخوض في التعريفات الاصطلاحية لمفهوم الطائفية ينبغي الإشارة إلى إن ((الروابط بين مفردة الطائفية ، والطائفة هي أكثر من الروابط اللغوية ، فهناك الرابط الاجتماعي للمفردتين ؛ لكون كل مجموعة من الناس قد يشكلون طائفة أمام مجاميع تشكل هي الاخرى طوائف ، وتشكّل من مجموع الطوائف علاقات ترسم منظومة من العلاقات ، والمصالح الاجتماعية ، ومن ثم ترسم منظومة أخرى سياسية تقوم مقام الرابط السياسي بين مفردتي الطائفة ، والطائفية))^(٢) أما في الاصطلاح فقد تباينت التعريفات بين المفكرين لاختلاف مرجعياتهم الثقافية والفكرية وغيرها ، فمنهم من يرى حصرها في المجال السياسيّ ويعرّفها بـ((اعتماد لسياسة التمييز الطائفي بين المواطنين، وتشجيع حالات الصراع المذهبي لأغراض سياسية))^(٣) أي إن الطائفية لا علاقة لها بالعقائد الدينية ، أو الطائفية ، وإنّما استغلت الخلافات المذهبية لأغراض مصلحة بعيدة عن الدين ، وليس بعيداً عن الميدان السياسيّ نجد تعريفاً آخر لصاحب الموسوعة السياسية فهي: ((نظام سياسي اجتماعي متخلف يرتكز على معاملة الفرد كجزء من فئة دينية تنوب عنه في مواقفه السياسية، والتشكيل مع غيرها من طوائف الجسم السياسي للدولة، وهو لاشك كيان ضعيف ؛ لأنه مكون من مجتمع تحكمه الانقسامات))^(٤) ، في حين نجد من يتناول الطائفية من الجانب اللغوي ، فمصطلح الطائفية لديه هي فكرة الأقلية العديدة الصغيرة المتحركة في إطار الكل المشدودة إليه بغض النظر عن دينها ، او عرقها ، لغتها^(٥) ، فكثيراً هي مناطق اشتغال الهوية الطائفية إلّا إن منبعها في العراق ينحدر من الثقافة الدينية ؛ ولذا تُعرف على وفق هذه الرؤية بـ((تنشئة تقوم على الضغينة، والنفاق تجاه الطرف الآخر ، فهي شعور السني بالضغينة تجاه الشيعي، وشعور الشيعي بالضغينة تجاه السني... وهذا نتيجة الشحن

* سورة النور / ٣٢.

(١) يُنظر: لسان العرب مادة " طوف "

(٢) المسألة الطائفية ، تعدد الهويات في الدولة الواحدة ، كاظم شبيب ، دار التنوير بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١١ ، ٥٣.

(٣) الطائفية بين السياسة الدين ، حسين موسى الصفار ، المركز الثقافي العربي ، ط١ ، ٢٠٠٩ ، ٧.

(٤) موسوعة السياسة ، ٣ ، ٧٤٥.

(٥) ينظر: العراق الحديث بين الثوابت والمتغيرات ، طه جابر العلواني ، مكتبة شروق ، ٢٠٠٤ ، ٣٦.

المشاعر العاطفية وتلفيقات كل طرف ضد آخر))^(١) اعتماداً على موروث ديني يبني على الصراع ، والانقسام .

يرى بعض النقاد أنَّ مفهوم الطائفية لا يُحصر بين الأديان ، والمذاهب، وإنما يتضمن تعصب كل جماعة ضد جماعة سواء كانت طبقةً اجتماعية على أساس المهنة ، أو اللون ، وحتى الرأي مثلما هو التعصب ضد مجتمع النساء ، لكن ما طرق أسماع العالم ويخشى من مخاطره هو الطائفية الدينية، أو المذهبية ^(٢) .

مما لا شكَّ فيه أنَّ الخوض في مضمار موضوع الهوية الطائفية أمرٌ بالغ الصعوبة، والحساسية، وصعوبته متأتية من تمايس هذا الموضوع مع المساحة الدينية كون البحث يدخل في ضمن اشتغالاته في منطقة المقدس، والمحظور ؛ ولذلك تتأى أغلب الدراسات عن تناول هذه الموضوعات - إلا ما ندر- إلا أنَّ واقعنا الممزق يحتم علينا البحث فيه ؛ للكشف عن بروز ظاهرة الهويات الطائفية بوصفها من الهويات الهامشية الضيقة هذا من جهة، كما يمثل صعود هذه الهويات نقيضاً للهوية الوطنية، وتقويضاً لها، ومن جهة أخرى فلا ريب أنَّ التمسك بالهوية لا يخلق الأعداء ، فهو حالةٌ صحية تدل على حيوية الانتماء كون الهوية ((وسيلة دفاع بوجه النزوع نحو الإلغاء، والتهميش ، والعزل والإقصاء الصادر عن التيار العام الساعي نحو الدمج دون الأخذ بنظر الاعتبار حقَّ الأفراد، والجماعة الفرعية))^(٣) شريطةً إلاَّ تتقلب دوائر هذه الانتماءات إلى هويات قاتلة .

فما يُلاحظ في العراق هو تصاعد ألسنة دخان الفتن الطائفية التي ما هدأت حتى وزعت المجتمع العراقي ضحايا على المقاصل، حيث الاحتكام الى مقاييس إلغاء الآخر ؛لأنه ينتمي الى هوية دينية معينة، فالهوية الطائفية نجدها ((تتصاعد مع تصاعد حضور الإسلام السياسي الذي لم يتمكن من احتواء المذهبين في حزب او كيان واحد))^(٤) فهي لم تكن وليدة لحظة مباغته، بل هي نتاج تراكمات من الاحتقان الطائفي ضاربة جذورها في عمق التاريخ ، تتهيج حيناً فتسيل الدماء ثم تمر بمرحلة سبات في وقتٍ آخر ، اعتماداً على طبيعة الظروف .

أما الاسباب التي أشعلت فتيل الهوية الطائفية في العراق؛ فهي تتبلور بمجيء الاحتلال ، وكيفية تكريسه للنهج الطائفي أولاً وكذلك شعور بعض مكونات الشعب العراقي بالحرمان من حقوق المواطنة ، وتعرضهم للظلم ، والاستلاب ، وترجيح مكون آخر في زمن النظام الصدامي ^(٥) فعلت هذه المكونات لرد

(١) الطائفة في العراق، سعيد السامرائي ، مؤسسة الفجر ، لندن ، ط١، ١٩٩٣، ٤٣

(٢) يُنظر:، ضد الطائفية، العراق...جدل ما بعد نيسان ٢٠٠٣ رشيد الخيون، مدارك ٢٠١١، ٥.

(٣) عراق الهوية النسقية، اسماعيل نوري الربيعي ومجلة الكوفة ، ع ٤، ٢٠١٣، ١٣٧.

(٤) ضد الطائفية، العراق...جدل ما بعد نيسان ، ٢٠٠٣، ٥.

(٥) يُنظر:العراق التائه بين الطائفية والقومية، محمود الشناوي ، دارهلا للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١، ٢٠١٢، ٢٠٢.

لرد الاعتبار لأنفسهم و فاصطدموا مع أبناء جلدتهم ، وكذلك ارتباط هويات المجتمع العراقي ((سلبياً بالموروثات التاريخية مما يجعلها حبيسة التاريخ، ومرتهنة له ،بل تحتكم الى وقائع حدثت منذ عشرات القرون في خلافتهم الاجتماعية، والسياسية، والادهى التناحر لتلك الوقائع))^(١) التي غالباً ما كانت دينية .

ولا ننسى دور الأحزاب السياسية_ ما بعد السقوط_ ((في استخدام ورقة المذهب، والطائفية كأداة للصراع، والتنافس السياسي بين مكونات المجتمع العراقي))^(٢) ، هذه الاسباب وغيرها اصبحت من مسوغات بروز الهويات الهامشية الهوية الطائفية تحديداً، كل هذه المضامين وغيرها حفلت بها التجربة الشعرية العراقية ،كونها ارضية خصبة تتفاعل مع البيئة المجتمعية منذ ولادتها، وهذا ما يغري الدراسة للاستغال على اقتناص مفاهيم الهوية الطائفية وغيرها في النص الأدبي ؛بوصفه شبكة لغوية تحاكي الواقع المأزوم ،فجاءت قصائد الشعراء المعاصرين منغمسةً في أتون الصراع الهوياتي .
فمن تلونت كتاباتهم تجسيدا لشيوخ احتراب الهويات الشاعر حمد الدوخي إذ يقول: ^(٣) متدارك

في الربع الخالي

اعني ما بين البغدادين

تمر طيور نافقة

ملّت من طعم القتلى

ببغداد الاولى جمعاً

باسم خواتمهم وعمائمهم

والمنثورين

ببغداد الأخرى

باسم الآذان الخالي

من خير العمل الشعبي

تتماهى ذات المبدع مع الذات الجمعية لأبناء وطنه؛ ليبوح بما أصاب الثانية من أمراض الهويات الطائفية البغيضة التي لا تفرق طيورها بين جموع القتلى ،فالانطلاق من دلالة (تمر طيور نافقة ،ملّت من طعم القتلى) اكسب النص سعةً وشمولاً لرسم اكبر فكرة يمكن تصورها لضحايا مقاصل الطائفية ،فمرّة يفنى الإنسان باسم هويته الشيعية بدلالة (خواتمهم ، عمائمهم)، وأخرى باسم هويته السنية بوجود دال(الآذان الخالي من خير العمل) ،فحين أفلت الهوية الكبرى الوطنية تسامت الهويات الفرعية الطائفية، وتبوأّت مكاناً في الهواجس واصبحت هي الملاذ الذي يزود عن معتنقيه ، وبهذا تحولت الى هويات قاتلة

(١) المسألة الطائفية ،تعدد الهويات في الدولة الواحدة ، ٨٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ٩٢ .

(٣) الاسماء كلها ، ٣٥ .

لأنها ((تختزل الهوية الى انتماء واحد يضع الرجال في موقف متحيز، ومذهبي متعصب ، ومتسلط ويحولهم في اغلب الاحيان إلى قتلة ،او انصار القتلة))^(١) ، طالما إن الإنسان يقتل أخاه بسبب انتماء ديني او غيره ،فلا يوجد ضوء يُغيث من ظلمة الطائفية ((فلا تكاد ذاكرة الإنسان في كل العصور تحرص على الإمساك بنصٍ إلا اذا كان دينياً))^(٢) ، تلك المقاصد التعبيرية المستمدة من طبيعة الهويات الطائفية، تكاد تكون متشابهة في بروزها الدامي في اغلب التجارب الشعرية العراقية ، وفي خطابٍ منتزع من الواقع الطائفي يعمق الشاعر علي الامارة حفره الشعري لينسج ما ترسخ في اذهان المجتمع من بعد متطرف

فيقول :^(٣) متدارك

ليس عندي وطن
فأنا ساكن في فضاء الفتنة
فهل وطن حين تحذر فيه
أخاك في كل شيء
يسكن بيتك
يسكن قلبك
تسأله
انت من ؟

يكتنف النصّ حقائقٌ موجعة يمكن تلمسها في اتساع منطقة الحذر المحيق في كل شيء ، فحتماً هناك علاقة طردية بين تقهقر هوية المواطنة ،وأزدهار هوية الفتنة الطائفية ، حتى يغدو السؤال (انت من) هو الفاصل في مسيرة الحياة ،وتراتبية الانتماءات ،فاشتداد وطيس الهويات الطائفية اوقد التوجس خيفةً في نفوس الذين يتقاسمون البيت ،ويسكنون القلب ،هذه الحقيقة المرة التي من جرائها تأخرت عمليات الإنسان ،وتشظّت مفاهيم المواطنة، وتغيرت كثير من أواصر التقارب ،والتواصل^(٤) ،وحين يزداد الوجدع الإنساني في مخاضاته الطائفية المتعددة في حياة العراقيين يحرص الشاعر حسن الخرساني بجرأته على أن يُضمّن في نصه الأسباب التي اشعلت حطب الموقد الطائفي فيقول:^(٥) رجز

كنا معا

(١) الهويات القاتلة ، ١٥ .

(٢) إنتاج الدلالة الادبية ،قراءه في الشعر والقص والمسرح ،صلاح فضل ، مؤسسة مختار، ط١، ١٩٨٧، ٤١ .

(٣) رسائل الى الموصل ، ٥٩ .

(٤) ينظر:في الشعر والفن والجمال ، رضوان الشهبال ، دارالأحد ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦١ ، ١١٩ .

(٥) مطريبيكي ،حسن رحيم الخرساني ، دارسطور ، ط١ ، ٢٠١٤ ، ٢٠ .

حتّى اذا ما جاعنا
(عمر الخيام)
راح يطوف بيننا
مجاهداً وخالقاً
لكل واحدٍ إمام
درّينا
وزرع في رؤوسنا الحلال والحرام

اهدى لنا من جيبه
رصاصتين اثنتين
وقال
هيا العبا
هذي زكاة لغتي
لأنكم ايتام

يصدح الشاعر بلغة واضحة ،وصارخة، ومتوهجة بحرارة الموضوع والقضية تكاد لا تخلو من دلالات الاعتراف، والمكاشفة ،بوجود ايدئولوجيات دينية جاءتت من الخارج لتأجيج المشاعر الطائفية فدلالة (عمر الخيام) تنشي الى تلك النتوءات التي احدثتها الرؤى الدينية ،والسياسية الفارسية ،وغيرها داخل العراق ،فالنص يوحي بالتدرج في زرع التفرقة بين أبناء الرافدين ،وقد تجلت بخلق إمام لكل جماعة ، ومن ثم اللعب بالرصاص ؛ لذلك ((فإن ازمة الهوية ليس من داخلها بقدر ما هي من خارجها اي من التحديات التي تجابهها ، فتجعل كل جماعة فرعية تستقطب مشاعر الولاء لهويتها الفرعية على حساب الهوية الوطنية ،وهو ما يؤدي الى حالة من التوتر ،والتمزق الوجداني الذي يُنمي التمرکز على الذات ،ويدفع الى التعصب ،والتمييز العرقي ،أو الديني ،أو الطائفي))^(١) ، ويبدو أن تشابه المنجز الشعري من حيث موضوعه الطائفية ،وتباينه من جانب التناول اضفى عليه طابعاً ملوناً بالشجاعة؛ لولوجه في مناطق المقدس، والديني ،فإذا كان النص السابق يعزو حرائق الطائفية الى التدخلات الخارجية ، فالشاعر قاسم العابدي يُشير بأنامل شعره الى اسباب داخلية تفاعلت مع الخارجية ،وهي صراع أبناء الوطن مع بعضهم يقول: ^(٢) الكامل

(١) يقظة الهوية العراقية ، ٦٠ .

(٢) ايقاع القمر الفضي ، قاسم العابدي ، دارسطور ، ط١٥٠٢٠ ، ٨١ .

يا للغرابه
وطنٌ يُقطع لحمه وبنوه هم من يشترّون
أي الجراح تُضمّدون

كُون الشاعر باستغرابه مدخلاً يحمل دلالات عميقة تتجلى فيمن يدس سم الطائفية في جسد الوطن؛ لتقطيعه إلى هويات متنافرة بدلالة إسناد الفعل إلى المجهول (يُقطع لحمه) ، هذا من جانب ، وتفاعل أبناء الوطن مع مخرجات هذا السُم عبر شرائهم اياه من جانب آخر ومما زاد في عدد الجراح ؛ولذا استنفهم عن تضميد الجراح المتهرئه، ثم يقول (١)

من قد رأى وطناً يُقطع لحمه وبنوه
في كل الاماكن والمواطن بالقدر بلحمه
هم يطبخون ويأكلون ويهتفون
يا أيها الوطن الجريح
عذرا فانا جائعون
هذي الجراح غدت بصدري مثلما اضحت بظهري
اينما ارنو اراكم انتم من تجرحون
اي الجراح تضمّدون

الشاعر يعبر عن أزمة هوياتية خطيرة طابعها التناحر الطائفي تُفضي الى ((شيوع ظواهر الفساد الأخلاقي ،والاجتماعي ،مما يؤدي الى اختلال في بنية المجتمع التحتية ،كما يتولد لدى المواطن الشعور بالغربة ، وضعف الحس الوطني))(٢) المنبعث من دلالة (يطبخون ، يأكلون ،يجرحون) التي كُنّى به عن الهويات الطائفية المفترسة حين اينعت باقتتال الاخوان الذين رضوا بها منذ قرون ولحد الآن، هذا الإحساس المتضخم ،والمتألم جعل مدينة الشاعر فليح الركابي لا تدرأ غاصبها ،فهو مثل اليباب ،يقول: (٣) الرجز

مدينتي مثل اليباب
مغتصبة منذ الازل

(١) ايّاق القمر الفضي، ٨٢.

(٢) أزمة المواطنة في شعر الجواهري ، (دراسة تحليلية في ضوء المنهج التكاملي) ، ٣٣.

(٣) منامات مستيقظة . فليح الركابي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٣٠١ ، ٦٠.

حراسها
رجس لصوص
والاهل فيها كالهباء
قالبضون على الهواء
حماتنا ضباع
وشعبنا شياع

النص يُعُضد تكاتف احاسيس الاحباط واللاجدوى من خلال مفرداته ،فاغتصاب المدينة متأتٍ من تشرذم اهلها الى زميرٍ وشيع على وفق رؤى دينية طائفية ،وسياسية عنصرية لذات الحزب ، فالنص يوثق الاسباب التي هيجت ومهدت السبيل لإثارة الهويات الطائفية التي تقضي الى استنزاف الدماء التي لا يمكن ان يُوارى اثرها ، فالنعرات الطائفية تنشط في أماكن أكثر من غيرها ؛لاحتكاك الهويات السنية الشيعية مع بعضها ،ولعل ذاكرة الشعر تحفظ لنا ما حدث في جسر الكاظمية ،وهي تبوح ببعض الأسى عبر صوت الشاعر وليد حسين^(١) الخبيب

فوق الجسر ببغداد
ارواح القتلى تتسامى
وهي محملة بالنجوى
ممسكةً بوشائج زلفى

يبدو انشداد الشاعر الى الذات الجمعية عميقاً جداً بطريقة تُمكنه على نسج نصه من معاناة ما أُلِّمَ بأبناء جلدته ، فعملية تسامي الارواح محملة بالنجوى تكشف عن هويات المضطهدين طائفيّاً ممن يريدون تأدية طقوسهم الدينية (زيارة المقدسات) ، ومن ثمّ يمضي الشاعر في بناء نصه على اكتاف هذه الفاجعة، محاولاً التوصل الى ابتكارات جديدة إذ يقول^(٢)

عند الضفة...تمتزج
الاجساد الطافحة
معلنةً وأد التفرقة
وهي تردد
جننا لنحيا..لا تخف

(١) ظلي هناك ، وليد حسين ، دار نينوى ، دمشق ، سورية ، ط١ ، ٢٠٠٧ ، ٨٣.

(٢) المصدر نفسه ، ٨٤.

ان كنت في وادي النجف

الموت ألف شملنا

فلنتحد عند الهدف

الصور الشعرية ناصعة ، كونها قناعات فكرية تمثلها الشاعر لردم هوة تصادم الهويات بأسلوب إقناعي ، فلا نقاش إن امتزاج الاجساد على ضفة الماء يقوض فكرة الهويات المتناحرة ، فالموت وحده راح يُلملم ما تشظى من رابط الهويات التي تنبع من أصل ديني واحد ؛ لعل الجراح تتدمل ويألف الشمل ((ففي كل مجتمع ثمة نسيج خطابي لا ينفك عن النمو، والتضاعف ، وإنتاج طعوم خطابية ، لإعادة زرعها في الحقل الاجتماعي))^(١) متماشياً، وقضايا المجتمع العراقي الطائفية خصوصاً، وبنظرة أخرى للنص نجده لا يمل في الكشف عن الكنوز الدلالية التي يختزلها في باطنه ، فلا يمكن غض البصر عما أخرجه النص لأفق صارخ بازدهار الهويات الصغيرة ، و احتدامها مع بعضها ، فبعد سقوط النظام السابق ظهرت سايكولوجية المظلومية أو ثقافة الضحية فالشيعة والاكرد اشاعوا بأنهم ضحية ذلك النظام الدكتاتوري ، وفي ذات الوقت اشاع السنة ايضاً انهم ضحية النظام الجديد ، وأخذ كل منهم يرى في نفسه انه ضحية ،والآخر جلاده ،وقد افرز هذا الشعور بالغبن مهما اختلفت نوعيته ،ودرجته ،ومصاديقته ميلاً إلى الثأر والانتقام^(٢) إن إيمان الشاعر بقضيته جعله يشعر بالعبء الثقيل لتحمله الأمانة الابداعية فلم يستطع لها كتماً، نصّ كهذا على درجة عالية من الجرأة ، والصراحة يكشف لنا الاقتتال الهوياتي السني الشيعي في وطنٍ كثر فيه ((الهوس إلى الانطواء على الذات ،والعنصرية ،وكراهة الآخر ، والتطرف في الخيارات السياسية من المظاهر المعبرة عن فقدان الرابط الاجتماعي))^(٣)، والوطني ، ف ((كل المذابح التي حدثت خلال السنوات الاخيرة، وكذلك معظم الصراعات الدامية ،ترتبط بملفات عن الهويات))^(٤) التي ما برحت حتّى جعلت الذات الإنسانية في منطقة تساؤلات سديمية تسبح في ضياع الاحلام ، والآثار بفعل حروب الطوائف ،كل هذا شغل حيزاً في خطاب الشاعر علي الامارة الآتي: ^(٥) متدارك

أين آثارنا

فوق درب الزمان

(١) تأويلات وتفكيكات ،فصول في الفكر الغربي المعاصر، محمد شوقي الزين ، منشورات ضفاف، ط١، ٢٠١٥، ١٢٩.

(٢) يُنظر: يقظة الهوية العراقية ٦٢.

(٣) أزمة الهويات، ٣٣٧.

(٤) الهويات القاتلة ٣٣.

(٥) رسائل الى الموصل ١٦.

أين احلامنا
خلفتها حروب الطوائف
في موقد الحقد
محض دخان

إن تكرار بنية الاستفهام يضممر في وعي الشاعر يأساً وقنوطاً يخرجنا ((الاستفهام من بنيته ودلالته الأولى الى دلالات بديلة يظهرها السياق الذي ترد فيه))^(١)، وهكذا تختفي الآثار وتنبدد الأحلام بعدما تشظت هوية الإنسان في وطن الشاعر ،فاستفهامات النص التقطها الشاعر من مسرح رماد حروب الطوائف ، تلك الطوائف التي إذا ((انفصلت عن الجسد الرئيس تؤدي الى مشكلات فرقة ،وتناحر وصراع))^(٢) بين الهويات الطائفية التي لم تكتف بهذا ،بل اخذت على عاتقها العمل بسياسية التهجير ،واجبار المواطنين على النزوح ،فما كان من الشاعر إلاّ فتح ابواب قلبه لهم فيقول:^(٣)

سأفتح ابواب قلبي
الى النازحين

وامنحهم ظل عشق
يظللهم من هجير السياسة
والطائفية والاحتلال

إن احتضان النازحين داخل أسوار مدينة الشاعر الفاضلة ،وحده الذي يحفظ لهم هوياتهم ، ويؤمن لهم الحياة إزاء سيل الطائفية الجارف ،فالشاعر راح ((يصور في شعره ظلمة شاهدها داعياً الامة الى إزالتها))^(٤) ، ،اما الشاعر وليد حسين نجده يلقي اللوم على الهويتين السنية والشيعية ويحملهما مسؤولية ما يجري يقول :^(٥) الكامل

يا أيها القمح العراقي

(١) الرّفض في الشعر العراقي الحديث،عمار سلمان عبيد،أطروحة دكتوراه،كلية الآداب جامعة الكوفة،٢٠١٠، ٨٧.

(٢) العنف السياسي في العراق ،طالب حسين حافظ ،دراسات دولية ،٤٤، ٩٩.

(٣) رسائل الى الموصل ، ١٨.

(٤) تطور الشعر العربي الحديث في العراق ، ١٠٥.

(٥) صدى لزمان الغربة ،وليد حسين ،دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١، ٢٠١٢، ٤٠٠.

انتظر .. قال الصباح

ثم قال ... وقال

ونحن نركض

ثم نركض

كي نقاتل بعضنا

وجميعنا

صوت غريب

في يديه قبورنا

واضح هنا حلوك الصورة التي رسمها الشاعر في نصه الذي يفصح عن عدوانية الهويات الدينية في العراق ، فتوهج الفتن ، وعملية إذكائها ينبثق من هويات (نحن) ، بإسناد الأفعال إليها (نركض ، نقاتل) تلك الأفعال التي أنعشت تقديس الهوية الطائفية وتهميش كل من لا ينتمي إليها ، ومن ثم زادت حيوية التعنصر والتميز ، ولعل مضارعة الأفعال تدل على استمرارية الازمة الطائفية ، ولتكثيف الدوال المعبرة عن الفكرة الطائفية ، أطلق الشاعر على الهويات القاتلة (صوت غريب) يمتلك في يديه قبورنا .

فاحتدام الصراع الهامشي للهويات حتماً سيفضي إلى الانقسام وتحويل جسد الأمة العراقية إلى مجاميع متناحرة ، هذا ما تجلّى في خطاب الشاعر سامي مهدي يقول: ^(١) متقارب

وقالوا .. وقالوا .. فماذا نقول

وقد أطبقت فتنتان

وها نحن في أخريات الزمان

أمتان

من حولنا قاطرات دم ودخان

وفوانيس سودّ وأبخرة عفنة وسموم

واسماك قرش تحوم

إنّ ما يهيب النص فاعلية أكثر دينامية ، هو إزاحة غبار الخشية عن علاقات لغوية جاءت بقصدية ؛للاشتغال في مساحة البوح في لحظة انشطار هويتنا إلى أمتين ، تلك اللحظة التي كثر فيها سيل الدماء

(١) مدونات هابيل بن هابيل ، ٩٥ .

،وتصاعد الدخان ،حتّى غدت الفوانيس التي عُرفت بأنّها تبعث الضوء سوداء ، والابخرة التي يتصوع منها الطيب عفنة ، وبهذه الاجواء تُقضم هويات الشعب العراقي بكل أطيافه ،فرغم انغماس النص في الواقع الطائفي إلا ان صورته، كثيراً ما تكون محكومة بانفعال طاغ ،او افكار ، او صور اثارها ذلك الانفعال ^(١)

، وإذا سرنا قليلاً مع التجارب الشعرية ، نجد لونا آخر يبدو مغايراً للألوان الشعرية السابقة ، غايته هي رتق الفتق الهوياتي ، وكبح جماح الطائفية عبر حوار الذات الإنسانية، فهذا صوت الشاعر حميد نجم الزبيدي يصحح : ^(٢) الرمل

لِمَ هذا البوح في سفك الدماء

فالهوينا

أنا امسيّت ..واياك

على الارض سواء

انت لله تصلي

وأنا كذا

فلماذا النأي ..والبغضاء ..والهم الدفين

هذا النص هو رسالة انبعثت من ذات الجماعة إلى من يتولى تصدير الفتاوى الطائفية في سفك الدماء تاركاً الهويات تدور في طرقات الضياع ،محملة بالوجع ،فدلالة (أنا وإياك على الأرض سواء) تجعل الكل يقف تحت مقياس تشابه الهويات البشرية ،ومن ثم تُفقد فكرة التفاوت بين الافراد والجماعات دينياً ، وليس هناك من يملك الحقيقة وحده ، فالكل لديه جزء منها ، وحكرها لطرف واحد محال ، كما قدم النص حجة اخرى لا اختلاف عليها وهي الصلاة لله ، فهذه قواسم مشتركة إنسانية ودينية تزيد من متانة الترابط الهوياتي بيننا ،ثم يستقهم مرّة اخرى بعد تقديم الرؤى لماذا النأي والبغضاء؟ ، وبهذا يدعو الشاعر إلى تحرر هوياتنا من ((سجون ،واطارات، واغلال، واوثان فرضتها علينا تقاليدنا ،وعاداتنا، وثقافتنا ،وذلك سر الفشل))^(٣) في تعايشنا الإنساني ((فكلما تقدم مشروع وطني لإبعاد الشبح الطائفي ينبش الطائفيون الماضي ،ويرفعون المظلومية ببارق ترفرف فوق رؤوس المنكوبين))^(٤) ، وفي نص آخر يمتلك بمكنوناته

(١) ينظر: التحليل النقدي للأدب ،عناد غزوان ،دارآفاق العربية ،١٩٨٥، ١٩٧.

(٢) لائى طيفها ألق ،حميد نجم الزبيدي ،٥٤. ٥٥

(٣) الدين والظما الانطولوجي ،عبد الجبار الرفاعي ،دار التنوير للطباعة والنشر ،بيروت لبنان ،٢٠١٧، ٢.

(٤) ضد الطائفية، ١٠.

قدرةً لملامسة دلالات تحاكي الحياة المسكونة بألم طائفي عتيق ، يسترسل الشاعر عمر السراي بوصاياه
فيقول: ^(١) متقارب

تدرب
واسجد الآن .. للطلقة الطائشة
هي الله
والمُخرجون بنوك وانت
وكل استداراتك المستقيمة حنجرة راعشة

لعل نجاعة الشاعر في احتواء محيطه الموبوء بالخيبات مهدت له الدرب لصياغة وضاعة ما يحصل
في الوطن ، برؤية شعرية عملت على تحويل السجود لله الى منطقة اشتغال اخرى تكللها مسوغات دينية
تقتات العنف وهي السجود للطلقة الطائشة التي غدت هي (الله) تعالى ، فمنطقة كهذه تُعد مرتعاً غنياً ،
وملاذاً ، ومأمنًا لتتاسل الهوية الطائفية عبر الأجيال ، ولذا اجترح الشاعر وصايا تُقنع جميع الجهات
لوطنٍ يبدو أحوج ما يكون اليها يقول: ^(٢)

تكتف .. واسبل
وكن وسطاً .. بين .. بين
وطرز حذافير إيمانك البكر .. بالخلفاء
وعطر الصحابة .. والانبياء ..
والممل .. والنحل ... وال.....هراء
وكن دمة دون عين
والطم قليلاً ...
لكي لا يُقال بانك لست الحسين
عنده سوف تُقنع كل الجهات بان إلا تُقَطع منك
اليدين

^(١) للدرس فقط ، عمر السراي ، دار الزاوية ، بغداد ، ٢٠١١ ، ١٣

^(٢) للدرس فقط ، ١٣

لا شك أن تصورات الشاعر هي وليدة غربة روحية ،عايشتها الذات تحت وطأة المقدس الديني ،فانبعثت صرخة الحياة عبر لسان الشعر تدعو الى اعتناق التسنن هوية (تكتف) والتشيع كذلك (اسبيل)،والانتماء الى منطقة المابين وسطاً بين الهويتين، هكذا ازدواجية تكشف تمرداً على قيود الانتماءات الطائفية الضيقة الدموية من جهة ، وسخرية تقوض هذه التراتيبات وتدعو إلى تحرر الذات الإنسانية من جهة اخرى ، فدلالة كلمة (ال هراء) التي تذيلت ترتيب المحذور الديني في جسم النص ((تحمل كل مظاهر الاستخفاف ، والتعالي الساخر ... وتخطي الحواجز التي قد يعجز عن تخطيها الآخرون ،والقارئ يرى نفسه مستجيباً للكاتب متوافقاً معه متعاطفاً مع ما يُثيره))^(١) من افكار تتماهى مع الموقف بكل ابعاده ، ومن ثم يدعو الشاعر تقمص الهوية الشيعية بوساطة اللطم ،والبكاء ،فكل هذه الاعمال التي ابتكرها المنجز الشعري جاءت للظفر بصعود مركب النجاة ، والحفاظ على اليدين من التقطيع ،في خضم تلاطم امواج الهويات الطائفية المَغْرَقَة .

هكذا تُستلب الحياة ، وتشوه معالمها ،وقد اقتنص الشاعر مسار رياض هذا الاستلاب ، وترجمه عبر نصوصه فيقول: ^(٢) متقارب

وها نحن يا أم
ايا منا دون لون
ولا طعم ولا رائحة
واصواتنا إذ تُغني
تغني المواويل باكية نائحة

إذ يتوصل الشاعر في هذا النص إلى نتائج ما آلت إليه النصوص السابقة ،فلسفة الهوية الطائفية لا تخلف سوى حياة فاقدة لكل مقومات العيش ،فالأيام دون لون او طعم، او رائحة ،وبهذا تُادلج اصوات الغناء ،الفرح على وفق رؤى طائفية إلى بكاءٍ ونواح ،فالحياة ((ليست تعبيراً مبهماً ،او مصطلحاً غامضاً ، عند الفنان ،ولعل ابرز ما تتشخص فيه الحياة عنده هذا المجتمع الذي يعيش فيه ، ويتعامل معه متلقياً قيمه العديدة ...ومن هنا فإن العلاقة بين الفنان ، ومجتمعه علاقة أزلية))^(٣) .

(١) السخرية في ادب المازني ، حامد عبده الهوال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢ ، ٢٠ .

(٢) لا ، مسار رياض ، دار تموز ، دمشق ، ط١ ، ٢٠١١ ، ١٥١٤ .

(٣) تطور الشعر العربي في العراق ، اتجاهات الرؤية وجماليات النسيج ، ٩١ .

إنّ بروز الهوية الطائفية لا يقتصر على الشواهد السابقة ، بل هناك شواهد كثيرة لا تقل دلالة عما تناوله
في متن المبحث نشير الى جملة من هذه النصوص الشعرية (١)

(٢). ينظر: خذ الحكمة من سيدوري ، ٦٢ ، ٦٣ ، وينظر: الضحك من الايام الاتية ، ١٠ ، ، وينظر، في الطريق الى القلب ، ٣٥ ، وينظر صوت
بلا صدى ، ٤٦ ، وينظر توأبيت عائمة ، ٤٥ ، وينظر سلالم الأسئلة ، ١٨٣

المبحث الثاني

استلاب الهوية المكانية

الهوية المكانية

إذا كان المكان يعني الموضع باتفاق جميع المعاجم العربية ^(١) ، فإنه من الناحية الاصطلاحية قد تشعب في ميادين كثيرة فهو ((وسط غير محدود يشتمل على الأشياء وهو متصل ومتجانس لا تميّز بين أجزائه وذو أبعاد ثلاثة هي الطول والعرض والارتفاع ... وهو بهذا تصور عقلي محيط بجميع الأجسام)) ^(٢) ، فمن هذه الميادين الفلسفة التي تنظر الى المكان على أنه ((هو النهايات المحيطة بالجسم الطبيعي)) ^(٣) ، أما علم النفس فقد اشتغل على حقيقة المكان النفسية انطلاقاً من ((إنّ الصفات الموضوعية للمكان ليست إلا وسيلة قياسية تسهل التعامل بين الناس في حياتهم اليومية تماماً كالمقاييس الموضوعية للزمن)) ^(٤) ، ومن الميادين الأخرى علم الاجتماع الذي تعامل مع المكان بوصفه السياق الجغرافي والمعماري للسلوك ^(٥) ، إلا أنّ الدراسة لا تحاول التوغل كثيراً في ارضية هذه الاشتغالات وستقتصر على تتبع تجلّي المكان بوصفه هوية في الفضاءات الشعرية مروراً بعلاقة التواشج بين قطبي الهوية، المكان/ الإنسان .

يشكل المكان ركناً مهماً من حياة الإنسان في خضم علاقة حميمة بينهما بوصف المكان ((أحد أبرز العناصر الدالة على وجود الإنسان ونشاطه ومستوى تفكيره ، وهما يرتبطان ببعضهما ارتباطاً حيويّاً فلا يمكن ان يعيش بدون مكان ، كما لا يمكن تصور المكان وتحديده إلا بوجود الإنسان فيه)) ^(٦) ، ومن ثم يمكن القول: إنّ المكان يمثل البؤرة التي تحتوي على تفاعل الإنسان ومجتمعه هذا من جانب و((حين نضيف المكان الى الإنسان نحصل على لفظ يدل دلالة عميقة على صيرورة الحياة الإنسانية)) ^(٧) ويتحقق الجانب الآخر من القول ، وهذا يُمكن المكان بأن يكون قادراً على ان يُثير إحساساً ما بالمواطنة وإحساساً آخر بالزمن والمحلية حتّى لنحسبه الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه ^(٨) ، وهذا متأثّر من ((كل ملائمة للمكان إنما هي ملائمة لشبكة العلاقات التي تربط الاشخاص بالمجال المعيشي ارتباط وجود

(١) ينظر: كتاب العين ، مادة (مكن ، كون) : لسان العرب ، ، مادة (مكن ، كون) .

(٢) المعجم الفلسفي ، ١٩١٠ .

(٣) مشكلة المكان في فلسفة ابن شد ، عبد العزيز لعمول ، مجلة فكرونقد ، ١٣٤ ، موقع فكرونقد fikrwanakd-aljabriabed.net الجابري

(٤) التفسير النفسي للأدب ، عز الدين اسماعيل ، مكتبة غريب ، ط ٤ ، ٥٩ .

(٥) ينظر: المكان والمصطلحات المقاربة له ، دراسة مفهوماتية ، غيداء احمد ، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية ، مج ١١ ، ٢٤٦ ، ٢٤

(٦) المكان في الشعر العراقي الحديث ١٩٦٨ - ١٩٨٠ ، سعود احمد ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٦ ، ١

(٧) الانتماء في الشعر الجاهلي ، فاروق احمد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٨ ، ١٩٣ .

(٨) ينظر: إشكالية المكان في النص الادبي ، ياسين النصير ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠١١ ، ٥ .

وانتماء وهوية ((^(١)) فالمكان يمثل جزءاً من هوية الإنسان على وفق عملية متبادلة من التأثير ، إذ ان المكان ((يكسب هوية الإنسان الذي يعيش فيه تماماً كما يؤثر في الإنسان فيكسبه هوية خاصة وهذا يجعل المكان يمثل الحيز الأكبر من حياة الإنسان))^(٢) ، ويحفر بعداً هوياتياً في كينونة الذات الإنسانية لتتجذر علاقتهما ((فالهوية هي بالدرجة الاولى علاقة وليس شيئاً محدداً وجامداً))^(٣) ويمكن تتبع هذه العلاقة تمثلاً وظهوراً في النصوص الشعرية للولوج في مساحة اشتغال ما تصبو إليه الدراسة بوصف الشعر يجسد ((برزخ العلاقة بين الذات والمكان إنَّه التجلي غير الحر لتلك العلاقة الخاصة التي ارتسمت معالمها بين الذات والمكان على مدى سنوات طويلة))^(٤) ، فالمكان في الأدب له أهمية كبيرة والشعر خصوصاً إذ ((إنَّ العمل الأدبي حين يفقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته))^(٥) ، ولكن هذه الاهمية تنطلق من مصير الإنسان ووجوده وهويته ، الأمر الذي جعل الناقد ياسين النصير يحدد مسارات على الاديب ان يعمل بها حين يودُّ المكان في نصه ومن هذه المسارات : ان يصبح المكان في القصة او القصيدة هوية تاريخية ووطنية ^(٦) وهذه نظرة تنم عن عمق العلاقة بن الإنسان والمكان ((فالإنسان يقبع في بوتقة المكان ، وتشكل الاماكن المحيطة به هاجساً له وهويته هي التي تحدد مكانه الذي يثيره بالتحديد بل اصبحت جزءاً من حياته))^(٧) وعلامة مضيئة تدلّ على الانتماء المكاني بمختلف تجلياته على وفق مقاربات ومفاهيم هوياتية تتمظهر في النص الشعري وهذا يؤكد بصورة او بأخرى حقيقة مؤداها أنَّ ((المكان وحدة اساسية من وحدات العمل الأدبي والفني في نظرية الأدب))^(٨) وبهذا نتقرب إلى مساحة اشتغال تحقق لنا ارتباط المكان بالشعر ؛ لأنَّ ((الشعر العربي شعر مكاني مكاني في ارتباطه بالبيئة التي انتجتة والإنسان الذي أبدعه))^(٩) ، فالشاعر حين يمارس وجوده هوياتياً عبر الوسيط اللغوي

فهو يرفد الانتماء المكاني بكل اشكاله انطلاقاً من ان المكان يمثل ((الحدث الرئيس والبؤرة الوحيدة التي يتنفس من خلاله الشعراء فهوية الشاعر مرتبطة بمكانه))^(١٠) وحتماً أن الشاعر هو صوت لذات الجماعة

(١) فلسفة المكان في الشعر العربي ، قراءة موضوعاتية جمالية ، حبيب موني ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١ ، ص ٧.

(٢) المكان في شعراين زيدون ، ساهرة عليوي حسين ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠٠٨ ، ص ١٥.

(٣) أزمة الهوية واشكالات بناء الذات الحضارية ، برهان غليون ، مجلة مواقف ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ع ٦٦٤ ، ص ٧٣.

(٤) غوايات سيدوري ، قراءات في شعر محمود درويش ، خالد عبد الرؤوف ، دار جليل ، عمان ، ٢٠٠٩ ، ص ١٠٣.

(٥) جماليات المكان ، غاستون باشلار ، تر: غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٤ ، ص ٦.

(٦) ينظر: إشكالية المكان في النص الادبي ، ص ١٦.

(٧) صورة المكان الفنية في شعر احمد السقاف ، بدرنايف الرشيد ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم ، جامعة الشرق الاوسط ،

٢٠١٢ ، ص ٣٦.

(٨) المكان في شعر بدر شاكر السياب ، فاتن محمد فارح ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة آل البيت ، ٢٠١٠ ، ص ٢٠.

(٩) فلسفة المكان في الشعر العربي ، قراءة موضوعاتية ، ص ٨.

(١٠) صورة المكان الفنية في شعر احمد السقاف ، ص ٣٦.

، ومن ثمّ بالإمكان تتبع المكان بوصفه هوية في تمظهرات متباينة تلون بها المنجز الشعري ، فالمدينة مثلاً شغلت حيزاً كبيراً في الفضاء الشعري بوصف المدينة كياناً هوياتياً تماهى بين ذات الشاعر وذات الجماعة ممن يشاطرونه الانتماء إليها عبر ممارسه وجودهم أو استلاب هذا الوجود .
فالشاعر عليّ جعفر العلاق يستفهم على من يغنيّ لمدينة بابل ونهر دجلة بعدما أصبح كلتاها موتاً إذ يقول : ^(١) السريع

لمن تغني أيّها الراحل

لا دجلة تلك

ولا بابل

كلتاها موت

وكلتاها نار البدايات

أيقوى على فوضاهما شيء

أيقوى دم ، أو لغة هوجاء

أو ساحل

الحياة فقدت بعدها الإنساني ، فالموت يجثم على شغاف المدينة (بابل) فلمن الغناء إذن ؟ بعدما رحلت كل معاني الخصب والحياة المتمثلة بـ (دجلة) ، فالسؤال المائل في النص يفتح لنا دلالات ارتباط الذات بالمكان ؛ لرسم هوية تعاني من الاستلاب الوجودي من جانب ، وكذلك توثق لنا كيفية ظهور الهوية المكانية في النص الشعري وعمق ارتباطها بالإنسان من جانب آخر بوصف ((المكان بالمعنى الفيزيقي أكثر التصاقاً بحياة البشر ... لأنه يُدرك إدراكاً حسيّاً مباشراً))^(٢) وبهذا جاء المكان تمثلاً للهوية ، وقريباً وقريباً من هذا النص تمثل المكان بوصفه هوية في قصيدة الشاعر عبد الامير خليل مراد إذ يقول : ^(٣) خيب

من قال الآن

إني لم أتوكأ رأس صبي

في (قاضي جبران)

يعرج ببراءته نحو سماوات

^(١) سيد الوحشين ، علي جعفر العلاق ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ٩١ .

^(٢) جماليات المكان ، جماعة من الباحثين ، عيون المقالات ، دار قرطبة ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٨٨ ، ٥٩ .

^(٣) الضحك من الايام الآتية ، ٩ .

أخرى
ويقولُ لقاتله :
لا تبرح جنة بابل
واعبر شط الحلة كلّ نهار
لتظهر هذا القلب الابيض من ديجور
الشيطان

النص يرصد حيثيات المشهد وتجلياته المكانية بأسلوب يعتمد على الأنسنة والتشخيص اللذين شكلا مادةً لصناعة الهوية الانتمائية لـ (قاضي جبران) عبر ما حدث فيها من ويلات الارهاب وغيرها فـ ((سؤال الهوية يستحضر موضوعة المكان لأن وعي الهوية الذي هو وعي كينونة إنسانية يتجذر في نسيج مكان حقيقي))^(١) فتكثيف درجة الايحاء بوساطة عمق المداليل الشعرية (قاضي جبران ، جنة بابل ، شط الحلة) شكل هويةً لذاتٍ جماعية تنتظر من يعبر عنها وقد تكفل النص بذلك ، وقد تتحول المدينة الى مدياتٍ تمنح المنتمي إليها الانتساب بدلاً من الانتساب العشائري او غيره ، فيحصل الفرد على كينونة الهوية عبر الوسيط اللغوي المشتق من اسم المدينة ،وقصيدة الشاعر عبد الامير خليل مراد تجسد هذا الاشتغال إذ يقول : ^(٢) خيب

أقتل حلياً ... تريح
بالأطنان
شيخاً ، طفلاً ، امرأة
وزرافاتٍ مما شئت وشاء الزمنُ
الخوان
أقتل حلياً .. بل أقتل نُورانياً
يتملى في باب المشهد
شمس عليّ
فأنا غادرت الغفلة
وبصدري كم حاصرت
الطوفان
أقتل ... حلياً

(١) الهوية والشعر في تجربة الفريد سمعان ، ١٢٤ .

(٢) الضحك من الايام الآتية ، ١٤ .

يتوضاً من بسملة (محمد العتائقي)

وقصائد (حيدرة الحلي)

وعصارة ابن (ابي القاسم)

يُمسي ويُصبح واللقمة

آه اللقمة

يلقفها من شدة الحيتان

لعل بروز مساحة جملة (أقتل حلياً) جاءت ؛ ليؤسس منها الشاعر كيانه هوياتياً مشتقاً من اسم المدينة ((مستخدماً سلاح التكرار انتصاراً لفكرته ، فجاءت منسجمة مع ما رآه الشاعر او اوجده انطلاقاً من ذلك المنظار عبر فضاءاته الشعرية))^(١) ، وهذا تبرعم من صلة حميمة بين الإنسان والمكان حتّى أصبح كل منهما جزءاً من طبيعة الآخر ، وما تناول النص لهذه الثيمات سوى ((تجليات لحالة التفاعل الحياتية التي تنعكس على الفن ... حتّى يصبح الفن دالاً معبراً))^(٢) عن وعي وانتماء مبدعه لهوية مكانية تعددت دلالاتها في جسد النص عبر ادوات لغوية هي (حلياً ، محمد العتائقي ، حيدرة الحلي ، ابي القاسم) ؛ لتتخذ سيرورة الهوية المكانية مساراً يسهم في إضفاء نوع من التجذر الإنساني تماهياً مع مكانه ضد من يمارس تهميشها بالقتل ، فالهوية ترتبط بوعي الذات والمكان بوصفه المعنى الملازم لها. وفي السياق نفسه يتجلى المكان بوصفه هوية تعاني من الاغتراب جراء الأحداث التي حلت بالعراق إذ يقول: الشاعر جمال الفريج^(٣) خيب

نصف لنصوص العالم

ونصف القتلة

ونصف جواسيس الارض

ونصف السفلة

دخلوا بغداد

فاتشحت بسواد لم تألفه

وبكاء لم تعتده

شوارعها

ضيقة بنفايات الموسورين من الحرب

حدائقها

(١) حفريات النص الشعري ، قراءات في نصوص عراقية معاصرة ، ٢٦ .

(٢) المكان في شعر محمود درويش ، حسن غانم ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠١١ ، ١٤٩ .

(٣) وطن تحت خط الوجع ، جمال الفريج ، دار ضفاف ، بغداد ، ٢٠١٥ ، ١٤ .

ما عادت تومي للقادم (اهلا)

والأيام بدت شاحبة

والاحلام تعدت سن السبعين

الشاعر استقى صورهُ الشعرية من الحياة اليومية في مدينة بغداد ليفصح عن مكانٍ يعاني من أدران الاستلاب الهوياتي ((فالمكان يكتسب معاني وجودية أكثر تعديدية وعمقاً في حالة تهديد الهوية ويقوم النص بوظيفة تعبيرية عن هذه العلاقة المتلازمة بينهما))^(١) وحجم التهديد يكمن في اشتغال دوالِ ألسنية في مساحة النص (لصوص ، قتلة ،جواسيس ، سفلة) وهذا يفضي إلى طقوس من الضياع في متهات تشويه معالم المكان ،حيث التوشح بالسواد غير المألوف والبكاء بطريقةٍ غير معتادة والشوارع ضيقة بفعل الحرب ، كل هذه التظاهرات جعلت المدينة في حالة مماثلة للموت فاقدة للحياة تشعر بالهزيمة إذ ((هُزمت المدينة حين هُزم الإنسان فيها ، وهزيمته عميقة عمقها))^(٢) كائن في اغترابه وهو يمارس انتماءه للمكان بوصفه هوية ، وهذا متأث من الإحساس بفقد المكان عبر ضيق الشوارع وقف الحقائق ؛ ولذا شاخت الاحلام وشحبت الأيام وما عادت ترحب بالقادم ، فاذا كان هذا النص يُشير الى استلاب المكان من قبل الآخر ، فالنص الآتي يبين الأسباب التي دعت الى هذا الاستلاب ، فالمساومة على بيع بغداد من قبل العواصم التي تعتبر أمكنة معادية لبغداد أحد الأسباب التي يكشفها نص الشاعر حسن عبد راضي اذ يقول : ^(٣) وافر

على بغداد

تأتمر العواصم

في كهوف المكر

بغداد البتول

حبيبة الشعراء

سيدة النساء

سليلة الفيروز والحناء

تنسج نسوة المبغي لها كفنًا

يخطن عيونها

وتُباع للأعداء

(١) المكان وتحولات الهوية عند محمود دويش ، ليانة عبد الرحيم ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا ، جامعة بيزيت فلسطين ٢٠١٢ ، ٤٦ .

(٢) تحولات المدينة في الشعر العراقي الحديث ، ٤١ .

(٣) طقوس موت الاشياء ، حسن عبد راضي ، شرق غرب للنشر ، ط ١ ، ٢٠٠٩ ، ٥٨ .

يفصح النص عن مكنونه الدفين برؤية يتخللها القلق إذ الإحساس بضياح الهوية المكانية يهيمن على حروف القصيدة ، فعملية التأمر في كهوف المكر حفز أو شجّع نسوة المبعى على نسج كفنٍ لمدينة بغداد ومن ثمّ المتاجرة بها ، وهذا يُنبئ بصراع مرير بين المكان الاليف الحسي (بغداد) الذي يغذي الذات بالوجدان والانتماء الهوياتي وبين المكان المعادي الخيالي المتجلي في كهوف المكر وهذا يكشف مدى الاستلاب الذي يطال المكان بوصفه هوية لذات جمعية ترجم معاناتها النص الشعري ، وفي بنية نصٍ آخر تتضخم فيه دلالة الاستلاب إلى درجة حرمان الذات من العيش في الحياة إذ يقول: الشاعر سامي مهدي : ^(١) متدارك

سقط الآن منا شهيد

سقط الآن بين الرصافة والكرخ

واحتر منه الوريد

فاجر من بقايا المغول

وعلق جثمانه فوق (جسر الحديد)

يبدو ثمة ترابطٌ قوي بين قطبين عبر عنهما النص بأدوات تُنبئ بوجود استحضار للهوية بشقيها المنتمي الى الجماعة بدلالة (منا) والمنتمي الى المكان بدلالة الرصافة والكرخ ، كما أنّ النص يمثل ((مظهر من مظاهر الحرمان الذي يطبق على الانا المستلبة مثلما يستهلكها حرمانها من هويتها الإنسانية ، ان الأنا المستلبة حينما تفقد ملكيتها لكيونيتها تفقد حتماً ملكيتها لعالمها المادي)) ^(٢) ، والمكاني ، فالمكان هو من يكسب الذات بعداً هوياتياً لممارسة الانتماء حتّى وان كانت الذات تقلق من الاغتراب والاستلاب في محيطها ، فالنص يتكئ على هذه المقاربة في نسج بنيته ، اما قصيدة الشاعرة بشرى البستاني فقد اتخذت من مدينة الفلوجة هويةً مكانية إذ تقول : ^(٣) رجز

قلبي على كفيك ناعورة

والموت نافورة

تغزلها الرياح

شالاً على مدارج الصباح

اطلّع من سفرجل الدماء ...

اسطورة تشربها الدماء .

اصابع النهار

(١) ابنا ايّنا ، ٥٨ .

(٢) جماليات النص الأدبي ، دراسات في البنية والدلالة ، ١٠٢ .

(٣) مواقع باء - عين ، ٩٦ .

سواعد الفلوجة الفرعاء
تمتد كي تضم قامة العراق
نخلة .. دماءه .. ماءه
الفلوجة التاج الضياء ، الماء
والفلوجة الوشاح
ينزف ورد اللوز في رمالها
الفلوجة العراق
يعدوها على مدارج الجراح
والفلوجة الظلال
والحديقة الرفات
تسري بحزن خافت
بغصة مخنوقة
وصحوة شائكة

مدينة الفلوجة هي من صنعت الهوية عبر تفاعلاتها وأنسنتها مع مكونات النص بوساطة مشاكسة اللغة وتفجيرها حتى أصبحت بؤرة مركزية تختزل وتهيمن على كينونة الانتماء المكاني ، فالذات الشاعرة جعلت من المدينة منفذاً للروح عن علاقتها بالوطن واحتضان قامته بوصف ((تعبير الأنسنة من أروع القيم الجمالية في الفن يضيف فيها الفنان صفات إنسانية محددة على الامكنة وظواهر الطبيعة حيث يشكلها تشكيلاً إنسانياً ... حسب الموقف الذي أنسنت من أجله))^(١) ، والموقف هو تجلي فضاءات الهوية المكانية التي تبدو كبيرة بدلالاتها، إذ يحتل الارتباط الوثيق بين الفلوجة والذات الشاعرة المساحة الأكبر في جسد الكتابة ، وهذه العلاقة متأتية من تكرار فاعلية المكان في أكثر من تماهي لرسم الهوية التي تكون ((مرتبطة مع تجليات الأمكنة وإنها منبثقة عنها ومترافقة مع تغيراتها))^(٢) فالهوية تُعيد انتاج نفسها انطلاقاً من الامكنة لأنَّ ((الأحداث والمواقف التي اهتز لها وجدان الشاعر كانت المدينة ميدانها فقرب ذلك بين الشاعر وبينها))^(٣) ، أما قصيدة الشاعر سعيد جاسم الزبيدي (الاربعاء الاسود) المهداة الى (من لدغ من جحر مرتين تفجير سامراء ثانية)فالقصيدة تعكزت على التفجير الذي نال من مدينة سامراء لتبوح بما حفر في ذاكرة المدينة من عمليات اقتلاع لجذور الانتماء إذ يقول :^(٤) رجز

(١) سيكولوجية الابداع في الحياة ، عبد العلي الجسماني ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٥ ، ٥.

(٢) المكان وتحولات الهوية عند محمود درويش ، ١٠٠.

(٣) الشعر العربي المعاصر وقضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ، ٣٤٧.

(٤) صوت بلا صدى ، ٤٦ ، ٤٧.

مُدَّ حمل الزمان بعيداً

عن سُرٍّ من رأى

لم يبرح التأريخ من عنوانه

بل كان من عنوانه

مُذْنَةُ ملّويه

والبركة الحسناء عند البحري

وقبة للعسكري

وغير ذا شواهد عصية

فأصبحت قضية

في الاربعاء الاسود

يصح ان يردّد

"يا ليت اشياخي ببدرٍ تشهد"

إنَّ ما يتعرض له المكان الذي يخص هوية ما من إلغاءٍ وتهميش قد يكون سببهُ التطرف الديني او الطائفي جاء لي طرح معاناة الانتماء المكاني بوصفه هوية ، ثم نجد اللافت للنظر: إنَّ هذه القصيدة تتأسس على التمثيل الدلالي عبر المزوجة بين مرجعيتين للحدث : تاريخية واخرى معاصرة وهذا منبثق من دمج الحدث المكاني بالزمان فشواهد المكان في مدينة سامراء تعددت (مُذْنَةُ ملّويه ، البركة الحسناء ، قبة للعسكري) ولكل منها ترابطات نفسية ودلالية ، فالمعنى يخرج من دائرة النص ليربط بين الدوال والايحاءات ليصنع مكانين يمثل كل منهما هوية وانتماء وفق مسار الصراع بينهما ، فهوية انكسرت (ببدر) تحاول ان تتأثر بـ (الاربعاء الاسود) وكلا الحدثين ارتبط بالمكان ومن هنا مارس النص الشعري فاعليته على المكاشفة الشعرية بأسلوب مميز ، ومن ثمَّ ((تطرح قضية الكتابة عن المدينة شعرياً علاقة الشاعر بالمكان حيث تصبح الذات المبدعة مقيمة في اللغة وداخل جغرافيات المدن في آن معاً ، فالقصيدة تحرض خيال الشاعر وتدفعه الى اكتشاف سيرة المدن بغية التذكر))^(١) ، وحين يتعرض المكان الى

حالة الانكسار والقهر حتماً سينعكس ذلك على الهوية وخير من جسد ذلك قصيدة (اطفال العامرية يحلقون في السماء) للشاعر عبد الامير خليل إذ يقول :^(٢) الخبب

(١) قصيدة المكان والمكان القصيدة ، بوشوشة بن جمعة ، مجلة علامات ، مج ١٨ ، ٧٠٤ ، جدة ، ٢٠٠٩ ، ٣٠٣ .

(٢) الضحك من الايام الآتية ، ٤٧ .

نحن طيورٌ لم تُولد الا في محراب

الحب

لم تلبس الا اردية بيضاء

بلون ضمير بلادي الابيض

نحن طيور ضحكها ورد

الزمان

فتخطت صوت الشمس بجناحيها

فرأت في (العامة) عفواً

في الملجأ قبر العالم ينتظر

الإنسان

هذه لغة شعرية تؤرخ انكسارات الذات وتوغل في رسم الوجد الذي يلزم الذاكرة ، إذ إنّ الهزات التي تعرضت لها الهوية من إبادة وقتل جماعي ارتبطت بالمكان (ملجأ العامة) المحفور في جدار ذاكرة المجتمع ، فحين يحيق الخطر بكيونة الذات الإنسانية فحتماً إنّ المكان من يتصدى لأرشفة هذه الاشتغالات فكل من يسمع بـ (ملجأ العامة) يذهب بخياله الى مشاهد القتل والقهر ، فالقبر هو المكان المغلق الذي جسد في ظهوره بؤرة كبرى لنهاية البشر أي إنّّه مارس نشاطه وتوسّعه ؛ ليعبر حدود المكان (العامة) الى العالم ، وهذا التوجه جعل الهوية المكانية تظهر وهي تعاني من التهميش والاضطهاد ، فالمكان هو العرين والظلّ الملازم للهوية خصوصاً بعدما أعاد الشاعر إنتاج صياغتها كهوية لا تعود الى اصحاب المكان المستلبين بل تكون هوية إنسانية عالمية ، وهذا التجلي متأثّر مما يقوم به المكان ((بوظيفة رافعة روحية للنصّ الذي يعبر عن المكبوت وعن بواطن الامور التي يصعب وصفها عن طريق القبض عليها بشكل حسي مباشر))^(١) .

أما المكان الريفي القرية تحديداً فقد جسدت في ظهورها كينونة اغتراب ووجع للذات جرّاء ما تعانيه من ادران التهميش إذ يقول :^(٢)

فوق مياه الهور ..

تجثم قريتي .. سكرى

في الصيف حرّ الشمس يلهب جوفها

والقرّ يلسعها طول الشتاء

اكواخها هرمت .. ثكلى ..

(١) المكان وتحولات الهوية عند محمود درويش ، ٤٤ .

(٢) لآلئ طيفها ألق ، ٤٣ .

وما انفكت تُلَوِّحُ غرقى

بأشعة الهوان

تتقيأ ادران التهميش

يكرس الشاعر مداليه الشعرية على النقاطات مشهدية لجزئيات الطبيعة الريفية للظفر باسترداد الوعي بالمكان بوصفه هوية ، فاذا كان الكوخ هو المكان الاليف في نظر باشلار والذي مارسنا فيه الارهاصات الاولى لبناء انتمائنا المكاني ^(١) ، فإنه يبدو معادياً في النص المائل ؛ بفعل انتشار ادران التهميش التي كان مصدرها السلطة ، ومن ثم يتمثل الانتماء الى الهوية المناطقية في جنوب العراق (العمارة ، الناصرية) بكل تجلياته بحرارة شمس وطبيعة كوخه في حياة تطفو على وجه مياه الهور ، فالأجواء المكانية بنقاصيلها المهمشة تمثل مشهداً اغترابياً للإنسان واستلاباً لانتمائاته الهوياتي ، وبقدر ما يفك التهميش وجود الإنسان في قريته يتعزز ارتباطه بهويته المكانية اكثر ف ((المكان هنا اوسع من صيغته الجغرافية ، إنما ما يشمل عليه المكان وما يتعلق به فضلاً عن شروطه التاريخية والاجتماعية والانسانية ، وبهذا يصبح العامل الإنساني جزءاً من المكان)) ^(٢) ، ومن ثم تتميز الذات ويمكن تشخيصها بوساطة هويتها المكانية ، اما قصيدة (ذلك الجسر) للشاعر سعيد جاسم فقد اشغلت في جزء من المكان إذ اتخذت من جسر الصرافية في مدينة بغداد مكاناً للألفة والاطمئنان ، ولإظهار هذه الحالة فقد تمثل هذا المكان بوصفه هوية في قصيدته ، ومن ثم كانت عتبة الاهداء ايضاً تدور في المضمون نفسه ، فاذا كانت العتبة الاولى تبدو ضبابية فان العتبة الثانية (مهداة الى جسر الصرافية) تفتح مغاليق الاولى إذ يقول : ^(٣) الرمل

عندما العصرُ يجزُّ الذيل في شاطئ دجلة

وعلى الجسر الذي همزة وصل صار

إذ يحمل منا لهفة العمر

ومن تمشي معي

تقلت جملة

...

وانطوت من عمرنا ذكريات

شهد الجسر عليها

حينما كان على وقع خطانا يتمايل

(١) ينظر: جماليات المكان غاستون باشلار ، غالب هلسا ، ٦١ .

(٢) غوايات سيدوري ، قراءات في شعر محمود درويش ، ١٢١ .

(٣) صوت بلا صدى ، ٣٣ .

مثلاً لهفتنا لهفته

وإذا غبنا اضطراراً يتساعل

ثم جرتنا على رغم الخطى غربتنا

لبلاذٍ ليس فيها ذلك الجسر

ولا في الكون ما يقرب شكله

يبدو أنَّ عتبتَي العنوان والاهداء يوجهان القارئ نحو ابعاد دلالية تعزز حضور الهوية ، إذ تزدهم العبارات الدالة على بروز حقلها ، وهذا يمتد على مساحة القصيدة تقريباً يستمدّها النص من وطأة المكان الذي ظهر في سلسلة الذكريات ، ذكريات تباغتها لهفة التوق الى الماضي ومشاعر الالفة ، فالشاعر يؤنسن المكان الذي يكتسب صفة وجوده حينما يشعر باللهفة لمن تقاسموا معه الذكريات ، ويتساعل عنهم اذا غابوا ، فالمكان الذي تمارس الذات فيه وجودها لا يمكن ان يُستبدل بمكان اخر واذا ما حدث ذلك يحل الاغتراب ، فحتماً ان حضور الغربة وخلو البلاد الاخرى بل خلو الكون من ذلك الجسر وما يقترب من شكله هي لعبة لغوية تفضي الى رسم شحنة من المشاعر والاحساس بالمعايشة والتآلف بين الذات والمكان ، وهذا تمثلٌ لهوية تنطلق من الفضاء الداخلي للنص لتؤكد وجودها خارجه تحديداً في مدينة بغداد ، وهذا يؤكد ان العلاقة مع جزء من المدينة يعني الانتماء إليها .

فكل مكان يكتنز على دلالات عديدة قد تكون تاريخية أو دينية أو اجتماعية أو غيرها وهذه الدلالات تأخذ حيزاً في ذاكرة الامة والمجتمع في مساحة اشتغال غير مستقرة ؛ بسبب اضطراب قطبين متناقضين : مركزية وجود الإنسان وهامشيته ، وهذا يعمق منابع القلق والاستلاب والضياع الذي يمس الهوية المكانية ، من ثمة فهناك نصوص أخرى ظهر فيها المكان بوصفه هوية ^(١) .

(١) ينظر: نقوش على جذع نخلة، ١١٧، ١٢٥: لإله تموز ، ٣٨ : عمره الماء ، ٩ : للوقت نص يحميه ، ٧، ٨، ٤٢ .

المبحث الثالث

حضور الهوية الإيديولوجية

الهوية الايديولوجية

إنَّ الأفق الذي نقدم فيه البعد المفهومي للإيديولوجيا لا يمكن أن يستوعب كلَّ ما تناوله المنظرون عن الإيديولوجيا ، ولذا سنكتفي بما يفيد الدراسة أو يقترب منها وبشكل موجز .

رغم كثرة التعريفات التي قدمت شرحاً للمفهوم إلاَّ أنَّه ما زال يمثل محل جدلٍ بين المفكرين الذين أخذوا على عاتقهم الخوض في مضماره، ((والسبب في ذلك ان مفهوم الايديولوجيا ليس مفهوماً عادياً يعبر عن واقع ملموس فيوصف وصفاً شافياً ،وليس مفهوماً متولداً عن بديهيات فيُحدّ حداً مجرداً وانما هو مفهوم اجتماعي تاريخي ،وبالتالي يحمل في ذاته آثار تطورات وصراعات ومناظرات اجتماعية وسياسية عديدة))^(١) وهذا ما جعل المفهوم مدعاة لوصفه ((بالغموض وعدم الاستقرار في صيغة مفهومية واحدة ، تحدد وتضبط اطاره المعرفي وتصنّفه ضمن مستوى ثابت))^(٢) . فمنذ أن نُحت مصطلح الايديولوجيا في القرن التاسع عشر من قبل الفرنسيين^(٣) وهو يشغل في سياقات عديدة تبعاً لاختلاف مرجعيات من ينظر لهذا المصطلح والنقاط الآتية توضح الايديولوجيا تعريفاً واشتغالا^(٤) :

أولاً: هي الافكار المسبقة الموروثة عن عصور الجهل والاستبعاد والظلم والاستلاب .

ثانياً: من وجهة نظر هيغل فالأيديولوجيا تعني : منظومة فكرية تعبر عن الروح التي تحفز حقبة تاريخية إلى هدف مرسوم في خطة التاريخ العام .

ثالثاً: من وجهة نظر الماركسية تعني : منظومة فكرية تعكس بنية النظام الاجتماعي .

رابعاً: في نظر نيتشه تعني : مجموع الاوهام والتعديلات والحيل التي يعاكس بها الإنسان /الضحية قانون الحياة .

خامساً: في نظر فرويد تعني: مجموعة الافكار الناتجة عن التعاقل الذي يبرز السلوك المعاكس لقانون اللذة والضروري لبناء الحضارة .

ويبدو ان هذه التصورات تتفق على ان ثمة ((تلاحماً بين الواقع والايديولوجيا فهي لا تعكسه فحسب بل

(١) مفهوم الايديولوجيا ، عبدالله العروي ،الدار البيضاء ،بيروت ،المركز الثقافي العربي ،ط٥ ،١٩٩٣ ،٥ .

(٢) الايديولوجيا وبنية الخطاب الروائي ، عمرو عيلان ، منشورات جامعة منتوي _قسنطينة ، ط١ ، ١٠، ٢٠٠١ .

(٣) ينظر: الايديولوجيا، عمار علي حسن ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط١ ، ٢٠٠٧ ، ١١ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه ، ١١ : الايديولوجيا ، محمد سبيلا وعبد السلام بنعيد العالي ، دار توبقال ، ط٢ ، ٢٠٠٦ ، ٢٠ .

تحاول تسويغه أيضاً والواقع ليس مجرد واقع اجتماعي مادي ، وإنما هو واقع اجتماعي ونفسي وروحي ((^(١)، على الرغم من كثرة تباين تعريفات الايديولوجيا إلا أنَّ الضرورة العلمية تقتضي تحديد تعريف يتناسب وطبيعة الخطاب الشعري والرؤية التي يكتنزها في عمقه ولهذا يمكن القول: إنَّ الايديولوجيا نتاج فكري ومعرفي يتبناه الفرد أو الجماعة للتعبير عن علاقة الناس بعالمهم الديني والسياسي والقومي والاجتماعي وغيره ،وفق افكار و رؤى تمثل هوية لمن ينتمي اليها وهذا المنتمي يؤول الوقائع بكيفية تبدو مطابقة لما يعتقد .

فالقول أن ((الايديولوجيا لديها قدرة عجيبة على أن تتغلغل في كل ما ننتج من أفكار وما نبدع من فنون ... الإبداع الأدبي نثراً وشعراً))^(٢) يفتح آفاق الدراسة في مساحة توضح العلاقة بين الادب والايديولوجيا، فتحدد الايديولوجيا والتفتيش عن بؤرة اشتغالها لكشف حقيقة ونوع هذه الايديولوجيا الموجودة بين النصوص الادبية يحتم علينا بيان هذه العلاقة كون النصوص الادبية تكاد لا تخلو من أيديولوجية معينة ، ويمكن تلخيص هذه العلاقة بأمرين: ^(٣)

الاول: الايديولوجيا تكشف بوساطة النص الأدبي بوصفها ايديولوجيا عامة في عصر ومجتمع معينين ، فالنص الادبي يُظهر ما كان مخفياً من نوايا كاتبه ويجعله واضحاً وما يدور في داخله من انعكاسات فكرية ورؤى تمثل هوية ايديولوجية .

الثاني: يقوم العمل الأدبي بمهمة كشف الواقع المشحون بالايديولوجيا فهو بمثابة تمثيل جمالي لظواهره ومخفياته المستقاة من الواقع .

فالمتتبع للنشاط الإبداعي الشعري العراقي يجده وثيق الصلة بالمجتمع وبحركاته الفكرية والثقافية والحزبية وهذا يشجع الايديولوجيا للولوج والامتزاج في النص الادبي حتَّى يصبح فضاءً من فضاءات الممارسة للهوية الايديولوجية ، ووفق هذا التواشج تكون غاية المتن الشعري ((إعادة إنتاج للايديولوجيا وليس نتاجاً لها ؛ لأنها موجودة قبله ، ولأنه أحد خطاباتها))^(٤) .

كما لا يمكننا التغافل عن حقيقة مفادها ان الخطاب الشعري الايديولوجي لا يمكنه التجرد من الثنائيات المتضادة في الانتماء للهوية الايديولوجية، ذلك الانتماء المنبثق من التباين بين الذات والآخر إذ ((كل

(١) الايديولوجيا /الخطاب /النص ، نحو مقارنة مفاهيمية ، عموري السعيد ،مجلة الاثر، جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية الجزائر

١٨٤، ٢٠١٣، ١٤٢،

(٢) الايديولوجيا ، عمار علي حسن ، ٦،

(٣) ينظر: الادب والايديولوجيا ، عمار بلحسن ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، د.ط ، الجزائر ١٩٨٤ ، ٤٧.

(٤) الادب والايديولوجيا ، ٩٦.



ايدولوجية وضعية لابد ان تنتج بحكم طبيعتها الخاصة ايدولوجية غيرية من خلال عملية توليد الفوارق بين الذات والآخر ((^(١) ، مما يخلق في المجتمع حواراً هوياتياً حاداً في أفق تتصادم فيه موجات الفكر . وفي ظل هذا الفضاء المحموم بالصراع الفكري كان لظهور الاعمال الشعرية ذات الصلة الوطنية بالتوجهات الايدولوجية الأثر الذي يغري الدراسة لاقتناصها .

فالفكر العلماني مثلاً قد تجلّى في قصيدة الشاعر عارف الساعدي (شعر البنات) إذ يقول : ^(٢) المتقارب

لأنك لم تعشق امرأة
او تلاعب ظفيرتها ذات ليل
لذلك تكره شعر البنات
واذكر انك تضرب
كل الصغار الذين اشتروا بدرهمهم
شعر كل البنات
وتطرد بائعة من محلتنا تقول
ان شعر البنات
قد يذكركم بالحياة

حتماً إنَّ ((القول الأدبيّ ليس صياغة تركيبية أو تطبيقية لقواعد لغوية أدبية جاهزة ، أو هو انشاء يُحفظ ، أو يتوارث أو يُلقن ... بل هو حجم وفضاء : حجمه هو الدلالات التي يولدها في فضاء الفكر))^(٣) ، فدلالات هذا النص تتكاثف في جسده ، لتلوح للقارئ بوجود انتماءات لهوية ايدولوجية لها حقلها المعرفي في قراءة الحياة، تلك القراءة التي تبدو منفتحة من عنوان القصيدة الذي يُشير إلى نوع من انواع الحلوى التي يحبها الصغار وبهذا فهو يضمّر بوحاً بالجمال يفضي إلى بوابة الحياة الحلوة والخلابة ، ومن ثمة تمثل الآليات والأنساق التي يشتغل بموجبها النص ((دعوة صريحة الى حرية التفكير والتحرر من السلطة الميتافيزيقا الدينية التي فُرضت كقالب جاهز ومنهج تفكير صارم غير قابل للتخطي))^(٤) على وفق آراء متزمتة شجعت ذات الشاعر للتصدي لها بفكره الايدولوجي الذي يُعد بمثابة رؤية للعالم، ذلك العالم الذي يُبنى على اساس المحبة والعشق والجمال ويقوض فكراً ضيقاً لا ينتمي الى الإنسان بل يشكل

(١) النقد الروائي والايدولوجي ، من سوسيولوجيا الرواية الى سوسيولوجيا النص الروائي ، حميد لحمداني ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٩٠ ، ١٦ .

(٢) جرة أسئلة ، عارف الساعدي ، مكتبة عدنان للطباعة والنشر ، ط ١ ، ٢٠١٣ ، ٨١ .

(٣) ١٨ ، ١٩٨٥ . (٣) في معرفة النص ، دراسات في النقد الادبي ، يمنى العيد وحكمت صباغ الخطيب ، دارالآفاق الجديدة ، بيروت ،

(٤) الايدولوجيا / الخطاب / النص ، نحو مقارنة مفاهيمية ، ١٣٩ .

وجعاً له بوساطة (الكره ، الطرد ، الضرب) ، فالشاعر لم يقل للآخر ((انك تكره المرأة مباشرة لأنه لو فعل لأخرج التورية من مجازها انما ترك المتزمت)) (١) يقول : ان شعر البنات يذكركم بالحياة هذه هي نظرة التدين للحياة في جسد النص اما نظرة الشاعر وممن يشاطرونه الانتماء فالحياة تمثل ((تورية عن المرأة لكونها عنواناً للجمال والخصب والتجدد ، وبهذا فإن طرد المتزمت لبائع الحلوى من المحلة وعدم السماح له ببيع شعر البنات للصغار ترميز لما يقوم به بعضهم من طرد الجمال عن المجتمع وفرض الافكار السوداوية عليه)) (٢) وهذا متأث من كون المجتمع العلماني تأسس على ترحيل التوجه الديني بتوطيد القيم الاجتماعية التي لا صلة لها بسلطة الدين (٣) .

وإذ تسترسل الهوية الايديولوجية بإضاءات تخترق عتمة الانغلاق بصورة تُناغم الصباح بصوت الغناء والفن ؛ لتجعل الايام مستساغة يبوح الشاعر بما تبقى من قصيدته إذ يقول : (٤)

لأنك لم تبصر الصبح
حين يسيل على صوت فيروز
ولم تره وهو يفرك عينيه في لذة
هكذا انت
صباحك حافٍ من الاغنيات
صباحك تسحلُ الشمس متعبةً
صباحك يبدأ خطوته كالعجوز
لذلك تنسى جميع الاغاني
وتبقى تردّد في عطش
لا يجوز
لا يجوز
لا يجوز

وتستمر الهوية الايديولوجية بطرح نقدها لعقلية الانغلاق المفرط ، تلك العقلية التي تفرض نفسها متخذةً الدين سلاحاً يحارب الحياة والإنسان ؛ ولذلك جاء الصباح خالياً من اللذة فشمسه متعبة وخطوته كالعجوز والسبب هو عدم خروج الآخر من وطأة (لا يجوز) فالنص نُسج من بنات أفكار الايديولوجيين كروية

(١) غبار السباع ، قراءات نقدية في نصوص شعرية ، ٩١ .

(٢) المصدر نفسه ، ٩٢ .

(٣) ينظر : الايديولوجيا وصراع المركز والهامش عند الغربيين ، احمد مداس ، مجلة المخبر ، ابحاث في اللغة والادب الجزائري ، جامعة خضير بسكرة ، الجزائر ، ٧٤ ، ٢٠١١ ، ٥١ .

(٤) جرة أسئلة ، ٨٣ .

تقوم ((برسم صورة لعالم جديد ، وتستند هذه الصورة الى تفسيرهم للعالم كله ، هذا التفسير الذي يدعون له حقيقة مطلقة يستمد منه الإنسان معايير وقواعد للسلوك في حياته اليومية ، فالمرء الذي يعتقد ايدولوجية ما يعثر فيها على مرساته ومرتكزه ، مثلما انها تزوده بالمعرفة واليقين عن مغزى حياته ومعناها وتمنحه طمأنينة تشكل الحياة وتشيد صرحها)) (١) ، ومن جهة اخرى يشكل النص مرآيا تعكس الفكر الايدولوجي النقدي تجاه التدين ذلك الفكر الذي يشتغل وفق علمنة الحياة .

وفي قصيدة أخرى انضمت لما سبق من توجهٍ فكري بطرحها للمضامين الإنسانية الحية تميزت ببساطة اللغة وشفافية البوح لا تخرج بوعياها عن بوتقة الاشتغال السابق إذ يقول كاظم الحجاج : (٢)

المتقارب

انا لا اصلي

انا اتوضأ دون صلاة وهذي شمالي

اعف واطهر ممن يصلي نهاراً ، ويسرق في الليل خبز

عيالي

طقوس النص تنقر على وترٍ حساس إذ تشكّل انتصاراً جميلاً بهويتها التي ((تقدم للإنسان معطيات ومكتسبات وحلولاً في مجالات التمدّن تنافس ما يقدمه الفكر الديني)) (٣) ويكشفها ازدواجية الصلاة في النهار والسرقة في الليل ، فالشاعر يتخذ من الاشياء بُعداً جوائياً بتقمصه أنساقاً دينية تدلّ على الطهارة بوجودها في النص (أنا اتوضأ) ويعمّق رؤيته كثيراً حين يوظّف دلالة (الشمال) بصورة مغايرة لكيونونتها الدينية إذ جاءت الكلمة على درجة عالية من العفاف والطهارة من أجل عالم نقي، وشرفة واسعة نطلّ منها على توجهات ايدولوجية غنية بأفكارها ((تؤول الوقائع بكيفية تُظهرها دائماً مطابقة لما تعتقد انه الحق)) (٤) ، وبهذا فالنص سافر إلى المناطق الشعرية المتاخمة لبؤرة الصراع الفكري مع الآخر لمماسة الحياة الفاضلة بالنسبة لمعتنقي هوية ما تضمنه النص .

(١) الايدولوجيا دفاتر فلسفية، محمد سبيلا وعبد السلام بنعيد العالي ، ١٥.

(٢) جدارية النهرين ، كاظم الحجاج ، دارتموز ، ط١ ، ٢٠١١ ، ٦٣.

(٣) التراث والعلمانية ، البنى والمرتكزات ، الخلفيات والمعطيات ، عبد الكريم سروش ، تر: احمد القباجي ، دار الفكر الجديد النجف ، د.ط ، د.ت ، ٣.

(٤) مفهوم الايدولوجيا ، ١٠.

وعند الانتقال إلى شاعرٍ آخر تميزت نصوصه باكتنازها على ذخيرةٍ فاعلة تُضيء ،وتسلط أضاءتها على ثراءٍ معرفي يُنبئ بالانتماء إلى هويّة ذات توجه علماني تتجاوز حدود النص الشعري ، إذ يقول: يحيى السماوي^(١) الكامل

بحبيبة

شهرت ضفيريتهابوجه عمامة

افتت بأنّ العشق معصية

وربّ عمامة

تخفي وراء حريرها

مليون قاتل

لا شك إنّ ((للشاعر أكثر من عين رائية وأكثر من مرآة للرؤية))^(٢) تتخندق لخدمة انتماء النص وتوجهاته المهجنة بالعلمنة على درجة كبيرة جعلت ضفيرة الحبيبة مادة مشعة في شعرية النص على الرغم من محدوديتها لتتخطى مفهومها الوجودي الى ثيمات دلالية تتحد وتتماهى مع موجودات الشاعر ذات البعد الهوياتي للولوج في منطقة التصارع الفكري مع الآخر الذي افتى بأنّ العشق معصية وهو الدين الاسلامي ،بوجود دال لغويّ (عمامة)، وحين يزداد تعلّق الشاعر بمبادئه للقبض على لحظات الجمال والحب في تضاعيف الزمن وفضاءات الحياة يكشف ويفضح التدين الزائف الذي يقوم بتحريم العشق والافتاء بالقتل ،منطلقاً من انتمائه ليبوح بلغة العشق والنقاء رغبةً منه في خلق مواءمة بين افكاره وعملية تجسيدها ضد الآخر ، فالفعل (شهرت) ترك فسحة للتأمل في ذهنية المتلقي لمعرفة الذي شُهر ، ولكن سرعان ما كُسر أفق التوقع بوساطة ضفيريته ليضفي بُعداً جمالياً موعلاً بالانتماء الايديولوجي ، ثم يؤكد الشاعر هذا الخطاب في قصيدة أخرى تمظهرت فيها صوراً مارست دوراً مفصلياً في تحريك الشعرية الى مساحة الفكر الذي ينشد الحياة يقول : يحيى السماوي^(٣) متدارك

خبّي يا قوت عينيك

احذري النور

فعشاق الظلام

اصدروا الفتوى بتحريم القناديل

وتكفير اغاني العشق ..

(١) لماذا تأخرت دهرأ ، ١٦ .

(٢) استنطاق الحجر ، دراسة في شعر جواد الحطاب ، ياسين النصير، دار الفراهيدي ، بغداد ، ٢٠١٧ ، ١٧ .

(٣) لماذا تأخرت دهرأ ، ١٠٠ .

أضحى كلُّ منبوءٍ اميراً
وسقيط آثم الأُمس إمام

...

نَهَرْنَا مُتَّهَمُ المَوجِ بِأرواءِ الأَزهيرِ
وَإطفاءِ الضَّرَامِ
نَخلْنَا مُتَّهَمُ السَّعْفِ
بِأبواءِ الحَمامِ

هكذا جاءت القصيدة حبلً برؤية مسكونة بتوجهات مضادة لواقع التدين ، فهي اعتراف شجاع لذات تعلن حربها على عشاق الظلام الذين يتهمون ممارسات الطبيعة ؛ لأنَّ ((العمل الشعري لديه فعالية محركة لوجودنا ... ويصوغ توجيهاً فعالاً للإنسان نحو آنه ومستقبله))^(١) ، فتحرير القناديل وتكفير الموسيقى والفن والحياة واتهام احتضان السعف للحمام ، او النهر حين يتدفق بنشوة العطاء كلها انزياحات شعرية تتسم بالحركة وسيولة الحياة وتتمرد على سطوة التدين وجموده الماسك على مفاصل الحياة ، فهذه القصيدة ((هي مطهر من درن الواقع ومعطياته الضبابية ، هي خلق حركة للأمام بإحتوائها المفاهيم والرؤى الجديدة ... وطرائق النظر إلى الذات والعالم))^(٢) ، ومن ثم فالقصيدة تمثل اتجاهاً ذا طبيعة انسانية تتأى بنفسها عن مظاهر التدين المجوف ، ولعل هذه المظاهر وغيرها حفزت الشاعر عارف الساعدي نحو الإيغال في الآفاق البعيدة تستغرق جوهر الحياة وعلمنتها ، والبحث عن المسكوت عنه فيما يخص ضيق النظر لدى الآخر إذ إنَّ الشعر ((لم يعد إسقاطاً لهموم فردية وبكاء على اطلال الذات المهمة ... وإنما كان انتماءً فكرياً ذا جوهر إنساني))^(٣) وهذا ما تبلور في قوله : ^(٤)

وكان يُعَلِّمُ إبناءنا مهنة الموت
ان المدارس حافية في دفاترهم
كان يهمل مدرسة ويهدم أخرى
ويقول
بأن المدارس في وقتنا لا تليق
كان يهدم مدرسة
ويبني

(١) شعريات المتخيل ، اقتراب ظاهراتي ، شركة النشر والتوزيع المدارس ، ط١ ، ٢٠٠٠ ، ١٨٧.

(٢) في جماليات شعر الحداثة ، عبد الناصر هلال ، دار الحرم للتراث ، د.ط ، ٢٠٠٦ ، ٨.

(٣) جماليات النص الادبي ، دراسات في البنية والدلالة ، ٦٧.

(٤) جرة أسئلة ، ٢٠ ، ١٩.

بإشلائها جامعاً في الطريق

لأبد من البوح بحقيقة جوهرية هي ((عدم خلو النص الأدبي من ايديولوجية معينة معلنة أو مسكوت عنها يشير اليها المبدع ضمناً أو صراحة))^(١) ، وهذا متأث من وجود تصارع بين الانتماءات ، فالانطلاق من الايديولوجيا بوصفها ((نظام الافكار الهجائية الناقدة لوضع سياسي))^(٢) ، أو ديني يرفد مسارات الدراسة بتتبع تمثلات الهوية الايديولوجية للمنجز الشعري ، فالنص المائل امامنا يتضمن نقداً للآخر ينبع هذا النقد من رؤية ((تفضي الى عدم الثقة بالدين وزعزعة القوانين الدينية في الحياة البشرية عن طريق محورية العقل))^(٣) بوصف التدين يمتنهُ الموت ويعلمهُ ، ويبني من اشلاء العلم (المدرسة) جامعاً ليسد به الطريق ، فالذاكرة مثقلة بمعاناتها الماضية المتأتية من تكرار (كان) وتنوع ما بعدها من افعال جعلت من النص نسقاً يحتوي بداخله ايديولوجية متعارضة ، بمعنى أنه يحمل الايديولوجية التي تمثل المؤلف ونقيضتها الممثلة لموقف الآخر الايديولوجية التي لابد لها أن تشغل حيزاً في النص^(٤).

إنّ الأرضية الأدبية العراقية ما تزال خصبة وصالحة لاكتناز اشكال متعددة من الفكر والوعي الايديولوجي ذلك الفكر الذي ظهر واضحاً وصريحاً في مساحة شعرية وضمناً في أخرى من النصوص السابقة ، ومن ثمة بالإمكان تتبع سيرورة أخرى اظهرها استقراء المتن الشعري إذ تجلّى الحزب الشيوعي والفكر الماركسي هوية للانتماء الايديولوجي في الوسط العراقي الذي تميز بظهور احزاب قومية ودينية ويمينية ويسارية ، فالشاعر الفريد سمعان وجد الملاذ والدفء الفكري في الحزب الشيوعي ، فراح يرتل بكتابته رحلة في فضاء الولاء والاندماج الحزبي المرتبط بالوطن ، ففي قصيدة (هم يعرفون) يبدو الصراع كبيراً بين الوجه الشيوعي المتمثل بصوت الشاعر ، والتوجه المضاد للحزب إذ يقول : ^(٥) الكامل

يتساءلون

ولربما... يتندرون

بحيرة يتساءلون

ماذا فعلتم...؟

(١) ايديولوجية الخطاب السردي ، قراءة نقدية في قصص (قلعة الحاج سهراب) لهشام الركابي ، خالد علي ، مجلة ديالى ، ٢٠١٦، ٧٢٤، ١٣٧.

(٢) المصدر نفسه ١٣٧.

(٣) العلمانية ، ماهيتها، تعريفها ، مقاصدها ، كريم عبد الرحمن، مجلة الاستغراب ، ٢٤، ٢٠١٦، ٣١٩.

(٤) ينظر: القراءة وتوليد الدلالة ، تغير عاداتنا في قراءة النص الادبي ، حميد لحميداني ، المركز الثقافي العربي ، ط٢، ٢٠٠٧، ٢٦٣_٢٦٤.

(٥) هم يعرفون ، الفريد سمعان ، دار تاراس للطباعة والنشر ، اربيل ، ط١، ٢٠١٠، ١٨.

طيلة السنوات تحت مظلة الاهوال

النص الابداعي في مضمونه العام قد بُني على نزعات الآخر العدائية لإيديولوجية الحزب ،فاستفهام المتسائلين والمتنكرين يُخبئ بين طياته معارضة لفكر الحزب الذي لم يفعل شيئاً ملموساً في نظر الآخر المتسائل ،ثم ينبثق صوت الشاعر ذاكراً مناقب ومآثر الفكر الشيوعي المحفورة في الذاكرة ؛غايتُهُ التجذر في اعماقه الحزبية ضد من يروم استصغار الحزب إذ يكمل القصيدة السابقة بقوله : (١)

قولوا لهم

قولوا لمن يتسائلون

قولوا لمن يتندرون

من علّم الاطيار

كيف تعانق الاغصان في شوقٍ

وتتشد للوطن

اننا اقوى من الموت

اعلى من مشانقهم

...

واننا شيوعيون

تحتفل الرعود بصوتنا

شيوعيون

تلتمس الملاحم صبرنا

شيوعيون

تفتخر الشموس بفجرنا

شيوعيون

تمتلئ المروج بوردنا

فهذا الخطاب يبيت رسالة ايديولوجية واضحة المضمون في ولائها السياسي حتّى اننا نلتمس حماسة الشاعر لأفكار ذلك الحزب وهو يدافع عنها بإيمان كبير، وهذا يعمّق الهوية الايديولوجية للفكر الشيوعي ، ويحصن اسوار الانتماء من الخلطة ، فالنص جاء رداً قوياً على استفهام الآخر بوساطة تكرار كلمة (شيوعيون) الذي ((يخدم دون شك غرضاً أساسياً في النص الشعري ، أي إنّ الشاعر عندما يلح على

(١) المصدر نفسه ٢٢٠.

تكرار اسم معين فإنه يجعله النقطة المحورية والاساسية التي تدور حولها القصيدة ((^(١))، والنقطة المحورية تستمد طاقتها من الانتماء المنطلق من الخلود على قوى الموت واعواد المشانق ، ويزداد تجلي الانتماء حين يكون الهدف النضالي واحداً ، وذلك يفضي الى أنسنة الطبيعة لتحقل الرعود بصوت الشيوعيين ، وتفتخر الشموس بفجرهم والملاحم تلتمس صبرهم فكل هذه تمثل هوية الكفاح الماضي والمستمر ضد الآخر المعادي ، والاستمرار متأث من دلالة الافعال (تحتقل ، تلتمس ، تفتخر) ، المضارعة ، وهذا يُفشي بمرجعيات الهوية الايديولوجية التي تغلغت في اعماق الشاعر وممن يشاطرونه الانتماء ، فالشاعر نافذة ضوئية للروح بالانتماء والدفاع عنه ، ومن ثم فهو ((يجسد الصراعات المستمرة بين ايديولوجيات متكونة ضمن بُنى ثقافية مرتبطة بحتمية البنى السياسية والاجتماعية والفكرية))^(٢) . وفي خطاب آخر يتخذ من الذاكرة بتقنية الاسترجاع مادة لبوح بداية الانتماء الحزبي لنمو الهوية الايديولوجية إذ يقول : ^(٣) الكامل

ما زلتُ اذكر
كيف قادتني اليك
خطى شبابي
ما زلتُ اذكر كيف قادتني ترانيم الدفاع
عن الشغيلة
نحو ساحات المعارك ... والمنافي
ما زلتُ اذكر
كيف ارغما الرصاص على الرضوخ

إن هذا المقطع يبدو مشحوناً بإسقاطات ذاتية تفيض منها ذكريات قديمة ولكنها ما زالت طازجة في كينونة الشاعر ؛ لأنَّ ((الاحداث التي تدخل الذاكرة تكون قد نجت من غلواء الزمن فهو لا يطالها))^(٤) إنها تسكن في فضاء ينأى عن حركة الزمن المُغيِّرة ، فالاختزال الشديد للذكريات صوب الانتماء الحزبي مبعثه الايمان بالهوية الايديولوجية ، فالقصيدة منذ ارهاصات الأولى تمثل التجربة الذاتية للشاعر فهي تسرد لنا ما تراكم من صفحات تاريخ النضال والكفاح في سبيل الولاء ، عبر الضمير الشخصي (ما زلتُ) وعند تخوم نهاية النص تتسع هذه السيرة لتشمل نضال الحزب عبر تراكم تاريخه بصورة كاملة ، وهذا

(١) قراءات اسلوبية في الشعر الجاهلي ، موسى رباحه ، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ط ١ ، ٢٠١٠ ، ٢٧.

(٢) الادب والايديولوجي ، كمال ابو ديب ، مجلة فصول ، ٤٤ ، ١٩٨٥ ، ٢١٧.

(٣) الطيور ، ٦٤-٦١.

(٤) في بنية الشعر المعاصر ، محمد لطفي اليوسفي ، دار سراش للنشر ، تونس ، ط ١ ، ١٩٨٥ ، ٤٥.

نستشفه من الصوت الجمعي في (ارغما) ،ومن ثم فاستحضار الماضي الشخصي في النص المضمخ بصوت الجماعة او هو صوت الجماعة تتجسد فيه ثيمة كبرى وهي الثبات على الانتماء الهوياتي المؤدلج بالفكر الماركسي الشيوعي الذي امتد على طول مساحة النص و حيث الانتماء في مرحلة الشباب والترنم بالدفاع عن مبادئ الحزب حتّى وان كلف الأمر خوض المعارك والتصدي للرصاص وإرغامه على الرضوخ بقوة الانتماء .

إنّ بروز الهويات الايديولوجية في المجتمع العراقي مثل ميداناً واسعاً لتباين الرؤى واختلاف الآراء بحكم تباين المرجعيات الفكرية لكل هوية ولكل حزب وهذا ما جعل الأدب يُؤدلج على وفق قناعات الهوية استجابةً لطرح فكرٍ يملك رؤية للعالم عبر نقده الآخر ،او يتجذر بانتمائيه المعبر عن الجماعة ضد الآخر المعادي ،فاشتغال الهوية ايديولوجياً لا يقتصر على الشواهد السابقة ، بل هناك شواهد اخرى ولكن سعيّاً منا لتقنين الدراسة بالإيجاز والتكثيف اكتفينا بهذه الشواهد (١)

(١) ينظر: عمره الماء ،٨٠: اطفئني بنارك ،٩٠: نقوش على جذع نخلة ،٥٢: جرة أسئلة ،٢١٠.

الفصل الثالث

اقانيم التشكل الفني

لشعر الهوية



المبحث الأول

الهوية والرمز



الهوية و الرمز

ما زالت رحلة الشاعر حيوية ومستمر في البحث عن عشبة الخلود (اللغة) التي تكون قادرة على اختزال واحتواء دلالات ورؤى كثيرة في مساحة لغوية ضيقة ومحدودة ، وقد وجد الشاعر المعاصر ضالته في توظيف تقنية الرمز ليعود مستفيداً من رحلته اللغوية .

فالرمز حتماً تجاوز كينونته اللغوية من أنه ((تصويت خفي باللسان كالهمس ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير ابانة في صوت ، إنما هو إشارة بالشفيتين))^(١) إلى فضاءات أوسع تتجسد فيها رؤية وأفكار ومفاهيم تلامس قضايا دولة الإنسان وهويته ، إذ إنّ الرمز ذو طبيعة حراوية يتلون بتلون المعارف ، ((وهذه الطبيعة غنية ومثيرة تتفرق دراستها في فروع شتى من المعرفة في علم الديانات والانثروبولوجي وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم اللغة نفسه))^(٢) ولكن ما تسعى إليه الدراسة يبدو بعيداً عن غاية هذه الاشتغالات ، فما يهمننا هو تجلي الرمز الشعري وكيف يسهم هذا التجلي في رفد مفاهيم الهوية برؤية إيحائية ؛ كون الرمز اقتصاداً لغوياً يكتف بمجموعة الدلالات والعلاقات في بيئة دينامية تسمح لها بالتعدد والتناقض مقيماً بينها أقنية تواصل وتفاعل ، كما إنّه علاج لجمود المعطيات والمفاهيم الثابتة^(٣) ، ويشير الدكتور إحسان عباس إلى أن الرمز ((يعني الدلالة على ما وراء المعنى الظاهري مع اعتبار المعنى الظاهري مقصوداً ايضاً))^(٤) وهو قبل كل شيء ((معنى خفي وإيحاء انه اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة))^(٥) للولوج في فضاءات القراءة تلك القراءة التي تكتف من دلالات النص بوصف الشعر حمّال اوجه ، ومن ثمّ فاستعانة النصوص الشعرية بالرمز للتعبير عن مكنوناتها الهوياتية جاءت بقصدية تُفضى إلى اشتغال تفاعلي بين لغة النص والمتلقي ، إذ ان هذه النصوص المضمخة بالرمز تظل مترعة التأويل انطلاقاً من تباين أدوات القراءة وزوايا النظر ، وهذا يُبين لنا مدى اهمية تبوء الرمز في المساحة الشعرية ، فعودة الشاعر إلى الينابيع الرمزية ليست حلية جمالية تُضاف الى العمل الشعري بقدر ما هي عامل اساس يساعد الإنسان المعاصر على اكتشاف ذاته وتعميق

(١) لسان العرب ، مادة "رمز"

(٢) الشعر العربي قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، ١٩٦ .

(٣) ينظر: الترميز في شعر عبد الوهاب البياتي، حسن الخاقاني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ٢٠١٣، ٢٧.

(٤) فن الشعر، احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٩، ٢٣٨ .

(٥) زمن الشعر، ادونيس ، دار العودة ، بيروت ، ط ٢، ١٩٧٨ ، ١٦٠ .

تجربته ومنحها بعداً شمولياً وضرورة موضوعية تستطيع النهوض _ بما تمتلك من طاقات متجددة _ بعبء الهواجس والرؤى والأفكار المعاصرة^(١).

فتوظيف الرمز في العمل الشعري يمثل نوعاً من امتداد الماضي في الحاضر ويمنح الرؤية الشعرية نوعاً من الشمول والكلية ، فتعبر حواجز المكان والزمان متعاقبة فضاء أرحب يلتقي فيه الماضي مع الحاضر^(٢) ، ومن ناحية أخرى لا يمكننا التقليل من حاجة الشاعر الى الرمز كونه ((وسيلة تعبير تتقذه من الخضوع الى بؤس الواقع المحدود ، فكان الرمز الأداة التي تستطيع احتمال الحاجات التي يجب وضعها في صياغة فنية تجسد مظاهر التجربة الشعورية وأعماقها))^(٣) ، وقد تكون رحلة الشاعر في عوالم الرمز بأنواعه ليس محض ارادة بل إنه ((مرغم على ذلك بسبب وجود عوائق سيكولوجية واجتماعية وأخلاقية فضلاً عن الخوف والحياء تحول دون اللجوء الى التعبير مباشرة عن رغباته وأحاسيسه ، أي أنّ الشاعر يعتمد إلى الرمز بصورة طبيعية وقسرية في آن واحد فيظهر رمزه كمظهر الثورة على وضوح الكلاسيكي العادي ، الذي يشوبه الصدق وعدم الافتعال وبصورة أخرى ان الشاعر يفيد من طرائق التعبير الشعري فيحل الرمز والإيحاء))^(٤) وهذا يعمق ويغني دلالة النص لتجاوز المباشرة والواقع ، فالرمز قد ((يبدأ من الواقع ولكن لا يرسم الواقع ، بل يرده الى الذات ، وفيها تتهاجر معالم المادة وعلاقتها الطبيعية لتقوم على انقاضها علاقات جديدة مشروطة بالرؤية الذاتية))^(٥) للشاعر ، وهذا يُدرك بوضوح خصوصاً اذا كان الرمز منسجماً مع السياق الشعري وبهذا يكون ((اداة لنقل المشاعر المصاحبة للموقف وتحديد ابعاده النفسية))^(٦) والاجتماعية والسياسية التي تلامس هواجس الفرد والجماعة والجماعة ضمن البوتقة الهوياتية بكل تجلياتها ، حيث يتكئ الشاعر في رسم نصه على قيمة ((ليست دلالية يتحدد المرموز بكل تخومه ... انما هي قيمة إيحائية توقع في النفس ما لا يمكن التعبير عنه بطريقة التسمية والتصريح))^(٧).

ومما لا شك فيه أن القيم الجمالية التي يقدمها الرمز في النصوص الشعرية تكون ممزوجة مع مفاهيم الهوية التي تكتنزها النصوص الشعرية ، وهذا ما تصبو إليه الدراسة ، فافتتاص المادة الرمزية يشتغل وفق هذه الرؤية ف ((الاديب المعاصر لا يتعامل مع التاريخ و" التراث" من منطق كونه حقائق مجردة ، اي انه لا يورد اشارة او حدثاً او اسماً من هذا التاريخ كما يورد المؤرخ ، الذي تهمة الحقائق ، وانما يضيف

(١) يُنظر: دبر الملاك ، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر ، ١٢٢.

(٢) ينظر: تجليات الرمز في الشعر الليبي المعاصر ، علي عياد المجلة الليبية العالمية ، جامعة بن غازي كلية التربية ، ٢٤ ، ٣٠١٥.

(٣) الترميز في شعر البياتي ، ٢٦.

(٤) بدر شاكر السياب ، دراسة اسلوبية لشعره ايمان محمد الكيلاني ، دار وائل للنشر ، عمان الاردن ، ط ١ ، ٢٠٠٧ ، ٨٦.

(٥) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، محمد فتوح احمد ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٧ ، ١٤٠.

(٦) الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ، ٢٠٠.

(٧) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، ٢٠٥.

عليها من ذاته وواقعه وطبيعة الحالة النفسية التي دفعته الى الاستعانة بجزء من التاريخ وهو يتعامل معها وفق قناعاته بما تكتنفه هذه المادة التاريخية من قيمة معنوية ودلالة إيحائية ((^(١)) بحيث تُثري تلك الاستعانة المضمون الشعري الذي يدور في فلك الهوية بكل تجلياتها في الفصلين السابقين .

فالمتتبع للتجربة الشعرية يجد ان الرموز تنوعت مصادرها وتشعبت طرق توظيفها من خلال صهر كينونة الرمز في بوتقة جديدة تنسجم مع سياق وموضوعة القصيدة انطلاقاً من ثيمة مركزية مؤداها : هل ان النص الشعري الذي يستدعي الرمز مادة لتقديم مضمونه له القدرة على الإثارة الجمالية بطريقة ترفد ما تناوله من مفاهيم تخص الهوية ومن ثمة فعرض هذه المفاهيم بشكل إيحائي يبدو اكثر تأثيراً من التصريح والمباشرة وهذه الرؤية تشكل بؤرة اشتغال الدراسة ، فالشاعر العراقي استثمر الرموز التراثية بألوانها الدينية والتاريخية والاسطورية إحساساً منه بمدى غنى التراث وثرائه الذي يبعث في روح القصيدة الحياة والأبدية والخلود وقد ادرك إنه ((باستغلاله هذه الامكانات يكون قد وصل تجربته بمعين لا ينضب من القدرة على الياح والتأثير ... فالشاعر حين يتوسل إلى الوصول الى وجدان امته بطريق توظيفه لبعض مقومات تراثها يكون قد توسل إليه بأقوى الوسائل تأثيراً عليه، وكل معطى من معطيات التراث يرتبط دائماً في وجدان الامة بقيم روحية وفكرية ووجدانية معينة))^(٢) ، وهذه عملية تسعف الشاعر في الوصول الى مقاربات تشخص وجع الإنسان وقلقه الوجودي ومواقف الحياة الراهنة في ظل تشظي هوياتي تعيشه الإنسانية ، فالرموز التراثية شكلت ظاهرة في الشعر العراقي ، وقد جاءت على قسمين :

الرموز الدينية

تمثل الرموز الدينية الينابيع الدائمة التدفق لقريحة الشعراء ؛ لأن تلك الينابيع تعدُّ ((مصدراً سخياً من مصادر الإلهام الشعري حيث يستمد منها الشعراء نماذج وموضوعات وصوراً ادبية))^(٣) تتصل بشخصيات سلبية او ايجابية عبر قرائن لغوية تمدّ الشاعر بالقدرة على التلاعب والتغيير بدلالة هذه الرموز بطريقة اذابتها وإعادة انتاجها ، فدلالاتها غير ثابتة داخل السياقات الشعرية المتباينة .

ومن هذه الرموز ذات الدلالة السلبية والمنبوذة ما جاء في قصيدة هواجس من كتاب الحزن العراقي للشاعر يحيى السماوي إذ يقول :^(٣) الرمل

تصرخ المسبغة الآن

بنا

هزل الخبز

(١) الرموز التاريخية والدينية والاسطورية في شعر محمود درويش ، محمد فؤاد السلطان ، مجلة جامعة الاقصى (سلسلة العلوم

الانسانية)، مج ١٤، ١٦، ٢٠١٠، ٢٠.

(٢) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، علي عشري ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٧، ١٦.

(٣) لماذا تأخرت دهرأ ، ١٣٣_١٣٤.

وجوعي سُمنا
مثلك الآن
أُسمي غربتي اهلاً
وجرحي وطناً
كلنا أصبح "هابيل" و "قابيل"
ولكن
ايهم كان انا

تحفل القصيدة بالرموز ذات الطاقة الإيحائية التي تختزل الصراع الوجودي بين الإنسان وأخيه القائم على تقديس هوية الذات وإلغاء الآخر ، إذ يمثل "هابيل" رمزاً للضحية والتهميش بينما يمثل "قابيل" ((رمزاً لكل سفاح ولكل قاتل ولكل معتد وخصوصاً اذا كان ضحيته يمت إليه بصلة ما))(١) أو أحد أبناء جلدته وكأن الشاعر يُريد من هذا الفضاء الرمزي أن يرسم لوحة بوساطتها يقدم أحداثه التي تنبثق من الواقع المعيش لأبناء بلده و قد تبلور هذا في اشتغالات الجمل الشعرية ذات الانزياحات العالية بتقنية التضاد (هزل الخبز ، جوعي سمننا ،كلنا أصبح هابيل وقابيل) ومن ثمة يزداد الصراع المحتدم حين يتسع الجرح ليصبح وطناً أو حين تختلط الهويات في متاهات الضياع لتغدو الذات الشاعرة تعوم في فضاء الحيرة حيرة الانعتاق بين هوية الجلال وهوية الضحية ، فالكل يشعر بالانتماء لهاتين الهويتين ولكن هذا الانتماء يشوبه التيه ، في مساحة السؤال بين ضدين (أيهم كان أنا) ، فالفضاء الشعري استطاع أن يعي عمق المكاشفة الجوهرية عبر تشابه الاقتتال الهوياتي بين الماضي والحاضر، ويستمر الشاعر في توظيف الرمز في تشكيلاته الشعرية للتعبير عن مكنونه الفكري حيث تلامس نصوصه الازدواجية الدينية في نقدها إذ يقول : (٢) الكامل

بستاننا مرعى الذئاب
وحارس البستان لص
حصتي دغل
وحصته البيادر والغصون المثقلة
الثوب ثوب الهاشمي الطفل
لكن
في جيوب الثوب
نبلة " حرمة "

(١) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ١٠١.

(٢) بعيداً عني قريباً منك و ١٥٠.

ان فاعلية الرمز تتيح للمتلقي تأمل ما وراء النص إذ إنّ هذه الفاعلية تفتح آفاقاً في الوعي بعد انتهاء لغة القصيدة ، فاستدعاء ملامح البراءة المتمثلة بالطفولة (عبد الله الرضيع ابن الامام الحسين عليه السلام) ، هذه الطفولة التي تمثل رمز النقاء والطهر^(١) جاء لوصف ظاهر هوية التدين ولكن ما خُفي كان الوجه المظلم في تاريخ الإنسانية (حرملة بن كاهل) فالنص يكشف هذه الازدواجية ، ومن ثمة فالتستر بالدين لن يدوم طويلاً امام سلطة الفن ((ذلك ان الفن هو ان تعبر لا تبوح ... وان تتقدم بما عندك صوراً ونماذج تعيد بها وعبرها تركيب الحياة واعادة خلقها بما يتسع لحركة فكرك ويستوعب موجودك من رصد وفهم))^(٢) وما يُعيد تركيب الحياة العراقية هو نقد هذه الهويات المجوفة دينياً والتي سرقت قوت الشعب وهمشت طبقاته ، فالنص استثمر مزج الرمزين لفضح وكشف زيف الواقع .

وفي نص آخر يركز في بنائه على لغة موهلة بالدماء تؤرخ انكسارات الذات وتوغل في الوجد الى أقصى الذاكرة عبر استحضار رمزين احدهما مكملًا للآخر إذ يقول الشاعر سعيد جاسم الزبيدي : ^(٣)

الرمل

وعكفنا نشتم القتل بلا وجه

ونحصى الشهداء

وكأنّ الكون قد خط _ومنذ_ قابيل " و " ابن الملجم "

ايّ شوطٍ للدم

مرةً ثانية ... ثالثة ... رابعة ... تبتغي مني بان انسى فمي

هل ترى عاد هنا " فاتك " كي يذبح في شارعنا المحبوب

ظل "المتنبي "

لستُ ادري اي حقدٍ عمره الدهر يطول الكلمه ؟

ألنا ان نشتمه ؟

ام ألم الجرح قهرا ليس يدري بلسمه ؟

النص من وحي تفجير شارع المتنبي ذلك الحادث الذي أثار حفيظة المبدعين وخصوصاً الشعراء ، فالتحولات الرؤيوية والفكرية الماثلة أمامنا اختزلت الكون في لغة الدماء عبر خط الزمن الطويل منذ (قابيل) الى (ابن الملجم) بوصف الاخير يسير على خطى الأول هوياتياً ، فصهر الرمزين في بوتقة واحدة ما هو الا قراءة خاصة واسقاطات تبعث في المشهد الشعري حركية عالية ولها طابعها الدلالي

(١) ينظر: جماليات النص الشعري في شعريحي السماوي (التفعيلة أنموذجا) ، ١٠٥ .

(٢) الوعي الشعري ومسار حركة المجتمعات العربية ، ٦٤ .

(٣) صوت بلا صدى ، ٢٢_٢٣ .

العميق حيث توزع بين أتون التطرف المصادر للحياة الثقافية بوساطة تراكم وتكرار التفجيرات حتى كأن فاتكاً عاد من جديد ليمحو الشعراء جميعاً وبين التثبث والانتماء للهوية المكانية ، وهذا يترشح من دلالة () تبتغي مني ان انسى فمي () كما ان النص يتكئ على المكان لأنه () احد العوامل المهمة المكونة للهم الابداعي ، ذلك ان هذا الهم يحتل مكاناً متميزاً في التجربة الشعرية من حيث وصلها بنشاطات الواقع ، فهو المغذي لها ، والمبلور لخصوصيتها (١) ، ومن ثمة يكشف عن صراع بين الارادات المتباينة في الانتماء وطرق التفكير ، وبهذا () فلم يعد الأدب نزوعاً فردياً او رؤية ذاتية ، وانما اصبح موقفاً فلسفياً كلياً من الحياة والإنسان والوجود (٢) ، وفي قصيدة اخرى يمثل الرمز الديني فيها بؤرةً للانتماء الى الهوية الاسلامية إذ يقول الشاعر زيارة مهدي : (٣) الرجز

وتمر عليك الغيوم

ولا نرى قمراً

في سماواتك السود

يأتي

وتمر عليك الحروب

ولم نر على أرضك المهدي.... يمشي

اللغة الشعرية تؤثث هويةً عبر استدعاء () الامام المهدي عج) بوصفه رمزاً يفتح بوابة تمثل الانتماء للإسلام فضلاً عن دلالة المباشرة في تكوين هوية دينية تُعد مرتكزاً وملاذاً روحياً فهي وسيلة للحياة وطوق نجاة تهرب إليها الذات في اللاشعور واللاوعي لمجابهة الخطر الذي يهدد الوجود عبر وسائل لغوية يصنعها النص (الحرب ، الغيوم ولا نرى قمراً ،سماواتك السود) شكلت افقاً من العذابات الراهنة ، وذلك يحتم استحضار بؤرة الرمز المنقذ الذي يختزل فكرة الانتماء للهوية الاسلامية ، فالإنسان بطبيعته يلوذ بالقوى الدينية والروحية التي يؤمن بها لتخلصه عند البلاء ، ومن ثمة فاستحضار الرمز شكل مدار الاشتغال في خدمة الغرض المناسب في النص كونه () يساعد التجربة الشعرية على كسر مباشرتها ويساعدها على التقاء الجوهرى والصميمي في حياة الإنسان (٤) .

الرموز التاريخية والاسطورية

(١) مكائد اللغة في الشعر المغربي المعاصر ، ٢٢ .

(٢) جماليات النص الأدبي ، دراسات في البنية والدلالة ، ٦٥ .

(٣) سلالم الأسئلة ، ٢١٣ .

(٤) جماليات المكان ، اعتدال عثمان ٣٥

تستمر رحلة الدراسة في استقراء النصوص الشعرية من أجل بيان قدرة النزعة الجمالية على خلق فضاء رحب من التأويل في خضم اشتغالها على تقديم مفاهيم الهوية ، وهذه المرة تطل علينا من نافذة الرموز التاريخية التي تعلق بالقصيدة دلاليًا ؛ لأنها ((ليست مجرد ظواهر كونية عابرة تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي ، فإن لها إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية ... وتظل صالحة لأن تتكرر من خلال مواقف جديدة واحداث جديدة وهي في نفس الوقت قابلة لتحمل تأويلات وتفسيرات جديدة ... فليست هنالك صورة جامدة ثابتة لأية فترة من هذا الماضي))^(١) بل يمكننا ان نتلمس الابتكار في طريقة تعامل النص الشعري مع هذه الرموز إذ ((يختار من الموروث فقط ما يخدم اغراضه الجديدة ، فليس هو استعادة للماضي))^(٢) .

ومن ثمة فتعجين النص الشعري بالرموز ما هو الا عوامل معززة ترفد النص بفيض من الرؤى المماثلة و طبيعة القضايا والهموم الإنسانية التي يكتنزها النص وليس هناك اهم من هموم الهوية ، فخيبة الأمل التي عششت في عزائم المجتمع العربي وتكرار الهزائم حفزت الشاعر يحيى السماوي على استحضار الرموز التاريخية بطريقة ((الاستيحاء العكسي لتوليد نوع من المفارقة التصويرية بهدف ابراز التناقض الحاد بين روعة الماضي وتألقه وازدهاره وبين ظلام الحاضر وفساده وتدهوره))^(٣) إذ يقول: (٤)

الكامل

كفي صراخك يا دليلة

كفي الصراخ

فليس في هذا الزمان المسخ " معتصم "

يذود عن الحرائر والتراب

وعن عفاف التين والزيتون

فالكرسي اخصى في فوارسنا

الرجولة

حين ينهل النص الشعري من ينابيع الذاكرة التاريخية المتوهجة برموزها فحتمًا إنَّ هذا يُمكن النص من إذابة الماضي ومحاكاته لنقد الحاضر عبر الاستيحاء العكسي ، فتوظيف الرمز في هذا النص لا يخرج عن إطار المفارقة التصويرية والتناقض الكبير بين ما كان عليه الحاكم العربي وما أصبح عليه ، أو بشكل أكثر إيغالاً في غياهب الوجد العميق يُعبر هذا التوظيف عن حجم الهوة بين هوية الأمس التي

(١) . استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ١٢٠.

(٢) . الذاكرة نصّاً في الشعر العراقي الحديث ، التجربة الشعرية عند الرواد ، ٣٩.

(٣) . استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ١٢١.

(٤) . البكاء على كتف الوطن ، ٩٠ .

تذود عن الحرائر والتراب و قدسية التين والزيتون وبين هوية اليوم ،الهوية القومية التي تعاني من تقاعس ابنائها فالكرسي اخصى رجولتهم ، فتكرار (كفي) ينم عن مرارة انكسار الهوية ، فصراخ (دليلة) لم يجد نفعاً في وقتنا لخلو هذا العصر من معتصمها ((الذي استجذبت به في زمن مضى قائلة : " وامعتصماه " فأجابها المعتصم ملبياً صرختها ، فما " دليلة " إلا رمزٌ لتلك المرأة الهاشمية))^(١) ، حيث مثل الارتداد الى الماضي وإعادة انتاج رموزه برؤية جديدة نافذة للروح عما تعانيه الهوية .

ويستمر المنجز الشعري في رصد انكسارات وتشظيات هذا الزمن للاشتغال في حقل دراسة الرموز التاريخية وعلاقتها بالهوية ، فقصيدة الشاعر عبد الامير خليل مراد ذات رؤية واضحة لأنها تحاول ترميم جدران الهوية وتلملم شظاياها عبر استحضار ألق الماضي ورموزه إذ يقول : ^(٢) الخبب

أنا أمّ عربية

ودثاري من بردِ الخنساء

ناديتُ يا أهلي ... يا أحبابي

لن اعطي بيتي لغزاةٍ

او ارهن تاريخي بغمامة صيف

أو كسرة ميقات

هذي الأرض لذاتنا

والحنظل فيها ... يا شهد العلياء

فتعالوا ... نعتصر الزمن الذاهل

عنقاء

تصعد من شهقة عنقاء

سأسدد خطوي الاعزل

موعدةً

وقطاف العرس الابدي بعيني

حدادُ الوثبات

لابد لـ (طارق) ان يأتي

وصلاح الدين بكفيه يزف

الرايات

(١) جماليات النص الشعري في شعريحي السماوي (شعر التفعيلة أنموذجا) ١٠٧ .

(٢) الضحك من الايام الآتية ، ٤٦ .

اشتغالات القصيدة لا تخرج عن افق قضايا الامة العربية ، تلك الامة التي تبدو هويتها متصدعة ومثقلة بالمعاناة في فضاء واسع من الانكسارات ، ولذا نراها تتعكز على الرموز التاريخية التي اتسمت بدورها البطولي في ذاكرة الامة ((فالعودة الى الماضي للتغني بأمجاده لن تكون في نهاية المطاف الا نوعاً من الهرب من الواقع واعترافاً بالعجز عن التفاعل معه والتأثير فيه))^(١) ، فالرمز يُولد مع كل نص ليؤدي الغرض بقناع جديد فهو مادة هلامية تتماهى مع خلق النصوص الشعرية لما لها من طاقات تعبيرية غير محدودة ، وفي المضممار نفسه تعبر الشاعرة بشرى البستاني عن خلجاتها الموجوعة إذ تقول :^(٢) الخبيب

دبابات القتل تدور

بغداد

سمرقند

غرناطة تنهد

ثانيةً يوغل هولاكو في قمصان المدن التّعبى

ثانيةً يقطع هولاكو

شريان الحبر الاسود

هولاكو يترصدني

يقطع رأسي

يودعه في صندوق مقفل

يرميه في البحر

يدور البحر

اللعبة ترتدُّ على نحر البارجة الامريكية

تتحرر من قلبي لغتي ..

أطلقها نحو الصفصاف

وابكي ..

لاشكَّ إنّ استدعاء (هولاكو) الذي اختزل كل معاني الجور في التاريخ يمثل نوعاً من ارتداد الرمز المستل من فضاءات الذاكرة المجروحة لتتماهى أفعال (هولاكو) القديمة مع افعال جديدة للمحتل الامريكي توغل في قمصان المدن التي تمثل رمزاً للانتماء والهوية ، فارتباط المحتل بهولاكو هو ارتباط تجسد في تشابه افعالهم ، فالوجع الذي أصاب الهوية العربية قديماً عاد ثانية بثوب جديد ، كما ان

(١) الإنسان والسلطة . إشكالية العلاقة واصولها الاشكالية ، حسين الصديق ، اتحاد الكتاب العرب ، ٢٠٠١ ، ٧.

(٢) اندلسيات لجرح العراق ، ١٠٤.

حضور الرمز المكاني (غرناطة وسمرقند) كثف من الحقول الدلالية ؛ فجاء هذا الحضور المكاني رمزاً لضياع الهوية العربية والاسلامية قديماً ، وما هذا الا اسقاطات على واقع مدينة بغداد ، فالمكان الذي يشكل هوية يعاني من الاستلاب الوجودي عبر تراكم الزمن ، ولكن الرموز التي تقوم بهذا الاستلاب مختلفة اشكالها متشابهة في افعالها ، ومن ثمة فالقصيدة لا تهدف الى ابراز المفارقة بين الماضي والحاضر بل تسعى الى ابراز التشابه في انكسار وتشظي الهوية في الزمنيين بغداد اليوم وغرناطة في الامس، وبهذا فقد صار الرمز ميداناً خصباً لعكس الواقع الذي تشكو منه الهوية بكل تجلياته.

فاذا كانت النصوص السابقة قدمت محتواها المستل من مفاهيم الهوية من بوتقة الرمز التاريخي فالنصوص الآتية اتخذت من توظيف الرمز الاسطوري درياً لبوح ما تبحث عنه الدراسة ، فهذا التوظيف هو وسيلة مهمة ومصدرٌ يضيء آفاق التجربة الشعرية ، فالرموز الاسطورية لها القدرة على احتواء التجارب الإنسانية على اختلاف مشاربها لما فيها من غنى في الكثافة الدلالية ، وقد بلغت مسألة الرمز والاسطورة المكانة الرفيعة في بناء ورؤية القصيدة الأمر الذي جعل ((الرمز والاسطورة من أقانيم القصيدة الحديثة وبدونهم تجوع وتعزى وتتحول الى مشروع أو هيكل عظمي لجثة ميتة))^(١) لما لهذه الرموز بكل انواعها من الاهمية ، خصوصاً حينما تمتزج مع مفاهيم الهوية فمثلا نجد الرمز الاسطوري (عشتار) في قصيدة الشاعر محسن العويسي إذ يقول : ^(٢) متقارب

أطوّف بين الدروب لعل عراقاً جديداً يراني

فامسك في خصلتيه

عسى ان يعود ويحيي جديد الأمانى

كفاك بعداً فإني لعشتار أهوى

وما عدتُ بعد الأحبة لهجر أقوى

وقلبي يصيح لعشتار طال الفراق

بلى أيّها الزمن المرّ طال الفراق

متى _ خبر ينبئ _ يعود العراق

أجبنني فإني سنمتُ انتظاري

وما عدتُ من غير نهر يك أروى

أعشتار عودي ففبك انتصاري

(١) دبر الملاك ، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر ، ١٢١ .

(٢) عرق من جبين الغيم ، محسن العويسي ، دار تموز ، ط ١ ، ٢٠١١ ، ٧٩ .

فان لم تعودى
سبيبس غصنى ويكسر عودى
أعشتار عودى
أعشتار عودى

اللغة الشعرية تنكئ على تكرار (عشتار) إذ التكرار ((في حقيقته إلحاح على جهة هامة في العبارة يعني الشاعر بها اكثر من عنايته بسواها؛ لأنه يُسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة))^(١) وحساسية هذه العبارة (عشتار) متأتية من أن كل ما في الحياة مقرون بعودتها ، من اخضرار الغصن وانتصار الذات وفراق الأحبة ، فالشاعر لم يكتف بأن يسرد حدثاً اسطورياً وهو هبوط عشتار الى العالم السفلي وانما ذهب الى فضاء اعرق فكرياً إذ ربط رحيل عشتار برحيل العراق ، فاذا كانت عشتار تبحث عن حبيبها في العالم السفلي ، فالعراق يبحث عن هويته في غياهب المجهول و يبدو أن ضياع هذه الهوية كبير جدا وهذا نستشفه من الحسرات المتتالية في النص بوسائل لغوية (لعل عراقاً جديداً يراني ، عسى أن يعود ويحيي جديد الاماني ، متى يعود العراق ،فاني سئمت انتظاري) ، ومن ثم فالسبب وراء ((أن يلجأ الشاعر الى الرموز الاسطورية او الحكاية الاسطورية لأنه يراها شديدة الصلة بالحاضر))^(٢) وتلامس واقع الهوية العراقية المنشطية والضائعة والتي تحتاج الى أن تُبعث من جديد ليزدهر جذر الانتماء الممتد في اعماق الزمن من قبل عشتار إلى يومنا هذا ، أما رمزية (تموز) فقد تجلت في قصيدة الشاعر حمودي عبد إذ يقول :^(٣) الرجز

أهذه بغداد بلد الاوطان
يأكلها الذئب والشعبان
تعال يا " تموز "
واخرجني من الاكفان
كي لا يتوقف نبض الحياة
كي لا يرتدي احد اقنعة سوداء
نحيل هذا الغصن أتدري يا تموز
يستمتع لكل غناء

(١) تحولات المدينة في الشعر العراقي الحديث ، ٢٦٦ .

(٢) دبر الملاك ، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي ، ١٣٥ .

(٣) إله تموز ، ٣٨ .

يستمتع قلبه لشمس صفراء ليس مثل ذبيحة في دماء

يبدو أن بغداد تمثل هوية مكانية تعاني من سطوة الاستلاب الوجودي إذ تنعدم الحياة لوجود من يهددها بفعل مضارع (يأكلها) يدل على الاستمرارية في الاقصاء ولا سبيل الى الخروج من هذه المسارات المرتبطة بالجذب والتخلص من أكفان الواقع الذي لا يعرف الحياة سوى الاستجداء بتموز للتعبير عن حجم الانتهاك المفضي إلى انعدام الحياة ، فالنص استطاع الربط بين واقع الحياة الجافة والقاحلة لغياب تموز وبين واقع مدينة بغداد حين تشكو من الإلغاء ، فالانتماء للمدينة مثل الشهيقة فحين تنتهك المدينة يُلوث هذا الشهيقة ويتوقف نبض الحياة ، ومن ثمة فقضية الانبعاث والتجدد والخصب التي تختزلها لفظة تموز ما هي الا اشتغالات تعيد بناء اسوار الهوية لدى الإنسان والمدينة والطبيعة فصهر دلالة الرمز مع الحاضر العراقي منبثق من تبني دلالة الاسطورة وما تطرحه في النص .

إنَّ عملية توظيف الرموز في النسيج الشعري تتماهى مع قضايا الإنسان وهمومه إذ يستند هذا التوظيف على طاقة الرمز الخارقة لقيود وحدود الزمكان وهذا يضيف على النص طاقات إيحائية كون الإيحاء هو المعبر الوحيد للوصول إلى ضفاف الدلالة اللامحدودة للتعبير عن طبيعة مفاهيم الهوية ، فكل قصص وحديثات هذه الرموز أُعيد خلقها لتكون معادلاً موضوعياً بديلاً لكل ثيمات الهوية ويمكن النظر إلى نصوص أخرى تتضمن هذه الرؤية (١)

(١) ينظر: مياه النص الأول ، ٣٢ ، : صوت بلا صدى ، ٥٠ ، : ظلي هناك ، ١١ ، : نسيج الزمن ، ١٩٢ ، : : ابناء ايننا ، ١٨ .

المبحث الثاني

الهوية والصورة
الشعرية

تسعى الكتابة الشعرية إلى الافتتان باللغة المشاكسة للمعنى ، والايقاع بالمتلقي في فخ الدهشة الاولى وديمومة المتعة بحكم مقاييس التأثير والتأثير حتى الولوج في مدائن البوح ، بوح المفاهيم الموهلة في كينونة الإنسان ، من أجل خلق فضاء يلامس هويته عبر تفجير طاقات اللغة المضمخة بالصورة ، ((فالشاعر الأصيل يتوسل بالصورة ليعبر بها عن حالات لا يمكن له أن يجسدها بدون الصورة))^(١) كونها الطريق الذي يسلكه الشاعر والاديب ؛ لعرض أفكاره وأغراضه^(٢) ، وليس هناك موضوعات وأفكار أهم من الهوية لتطل في أفق الشعر من نافذة الصورة.

يمكن القول : أن أغلب الشعر ((قائم على الصورة منذ إن وجد حتى اليوم))^(٣) ، فالتنظير لهذا المصطلح الذي أتم بالدراسات قديماً وحديثاً يبدو إعادة لها ، ولذا سيكون الإيجاز بما يسعف الدراسة عنواناً يقودها الى مساحة اشتغال لا تخرج عن علاقة جماليات الصورة الشعرية وتأثيرها في إظهار مفاهيم الهوية من أغوار الإبداع الشعري ، وهكذا بين النقد الحديث أن ((الصورة في الادب هي الصوغ اللساني المخصوص الذي بوساطته يجري تمثّل المعاني تمثيلاً جديداً مبتكراً بما يحيلها إلى صور مرئية معبرة ، وذلك الصوغ المتميز والمنفرد هو في حقيقة الأمر عدول عن صيغ إحالية من القول الى صيغٍ إيحائية))^(٤) ، وهنا تكمن أهميتها إذ أنها تأخذ بتلابيب المتلقي في اللاوعي الى حرائق الدهشة اللذيذة ، فهي ((تفرض علينا نوعاً من الانتباه للمعنى الذي تعرضه ، ... وتجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى ، ونتأثر به ، إنها لا تشغل الانتباه بذاتها إلاّ لأتّها تريد أن تلفت انتباهنا الى المعنى الذي تعرضه ، وتفجّونا بطريقتها في تقديمه))^(٥) ، وهذه البؤرة هي ما تصبو إليه الدراسة .

لاشكّ أنّ ولادة القصيدة عملية تحتاج الى دفء احتضان الصورة لتتعايش مع الحياة والإنسان في عالمها الإبداعي ، ذلك العالم الذي رافق القضايا الإنسانية منذ الازل ، لتكون مادةً له وليعبر عنها بوساطة الصورة ((وتأسيساً على ذلك تكون الصورة فضاءً لسانياً لا تكتفي بالوقوف امام قوالب حسية

(١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، ط٢ ، ١٩٩٢ ، ٣٨٣.

(٢) ينظر: الصورة الادبية في القرآن الكريم ، صلاح الدين عبد التواب ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، ط١ ، ١٩٩٥ ، ٩.

(٣) فن الشعر ، ٢٣٠.

(٤) الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، بشرى موسى صالح ، المركز الثقافي العربي . ط١ ، ١٩٩٤ ، ٣.

(٥) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، ٣٢٨.

جامدة ، وإنما تتعداها الى اقتناص ضجيج المعاني الخفي))^(١) والمعلن ، تلك المعاني المنبثقة من مفاهيم الهوية و بوصف الصورة هي طريقة التعبير عن المرئيات المستتلة من الواقع ، والوجدانيات لإثارة المشاعر وجعل المتلقي يشارك المبدع افكاره وانفعالاته^(٢) ، بيد أن هذه الرؤية تحجم من فضاء الشعر الذي يقدم أفكاراً وهو يخلو من الصورة ، فالصورة هي النافذة الضوئية ، والجادة المعبدة التي تنتشل الشعر وتنهض به ؛ ليعرض رؤاه الهويةانية بطريقة إيحائية ف ((قوة الشعر تتمثل في الإيحاء عن طريق الصورة الشعرية ، لا في التصريح بالأفكار))^(٣) ؛ لأنها الوسيلة الفاعلة في خوض مضمار التفاعل مع الرؤية والموقف الفكري ((فهي تحمل الفكرة وتصورها أي أنّ لها قيمتين : تعبيرية موضوعية من حيث التجربة والموقف ، وشكلية من حيث الفن))^(٤) ، فالشاعر يصور الأشياء كما يراها يلتقط ظلالها الهاربة ، واشكالها المتغيرة ؛ لكي يجعلنا نحس بها كما هو يحس بها لجذبنا نحو ما يُقدم من افكار^(٥) ، ومن ثمّ يمكن القول أن معول الدراسة يبحث في تنقيبه عن اقتناص الصورة الشعرية التي ترفد مفاهيم الهوية بروية ابداعية تحفر ذاتها في جدار الانزياح الشعري ؛ للتجلي امام القارئ والاستيلاء على ذايقته.

ومما يقتضي التنويه إليه ، أن هذه الدراسة لا تتناول أجزاء الصورة الشعرية بطريقة منفصلة عن بعضها ؛ كون هذه الاجزاء تقدم رؤية أكثر نجاعة حين تتعاقب في نصٍ ما إذ ((إن التلاحم الطبيعي بين الصور الشعرية ينبثق من رؤية متنامية ، وموحدة لان تواجش التلاحم ينعكس طردياً على نموّ الصورة ، واكتمالها وبهذا تتضافر الصور الجزئية التي تنقل اللقطات التصويرية إلى مادة كلية ، وبذلك تكون الصورة الكلية ، التجربة الشعرية التي تنهض على أساس الاجزاء التصويرية الصغيرة))^(٦) ، ولذا سيكون تحليل النصوص الشعرية بطريقة شاملة لأجزاء الصورة ، إذ ((إن دراسة الصورة مجتمعة قد تعين على كشف معنى اعمق من المعنى الظاهري للقصيدة ، ذلك لأن الصورة وهي جميع الأشكال المجازية ، إنما تكون من عمل القوة الخالقة ، فالاتجاه إلى دراستها يعني الاتجاه إلى روح الشعر))^(٧) الذي يقنات على قضايا قضايا الإنسان .

(١) الصورة في شعر الرواد ، دراسة في تشاكلات الصورة ، عليا سعدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١١ ، ١٣.

(٢) الاداء البياني في شعر الشيخ احمد الوائلي ، كاظم عبدالله عنوز ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٥ ، ١١٤.

(٣) بنية الصورة الفنية في النص الشعري الحديث (الحر) نازك الملائكة انموذجا ، رائد وليد جرادات ، مجلة جامعة دمشق ، ٢٠١٣ ، مج ٢٩ ، ١٤ ، ٥٥٣.

(٤) الصورة الشعرية في النقد الحديث ، بشرى موسى صالح ، ١٤٥.

(٥) ينظر: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث في ضوء تأثير النقد الانجليزي (مفهومها ومناهج دراستها) ، حيد محمود غيلان ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٣ ، ٦٥.

(٦) رماد الشعر ، دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق ، عبد الكريم راضي جعفر ، مكتبة عدنان ، ط٢ ، ٢٠١٤ ، ٢٧٤.

(٧) فن الشعر ، ٢٣٨.

فالاشتعال الصوري سمةً عاقرتها التجربة الشعرية العراقية ؛ لتتجلب لنا قصائد حيوية ومثيرة
ف((الشعر دائماً وأبداً يقدم نفسه من جديد لكل جيل))^(١) بفعل قوة الخيال ، فهذه كائنات الشاعر قاسم والي
الشعرية تتنفس المعاني روحاً معتقة الصور ، تعتمد الادهاش في شرفةٍ تطل على يتم الوطن وعراء ابنائه
من ثوب الهوية الوطنية إذ يقول : ^(٢) الخبب

هذا وطنٌ يتكررُ كالعنقاء
تُحرقهُ بينَ الفينةِ والفينةِ آبار النفط
تُطفئهُ بينَ النارِ وبينَ النارِ ... ذات الآبار
هذا وطنٌ ليس لهُ أبناءُ

حين يتعبد الشاعر في محراب كلماته ويبتهل أناشيد الحياة لوطنٍ يشكو من الضياع ، نجدهُ يغوص في
فضاء الصورة الشعرية المنبثقة من التشبيه ليبوح بتراتيلٍ مسكونةٍ بمفاهيم الهوية ، فالتشبيه المتجلي في
(وطن يتكرر كالعنقاء) جاء ليرسم لوحةً برؤية ذات دلالة متسعة تُظهرُ عمق المعاناة التي عاشها الوطن
، الوطن الذي يُحرق ويموت ومن ثم يحيا بعد انطفائه ليُحرق من جديد بعمليات ليست فيزيائية ، بل هي
اقتتال وصراع هوياتي يتكرر باستمرار ؛ بسبب اضمحلال الهوية الوطنية ، وتغليب وبروز هويات أخرى
؛ لمصالح ايدولوجية او مادية او غيرها ، بوصف الهوية الوطنية هي الحبل السري الذي يغذي أبناء
الوطن وما إن تشظت فقد الوطن ابنائه ، فطقوس الكتابة الشعرية صنعت وطناً يتشابه مع طائر العنقاء
الذي يحترق عند موته ذاتياً ، ثم يتحول إلى رماد ، وبعد ذلك يخرج من الرماد طائر عنقاء آخر جديد
^(٣)، ويُقال أن ((العنقاء طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم)) ^(٤) ، فوجه الشبه هو الاحتراق
الذاتي للطائر الاسطوري وللوطن ، فاذا كان احتراق الاول من الحكايات الخيالية ، فإن احتراق الثاني من
الواقع الحقيقي ، أحتراقٌ اقل ما فيه طحن الأرواح وسيل الدماء الناتج من صراع الهويات بين أبناء
الوطن ، فعقم الوطن في (هذا وطن ليس لهُ أبناء) سببهُ خلع الهوية الوطنية ، وهذه كنايةٌ تصفي
للصور السابقة بُعداً آخر ((فالشعر خرق للنظام المؤلف للغة ، وإعادة كتابتها ضمن منهجية متميزة
تحقق مردوداً نفسياً بوتائر عالية عند المتلقي ، وتترك لديه انفعالات بشدةٍ إلى معاودة القراءة والتفاعل مع
النص ، حيث لا يجد مناصاً من التفكير بالوحدة المحدثّة التي يراها على خلاف ما كان يراه في واقع

^(٢) الصورة في شعر المقال ، الابعاد الرمزية والسيكولوجية ، محمد مسعد العودي ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، ط ١ ، ٢٠٠٤ ، ٢٠ .

^(٣) تراتيل اوروك ، دارالينابيع ، دمشق ط ١ ، ٢٠١٠ ، ٩١ .

^(٤) ينظر : مصطلحات ومعاني . شبكة الانترنت ، mawdoo.com ،

^(٥) مختار الصحاح ، الرازي ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ١٩٨١ ، ٤٥٨ .

اللغة المباشرة ؛ لذلك يكون التعبير بالصورة الشعرية نوعاً من الارتقاء باللغة في مدارج الخيال للاستحواذ على انفعالات المتلقي))^(١) ، وتستمر القصيدة في التنفس صوراً ، ولكن هذه المرة من مجسات الكناية لمحاكاة واقع الهويات في العراق إذ يقول : ^(٢)

هامات النخل الخضراء
يرويه منذ نشوء النخل الماء
اما الآن

لن استغرب إن شاهدتم يوماً هامات النخل الحمراء
يا وطن الإبل العجفاء
مسكوناً باللعنة
ممتلئاً جداً بالصحراء
مرتبكاً تقفات الحيرة
ويموت الناس على ضفتيك بلا ضوضاء

تهدف اللغة الشعرية لاحتواء كل هذا الشجن والوجع الهوياتي بفاعلية الأداء اللغوي المنبعثة من قناديل الكناية المضئية دلاليّاً لتكثيف الكناية عبر دوال لغوية (هامات النخل الحمراء) لترسم صورة مؤداها : هي عدم الاستغراب من مشاهدة لون سعفات وفسائل النخل الحمراء في الزمن الحاضر والمستقبل بدلالة (لن) ؛ لأنّ من يروي النخل لم يُعد الماء ، بل أصبح الدم المراق من التقاتل الهوي الديني والطائفي بين ابناء الوطن ، ذلك الوطن المسكون باللعنة ، لعنة جعلت موت أناس من دون ضجيج على الضفاف التي لطالما كانت تبث الحياة ، ولكن ليس مع الموت ، ومن ثم فالوطن يخلو من الطبيعة الخضراء ؛ لأنه متخم بالصحراء والارض الموات، فكل هذه الانزياحات الكنائية اعترافٌ يؤرّخ لتشظيات الهوية العراقية ،

بوصف الكناية من ادوات التصوير الشعري الخفية ؛ لأنها ((ابلغ من التصريح))^(٣) في تقديم الأفكار ، فهناك ضرورة داخلية ملحة تدفع الشاعر إلى التعبير بالصورة بوصفها مظهراً من مظاهر الفاعلية الخلاقة بين اللغة والفكر والمشاعر^(٤) ، فانكسار الهوية الوطنية وتصدعاتها المسكونة في الخطاب الشعري ،

(١) الصورة الشعرية عند خليل حاوي، هدية جمعة البيطار، دار الكتب الوطنية ، ابو ظبي ، ط١ ، ٢٠١٠ ، ٢٠.

(٢) تراويل اوروك ٩١، ٩٢.

(٣) دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ) ، تح.محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، ط٥ ، ٢٠٠٤ ، ٧٠.

(٤) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، ٣٢٩.

ولكن تجلي هذا الانكسار متلون بتلون الصورة الشعرية لدى الشعراء لحظة التصاقها بشراسة الواقع ، واقع يكتب ذاته في نصوص الشاعر حمد الدوخي ، إذ يقول : ^(١) الكامل

هذا وموطني
والامنيات تهجرت
واستنكرت لغتي (لعل)
وطنٌ به الغرباء اسياذ
وأهل الدار نُزلُ
وطنٌ تعباً في حقائب
وطن حدائقه كتائب
عشاقه
يتبادلون الهاونات
على المصاطب
ماله بالورد شغلُ
وطن بنوه تقاسموه
وللمموه وهريوه
وحاريو وهجروه
فما الذي ترجوه من الاعداء
والاعداء كلُّ

القصيدة رحلة في ميدان الوجد ، رحلة تتخذ من الصورة شراعاً لبلوغ المعاني ، هذه الصورة حُبلى بإيحاءات عميقة تلامس وتقضح الواقع الوطني المزيف ، وتشفي بما يُغض عنه البصر عمداً ، فبوح الشاعر وضع يداً من الكتابة الشعرية ذات الصور الكنائية على طرفي الجرح ، جرح الحقيقة المرة ، وهي خلع الهوية الوطنية ، ومن ثم رَصَدَ هذه الحقيقة بمداليل متنامية ومتعددة ؛ للولوج في فضاءٍ من الضياع والانتماء ، فالأمل بوجود خيمة الوطن دُبِح حين تعباً الوطن في الحقائق ، لبيعه أو لتحويله من الكينونة المعنوية إلى المادية ، وهذا ينم عن هشاشة الانتماء الوطني ، هذه الهشاشة حتماً ستحول الحياة والعيش الجميل الى جحيم دائم ، فعادات وطبيعة الموجودات تغيرت كثيراً ، فلغة عشاق هذا الوطن تحولت من زهو الحدائق وتبادل الورد إلى لغة الاقتتال والعنف ف(عشاقه يتبادلون الهاونات ، ماله بالورد شغل)

(١) عذابات الصوفي الأزرق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٢ ، ١٣ .

كناية عن صعود هويات طائفية ودينية وغيرها زادت في مرض الهوية الوطنية ؛ ولذا اصبح الوطن مقسماً ومحارباً ومهجراً في مرآيا لغة التصوير الشعري ((فلغة الشعر المعاصر ، لغةً تصويرية ، والشاعر المعاصر يُعيد إلى الكلمات قوة معانيها ... فالشعر وضع صوراً متألفة مكان الفكرة الطبيعية في النثر ... بلغةٍ إيحائية تحيل المعنى المجرد إلى كائنٍ مُشاهد))^(١) ، وهنا تكمن بؤرة اشتغال الصورة لما لها من ((قيمة فاعلة في ادراك الجزئيات المتناثرة من الافكار وربطها لتشكيل وحدة فنية متكاملة تدخل في رسم اللوحة الشعرية المنسجمة والمتآلفة ، ولا يمكن نقل الافكار المجردة... الى المتلقي من غير صحتها في ألفاظ تجسدها))^(٢) شريطة ان تتصف هذه الالفاظ بالتكثيف الشعري لصنع قصيدة ذات دلالة غزيرة تدل على اتساع الرؤية الشعرية وقربها من الإنسان وقضاياها ؛ لأنَّ الشعر ((يتميز عن بقية الفنون باعتباره فناً قولياً يستخدم اللغة بما لديه من طاقات في وصف عالمة البديل))^(٣) عالمٌ تجلّى في قصيدة الشاعر عمر السراي لعرض مكنوناته الهويةية ، إذ يقول : ^(٤) المتقارب

وقالوا بأنّ العراق جديد

هنيئاً .. أجبتُ ..

وفتحتُ ازراه وكويت قماشة ايامه

ورقصتُ ... وحنيت قلبه ..

...

جديداً ... وجدداً ... جديد

وارتدانا

نحن طعنات كل الحضارات

القدامي

وبوح المسلات بين فُتات الأحبة

ارتدانا ... فلم نكُ في مستوى لونه ..

وهو ذلك الجديد ، فمزق شعبه

....

كل ما فيه يكبرُ .. يكبرُ ... يكبرُ

نظّلُ صغاراً

(١) الصورة الشعرية عند خليل حاوي ، ٢١ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢١ .

(٣) المصدر نفسه ، ١٤ .

(٤) للدرس فقط ، ١٤ .

فنزلق منه الى كل منفى
إلى كل اغنية لم نردد مفاتيحها في رباه
وصرنا نردها في (هناك) .. ونلتذ خوفاً ..
كل ما فيه يكبر ... يكبر ... يكبر إلا الحبال
تجيء على حجم اعناقنا ..
يالها قسمة منه اوفى
كل ما فيه يكبر .. يكبر
لكنني لم اجد .. موطناً
يصغر الجرح فيه
فيزداد نزفاً

لا شك في أن ((الفن الشعري ... ليس سوى خلق للصور التي ترمز إلى المشاعر الإنسانية المتلاحمة))^(١)، هذه المشاعر يمكن إيصالها إلى المتلقي بطريقة جمالية تعتمد عوالم الانزياحات اللغوية بوساطة الشعر ؛ لأنه من الفنون التي لا يمكنها ادهاش القارئ إلا بالصورة ، وهذه الصورة حتماً لا تكون ((زينة تنزين بها القصيدة ، وإنما تكون محوراً ترتكز عليه القيمة التعبيرية للتجربة))^(٢) الابداعية ، فالشعراء يعتنون بأناقة صورههم ؛ لتُعبّر عما يجول في اذهاننا وما نعيشه من صراعات في عراقنا الجديد ، عراقٌ ظهر في استعارات القصيدة وكناياتها وهو يرتدي شعبة مرة ، وأخرى يمزق ذلك الشعب ، فالاستعارة تحددت في وسائل لغوية (ارتدانا ، فمزق شعبه) لتدل على حجم التشظي الهوياتي الطائفي والديني وغيره ، وتدل على كثرة الانتماءات التي تظل تؤرق العراق ، ما دام التقوقع والانغلاق من الاسوار التي احاطت بالهوية ، فكلمة (ارتدانا) هي انحراف عميق إذ إن الارتداء للشوب وقد جعل للشعب الذي رُصع بكل طعنات القدامى فاصبح لا يشبه العراق الجديد ؛ ولذا لم يكُ في مستوى لونه ، وهذه كناية مؤداها: ليس هناك انسجام وتجانس بين الوطن الجديد والشعب الذي اتعبته الحروب ، إذن لا هروب من دائرة تمزيق الشعب بعد أن أحرقت هويته الوطنية ، ثم تتوهج الاستعارة في كلمة (فنزلق) منه إلى كل منفى، لتتذر بتعميم هروب العراقيين بمختلف انتماءاتهم بطريقة سريعة تشبه الانزلاق ، ذلك أن عدم التجانس لم يظهر في مستوى اللون فحسب، بل أمتد إلى الحجم أيضاً ليصبح الوطن دمية كبيرة تتحكم بها سياسات خارجية ، فبعد أن مُزق الشعب إلى هويات متعددة ونُفي بعض منه، تجيئ طاقة كناية أخرى لتزيح ما أنسدل على واقع الحياة لبقية الشعب عبر دالٍ لغوي (كل ما فيه يكبر إلا الحبال تجيئ على

(١) الصورة في شعر المقاتل ، الابعاد الرمزية والسيكولوجية ، ٨٧-٨٨.

(٢) رماد الشعر ، دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق ، ٢٦٨ .

حجم أعناقنا)، وهذه دلالة على كثرة الموت الهوياتي ((فالشاعر لا ينظر إلى الموت بوصفه شيئاً مبهماً ميتافيزيقياً ، بل ينظر إليه بوصفه معطى حيوباً تدل عليه الأحداث والوقائع)) (١) ، ومن ثمة فالرؤية الشعرية تتسامى بتضافر وتآزر أجزاء الصورة الاستعارية والكنائية للتعبير إيحائياً، بوصف الإحياء أقوى تأثيراً من المباشرة على ذائقة المتلقي.

وتستمر اللغة التصويرية الفياضة في تكثيف وشحن ذاتها سعياً منها لكسر المباشرة في التعبير وهذه المرة تطل علينا من شرفة خطاب شعري لشاعر رومانتيكي النزعة، قصيدته تستعين وتحاكي الطبيعة لتشاركها ، وجع صورته الكلمات ليُهدى إلى (شهداء مجزرة الحلة) إذ يقول الشاعر صادق الطريحي (٢):
الخبب تفعيلة (فاعل) التي استعملتها نازك

أشهد إنني قد رأيت
آلاف النخيل
وآلاف الأمهات
تركض صوب الحلة
كان الصبح
صوت أرتظام الجسد الفض بشيء ما
والشط
ينابيع فاكهة حلوة
قالت الأم
يا أيها الطفل أركض
تكاد النار تمسك
قال
بلا رأس
كيف أركض يا أمي
والحوائط ترجعني
والسماوات تفتح أبوابها
أشهد إنني قد رأيت
سدرة المنتهى تومئ لي

(١) شعرية التجريب ، الشعر العراقي الحديث ما بعد مرحلة الريادة ، القصيدة الستينية أنموذجاً ، مهند طارق نجم ، دار الشؤون الثقافية ، العامة بغداد، ٢٠١١، ١٨.
(٢) للوقت نص يحميه، ٤١.

تعال

تعال

تولد الكتابة الشعرية مترعة التأويل متماهية مع تنوع القراءة ، لاشتغال هذه الكتابة في أكثر من فضاء دلالي، فالنص المائل تعددت فيه أذرع الرؤية للواقع، فهو يؤرخ لانكسارات أصابت الهوية المكانية، وهو ترتيلة تنم عن التعلق الفاجع بالمكان، تعلق أزلي مسكون في كيان الإنسان، وما أن يتعرض المكان للخطر حتى تهتز هوية الإنسان تأثراً، وفي قراءة أخرى للنص نجد أن طقوس القصيدة لم تكتفِ بهذه الهوية بل نجدها تنفتح على هوية أخرى تسببت في تقويض الوجود الإنساني في معقله المكاني ، وهي الهوية الدينية المتطرفة التي تتقرب إلى الرب بتفجير الإنسان ومكانه كونه ينتمي إلى هوية أخرى، هذه القراءة ظهرت نتيجة لتلاقح عتبة الإهداء الفاضح لثيمات الفكرة مع جسد النص الشعري الذي قدّم هاتين الهويتين ولم يكن بمعزل عن الصورة لعرض أفكاره الهوياتية، صورة خلقت من أنسنة الطبيعة بوصف ((الخيال يستطيع أن يعثر على كل صور الأفكار في الطبيعة، فهو يحاكيها في عمله))^(١)، محاكاة تجلت في تصوير استعاري أظهر هول ما حدث عبر دال لغوي(أشهد إنني قد رأيت آلاف النخيل وآلاف الأمهات تركض صوب الحلة) إذ ((الفن يقتبس مادته من الطبيعة ليصور الأفكار فهو اللغة التصويرية للفكر))^(٢)؛ ولذا أكتسب النخل صفة الركض صوب الحلة مع الأمهات اللاتي فقدن أولادهن؛ ليشارك شعور الأمهات وعواطفهن، هذه الطاقة الدلالية انبعثت من بؤرة الاستعارة التي سلطت الضوء على عتمة صراع الهويات ، صراع ظهر منتج النص فيه متخذاً موقع الراوي والشاهد الموثق له؛ ليؤنس ما يشاء لخلق صوره ، ثم تتسامى الصورة إلى درجة العجائبية في حوار قصصي بين شخوص النص ليظهر لنا طفل يتكلم من غير رأس ، في لحظة شعرية مشحونة بالدهشة والذهول؛ ((لأن العنصر القصصي يتوافر فيه الإيحاء، ثم أن العنصر القصصي لا يتفق بطبعه مع النغمة الخطابية التي قد توجد في الشعر الغنائي غير القصصي فتضعف من قوته))^(٣) الصورية التي تترجم عمق المعاناة التي صبت على الإنسان العراقي، معاناة تتبع من إشكالية الهوية إلى مشارب أخرى من التهميش والإقصاء، وهي في مخيلة الشاعر يحيى السماوي أزلية في أبعادها الصورية إذ يقول: ^(٤)

الناس قد خلقوا على صنفين

في أرض العراق

(١) النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر، دط، ١٩٩٧م، ٣٩١.

(٢) المصدر نفسه ، ٣٩١.

(٣) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ٤٢٩.

(٤) البكاء على كتف وطن ، ١٧٧.

ساق بلا رأس ورأس دون ساق

بهذا الخلق الصوري ومن قبس الكناية الشعرية تثار هواجس الضياع واللاجدوى في واقع غارق في معالم الصراع الهوياتي، هذا الصراع الذي تشظى فيه الإنسان كثيراً حتى أنه أصبح يُخلق على هيئة عضو واحد (ساق أو رأس) لشدا ما أنشطر هذا الإنسان في أرض العراق ، كناية أقل ما تعبر عنه : هو أن الأقتتال الهويي أكتته الإنسان وغمر كينونته؛ ليعيش في سديم التلاشي ولِيُخلق في اللارادة غير مكتمل الهوية ، وفي هكذا زمن ((يصير الشعر هو صياغة هذا العيش قولاً ... وهو معبر لوجوده وهو صورة هذا الوجود))^(١) وجود كثر فيه الهويات والانتماءات ، هذه الكثرة من الأنساق الصحية في حياة المجتمعات شريطة أن تكون غير متصلبة في حواراتها وقراءاتها .

ومن ثم فالصورة الشعرية تعشعش في أماكن متعددة من المنجز الشعري العراقي ، وهذه المرة في كنف قصيدة الشاعر شاكر التميمي؛ لتلامس مقاربات هوية ما تزال تؤرق الإنسان العراقي سيرصدها التحليل إذ يقول:^(٢) الرمل

أعطني حريتي أطلق لساني
دونما اي رقيب
يفتح الاذان يصغي
علّه يسمع همساً
صوت باك
يشتكى السلطة في ليل كئيب

كي يزف البشرى بالنصر بايداع السجين
عند جلاد أمين
وتراهن لبقائي
وطريقي اليوم مزروعاً بخوف الهاربين
والاسامي
بعد ما كانت هويه

(١) في القول الشعري، يمنى العيد، دارتوبقال للنشر، ط١، ١٩٨٧م، ١٢٦.

(٢) خلجات عن احتضار الأفق، ١٠.

قطعت حبل الوتين
ياحبيبي يا حسين
صارت الاسماء موتاً
نرتديه
دون ان نخشى ففي الموت حياة
واذا ما قطعوا منا اليدين
صرخت كل الحاجر
نحن اتباع الحسين

بنية النص لا تقترب من غياهب الغموض الشعري بل تتخذ من وضوح العبارة وسلاسة الأسلوب ودقة التصوير سمة للبوح، بوح تعترية رؤية الانتماء للهوية الطائفية الشيعية وهنا تمتد جسور هذه الرؤية مع الواقع الزمني لعذابات هذه الهوية وهي تمارس طقوسها الدينية في مرحلتين: تضيق الخناق وكبت الحريات ومسح هذه الهوية تماماً شعار لمرحلة النظام الصدامي ، والإرهاب والتفجيرات والقتل تسيد مرحلة ما بعد ذلك النظام، هذه المقاربات تجيئ معطى من معطيات الصورة الاستعارية التي تحشدت في (صارت الأسماء موتاً نرتديه) لتكون جزءاً من النسيج الدلالي والسياق العام للفكرة، فارتداء الأسماء التي صارت موتاً انزياح استعاري يشير إلى تفشي ظاهرة القتل على الهوية ؛ كون الأسماء العلامة الأكثر وضوحاً التي تقضي إلى الانتماء لهوية ما، وطبقاً لهذه الرؤية فإن النص يفرض وجود هوية أخرى تمارس معتقداتها ضد الهوية الشيعية تزلفاً للرب، وهي الهوية الدينية المتطرفة فكرياً التي تفتك بكل ما يختلف معها استناداً إلى نرجسية دينية وقراءة احادية للنصوص الدينية تتيح لها هذا النسق ، فالصورة قد احتوت هذه الرؤى ؛ كونها ((ليست منفصلة عن التجربة الشعور والفكرة ... فعندما تخرج المشاعر إلى الضوء تبحث عن جسم فتأخذ مظهر الصورة في الشعر ... ولذلك نحن لا نستطيع أن نجد صوراً جاهزة للتعبير عن مشاعرنا وأفكارنا ، فالصورة تتولد حدسياً مع الشعور أو الفكرة))^(١) لنتبوا في مساحة كبيرة من التأثير على ذائقة المتلقي ؛ لأن الشعر ((يدفعنا لنلمس العالم ونتذوقه ونسمعه ونراه))^(٢) ، ونتوقع حين يؤرخ انكساراتنا بطاقاته التصويرية ، طاقات تعطي ما اكتنز عليه الشعر من مفاهيم هوياتية ثراءً دلاليًا وجماليًا، وتضفي عليه سمة التوهج لتزداد قوة تأثير الشعر التعبيرية ، ومن ثم فإذا كان النص السابق

(١) جمالية الصورة ، في جدلية العلاقة بين الفن التشكيلي والشعر، كلود عبيد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،

بيروت، ط١، ٢٠١٠م، ٩٣.

(٢) الشعر كيف نفهمه، أليزيت درو، تر: محمد إبراهيم الشوش، منشورات مكتبة منيمنة، بيروت/ ١٩٦١م، ٥٦

كشفت عن وجود هوية متطرفة تمارس معتقداتها ضد الذين لا يشاطرونها المعتقد، فالنص الآتي يحاول التقرب من بؤرة اشتغال هذه الهوية ؛ لفصح زيفها إذ يقول الشاعر باقر السماوي: (١) الرجز

تسلل الوباء في أجسادنا ... وفرخ الشيطان

وزحفت نحو فرات الخير في ربوعنا

عقارب.... ثعالب... وكتلة الديدان

وأنتشرت بعض فتاوى الكفر والنفاق

لكي تبيح الذبح والعدوان

هذا هو الجهاد في قاموسهم

فدولة الشيطان يا أحبتي

تمتد بين قاتل مؤدلج...جبان

وبين فتوى الذبح والتكفير

واستباحة الأعراف والغلمان

...

لا تحتوي مدينة الشيطان يا أحبتي ... زهراً

ولا بستان

وليس فيها قمر ... أو جدول... أو زهرة أقحوان

ولا تطير في سماءها فراشة واحدة

لأنهم ألغوا بفتوى مضجرة

تعدد الآراء أو تعدد الألوان

القصيدة حكاية مثخنة بكشف حقيقة الهوية الدينية المتطرفة عبر فتنة البوح وغواية المعنى بلغة شعرية تعتمد الكناية في مواطن كثيرة لتجعل ((الصورة الفنية لا تنثير في ذهن المتلقي صوراً بصرية ، بل تنثير صوراً لها صلة بكل الاحساسات الممكنة التي يتكون منها نسيج الادراك الانساني ذاته)) (٢) ادراك استوعب حجم التشابه في ذبح البشر من جهة وخلو عيشهم من الحياة، المبتوثة من طاقة الكناية في القصيدة ، فخلو مدينة التطرف الارهابي من الازهار والبساتين وضوء القمر وجدول المياه ما هي إلا كنايات صورية تشي بجفاف الحياة ونفي الجمال الطبيعي، نعم فن يذبح الانسان قرباناً للرب حتماً أنه لا

(١) سمراء تحفرفي ذاكرتي، حوض الفرات، النجف الأشرف، ط١، ٢٠١٣، ٥٦.

(٢) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ٣١٠.

يفقه ويقوض موجودات الحياة الجميلة والمتنوعة والمتلونة كونه ومن يشاطرونه الانتماء ينظرون إلى الوجود بعين واحدة ويفسرون النصوص بقراءة صلبة لا تقبل الآخر لوناً وفكراً إلا إذا كان يتخندق معهم ، ومن ثم فالنص يتخذ من هذه الصور الكنائية مطية لسوق الأفكار وتوصيلها.^(١) إلى المتلقي لتعزية ممن ينتمون إلى هذه الهوية من ثياب زيفهم الديني.

إن علاقة الصورة الشعرية بالهوية لا تقتصر على الشواهد السابقة ، بل هناك نصوص أخرى لا تقل أهمية من الناحية الدلالية إذا قُرنَت بالمتن المدروس يمكن النظر إليها. ^(٢)

(٢) ينظر: رثاء الإمام الحسين (ع) في الشعر العراقي الحديث ١٩٤٢-٢٠١٠م، دراسة أسلوبية، ياسمين رحيم ماهود، (رسالة ما جستير)، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠١٥م، ٢١٨.

(٢) اطفئي بنيارك ، ٨٤، تلميز الفراشة ، ١٢٥، نقوش على جذع نخلة ، ٥٣.

المبحث الثالث

الهوية والتناص

الهوية و التناس

الشاعرُ صيادٌ ماهر ، يُجيد اصطياد فريسته من غابات الهم الإنساني بسلحه اللغوي ، ذلك السلاح الذي تماهى وتفاعل كثيراً مع المماثل له في كل شيء من اللغة حين تُفخت في جسده الروح لحظة الكتابة ، ف رؤية تفاعل النصوص السابقة مع نصٍ حاضر ، أو ما يسمى بمصطلح (التناس) قد حظيت باهتمام كثير من النقاد ، وبهذا فقد تنبأ هذا المصطلح مكانة بارزة في الدراسات المعاصرة، الأمر الذي يحتم علينا الاقتصاد التنظيري في حقل اشتغالنا لهذا الموضوع ، فما يلامس هاجس الدراسة هو العلاقة الحميمة بين التناس بوصفه من أدوات النص ، وبين مفاهيم الهوية كمضمون لهذا النص، والقراءة وحدها هي من تستطيع فكّ شفرات التعالق النصي وإظهار هذا التجلي من العلاقة ، فمن المنظور التاريخي تعكّز مصطلح التناس على ما جاء به ((الشكلاينيون الروس فقد كتب شيكلوفيسكي : إن العمل الفني يُدرك في علاقته بالأعمال الأخرى، وبالإستناد إلى الترابطات التي نقيمها في ما بينها، وليس النص المعارض وحده الذي يُبدع في توازن وتقابل مع نموذج معين ، بل إنّ كل عمل فني يُبدع على هذا النحو))^(١) فالنص حين يُخلق يتكئ على علاقاته مع نصوص أخرى بوساطة التحاور ، ففي الوقت الذي تنبه فيه دسوسير إلى الخاصية التفاعلية للغة حين أثبت أن الكلمة لا تكون وحدها ، فإن ميخائيل باختين هو أول من أكد على الطابع الحوارى للنص الأدبي ، وبعد ذلك استغلت ذلك جولياكرستيفيا لتجهر بمصطلح التناس ما بين سنة (١٩٦٦ - ١٩٦٧)^(٢) ، ومن ثمّ يمكن القول إن اختلاف مرجعيات الباحثين الثقافية والانطلاق من المناهج النقدية لطرح الافكار كان لهما الاثر الكبير في تعدد تعريفات مصطلح التناس ((فقد حدده باحثون كثيرون مثل كرستيفيا ، و أرّفي ، و لورانت ، و ريفاتير ، و جيرارجنيت على إن أي واحد من هؤلاء لم يضع تعريفاً جامعاً مانعاً))^(٣) ، ولذا سنذكر بعضاً من هذه التعريفات :

- كرستيفيا : ((كل نص هو عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات ، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى))^(٤)

- سولرس : ((كل نص يقع في مفترق طرق لفقرة من نصوص عدة فيكون في آن واحد إعادة

قراءة لها ، وأمتداداً وتكثيفاً ونقلًا وتعميقاً))^(١)

(١) النص الغائب ، تجليات التناس في الشعر العربي ، محمد عزام ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١ ، ٢٩ .

(٢) ينظر : التناس في الخطاب النقدي والبلاغي ، دراسة نظرية وتطبيقية ، عبدالقادر بقشي ، أفريقيا الشرق ، ٢٠٠٧ ، ١٨ .

(٣) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناس) ، محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، ط٢ ، ١٩٩٢ ، ١٢٠ .

(٤) النص الغائب ، تجليات التناس في الشعر العربي ، ٢٩ .

- ريفاتير: هو الآلية الخالصة للقراءة الأدبية إذ هي وحدها فقط التي تُنتج الدلالة في الوقت الذي تستطيع فيه القراءة السطرية المشتركة بين جميع النصوص أدبية كانت أو غير أدبية أن تُنتج غير المعنى^(٢)
- جيرانجنيت: هو حضور نص أو عدة نصوص في نص آخر حضوراً فعلياً^(٣)
- لوران جيني: عمل تحويل وتمثل عدة نصوص يقوم بها نص مركزي يحتفظ بزيادة المعنى^(٤)

هذه التعريفات ظلت تدور في مساحة إشتغال واحدة وهي علاقة النص مع نصوص أخرى في ظل رؤية تهديم هذه النصوص وصهر أشلائها لإنتاج أخرى ، فبنيات الافكار المكتنزة في النص تسربت رغم أسوار خوف الشعراء عليهنّ إلى فضاءات التعالق النصي حيث أصبحت تلاحق وتطارّد شاعراً آخرّاً في كتاباته وهو يبحث عن المعنى ، والشاعر لا يمكنه الهرب بنصه عن دورة حياة النصوص ، وتداخلها ((فالنص عنده لا يملك أباً واحداً وليس له جذراً واحداً ، بل هو نسق من الجذور وهو ما يؤدي في نهاية الأمر إلى محو مفهومي النسق والجذر على حد سواء))^(٥) فما دمنا ننتمي إلى رحم الثقافة الواحدة والتأريخ الإنساني المشترك فإن تناسل النصوص عملية - لا فكاك منها- تهيمن على الأبداع الشعري بكل تجلياته الزمكانية .

إنّ هذا التوظيف له أهمية كبيرة في عملية شحن النص بمفاهيم الهوية من جهة ، و ((إنتاج دلالة النص وجعله متعدد القيم لا أحادي القيمة))^(٦) من جهة أخرى ، وتضافر الجهتين يُسهم في خلق فضاء شعري مترع الدلالة وغزير التماهي في مواجهة تنوع القارئ والقراءة ، وقد تجلّى التناسل وشكّل أرضية غنية تُغري الدراسة ؛ لإقتناص مفاهيم الهوية ضمن إطار تفرعات التناسل وهي على قسمين :

التناسل القرآني

الشعر العراقي تدرج في مراحل نمو حياته وتكاد لا تخلو هذه الحياة من الإرتشاف المستمر لنصوص القرآن ، فالتناسل القرآني له ((ثراؤه وأتساعه ؛ إذ يجد الشاعر فيه كل ما يحتاجه من رموز

(١) غواية التجريب ، دراسة في التجريب الشعري عند جيل السبعينيات في العراق ، مناف جلال ، دار الشؤون الثقافية ، ط ١ ، ٢٠١٢ ، ٩٢ .

(٢) ينظر: التناسل في الشعر العربي الحديث البرغوثي نموذجاً ، حصة البادي ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ٢٠٠٩ ، ٢١٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢١ .

(٤) ينظر: التناسل نظرياً وتطبيقياً ، أحمد الزعبي ، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ط ٢ ، ٢٠٠٠ ، ١٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ١٤ .

(٦) التناسل وتداخل النصوص ، المفهوم والمنهج دراسة في شعر المتنبي ، أحمد عدنان حمدي ، دار المأمون للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ٢٠١٢ ، ٢٣ .

تعبّر عما يريد من قضايا، من غير حاجة للشرح والتفصيل ، فهو مادة راسخة في الذاكرة الجمعية لعامة المسلمين ، بكل ما يحويه من قصص وعبر، ناهيك عن الأقتصاد اللفظي والغنى الأسلوبي اللذين يتميز بهما الخطاب القرآني ((^(١)) ، فتناص الشعر وبشكل عام مفعم بهذه المضامين ، بيدَ إنّ المنجز العراقي لم يكتفِ بهذا فحسب ، بل دأب في تناصه مع القرآن على محاكاة وجع الإنسان العراقي ، وبهذا فهو يثير جدلاً حياتياً مستلاً من الواقع المعيش ، وهو إشكالية الهوية بكل مفاهيمها ، فالصراع الهوياتي هو معاناة وجودية ، وإذا ما وجدت هذه المعاناة من يحتضنها في كنف نص آخر وهو النص القرآني لما فيه من قواسم مشتركة نفسية و وجدانية ومضامين وأفكار متقاربة بين النصّين المتماسين ؛ فهي حتماً تكون قد لامست هواجس الذات الفردية والجماعية ، التي تتوجع كثيراً ، وهي تخوض معركة البقاء ، والبقاء مقرون بسلامة الهوية ، فمثلاً قصيدة الشاعر نوفل الحمداني تعلن مغازلتها بحنكة جميلة لحادثة قرآنية لا تغادر الذاكرة إذ يقول: (^(٢)) متدارك

يوشك الحزن أن يستقر على دكة الأمنيات
فتغرق خلف ظلال البنادق أحلامك يا وطني
أما سئمتك الحروب
وقد كنت أدمنتها
توشك الآن كل الخطى
أن تغادر هذا الصراط الذي ينحني فجأة
عند جسر الأئمة
محدودباً...
غاسلاً فوق دجلة أحزانه
وهي توارى ببردية سواتها الألف
نقاطك وهمية يا وطن
والشعارات تكنسها الريح
وينمو عليها العفن

إنّ العودة إلى الذاكرة القرآنية وتوظيف ما علق بها من أحداث تتماهى في طبيعتها مع مضمون هذا النص هي عودة ذكية ؛ لأنّها ((لا تستدعي الاحداث والتجارب السابقة كلها في تراكم وتتابع ، وإنما تُعيد

(١) التناص في الشعر العربي الحديث ، ٤١ .

(٢) في الطريق إلى القلب ، ٣٥ .

بناءها وتنظيمها ، و ابراز بعض العناصر منها، وإخفاء أخرى تبعاً لمقصدية المنتج^(١) التي تعكزت وبشكل كبير على ثقافة المتلقي ، فمعرفة قصة ابني آدم وما فعله قابيل بعد قتل أخيه من المسلمات القارة في الذاكرة الجمعية ، ولكن هذا النص جاء ((ممتصاً لها بجعلها من عندياته وبتصويرها منسجمة مع فضاء بناءه ومع مقاصده))^(٢) ففعل قابيل قد تكرر آلاف المرات وليس هناك من ندم حين أدمن الوطن حروب الهويات الطائفية التي حدثت بين أبناء العراق ، وهي حتماً امتداد للإقتتال الذي حدث بين ابني آدم من وجهة نظر النص الذي تناص مع قوله تعالى ((فَدَلَّيْنَاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَيْنَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ))^(٣) ؛ لنشابه الرؤية الفكرية بين النصين الشعري والقرآني، وهذا نستشفه من دلالة (جسر الأئمة) الذي يختزل كل تجليات الصراع الطائفي الهويي المبني على إشكاليات دينية متراكمة ، فالنص يعكس لحظة تاريخية ويذوبها لوجود صلات عميقة تبين مدى الانتماء بين التهميش والإلغاء الذي حدث في الماضي بين الأبناء وما يحدث الآن ، وكل هذه الأحداث تنصهر معاً في قالب واحد لتجسيد إشكالية الهوية العراقية.

وفي نص آخر ، يوحي بالقرب المعنوي والتعالق الحميم مع النص القرآني عبر الاستيحاء العكسي للتوظيف الدلالي يوغل الشاعر يحيى السماوي كثيراً في فضاء المفارقة الساخرة ؛ لتوضيح التباين بين فتوة وهيبة الهوية العربية للمسلمين في الماضي، وبين واقعها الآن وهي تحتضر ، في محاولة لبناء نص جديد ينطلق من النص القرآني ، ولا يقيد به ، بل يعتمد إلى التحوير وإفراغ الدلالة السابقة ، ليوصل الفكرة التي يريد ، إذ يقول^(٤) : الرجز

آخر ما تضمنته نشرة الأخبار
 إن إمام القصر أفتى
 بوجوب السير في معركة الحوار
 إذن
 أعدوا لعدوكم-عدو الله- ما يرهبه
 من قوة اللسان

(١) تحليل الخطاب (أستراتيجية الخطاب) ، ١٢٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ١٢١ .

(٣) سورة الاعراف / ٢٢ .

(٤) نقوش على جذع نخلة ، ١٠٣ .

وما استطعتم من خيول الخطب العصماء

والبيان

ذودوا عن التراب والمال

وعن عرض المحصنات بالإشعار

حتى يفر القاتل المحتل من بستاننا

وتستعاد الدار

لا مشاحة في القول إن: ((القرآن سيطر... على الشعراء وامتصوه وأعادوا كتابته))^(١) بقصد اقتناص بعض إحياءاته بلغة تحاكي واقع الهوية العربية وهي تشكو من الهشاشة والسبات في كيانها إزاء ما تتعرض له المحصنات من هتك ، والأرض من التدنيس، فالانحراف النصي يوحي بأن التناس مع القرآن يجعل النص ولوداً في الأفق الدلالي ، ويبدو إن النص وظف قوله تعالى: ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ))^(٢) ، فالمفارقة تجلت واستندت إلى عدم التقليد كون ((التقليد التام أمر مستحيل ولأننا مهما بلغنا في تقليد نص ما، فلا يمكن أن نعيد إنتاج ذلك النص))^(٣) ، ولكن يمكن محاكاة هذا النص عبر التناس ، ففي الوقت الذي تطرح الآية رؤية القوة لإرهاب الأعداء يذهب النص في الاتجاه ؛ لخوض معركة الحوار و امتطاء خيول الخطب العصماء وإرهاب المحتل بقوة اللسان حتى تستعاد الأرض ، وبهذا يمكن للتناس أن يعمل حسب مستويين : أحدهما ، توظيف عبارات النص القرآني والثاني ، تحويل محتواها عبر الاستيحاء العكسي ((وكأن النص يعيد قراءة النصوص التي دخلت في تكوينه ويقوم بتحويلها وإعادة استثمارها ؛ لفائدته الخاصة))^(٤) ليفضي إلى مساحة تبلور تمثلات الهوية من خلال إنتاج المعنى الذي تباين كثيراً ، بعلاقته مع مفاهيم الهوية ضمن دائرة التناس والنص الآتي يبين مدى هذا الاشتغال ؛ كونه يطل علينا من نافذة الانتماء لهوية مكانية ، تلوح بثيماتها لجذب ممارسات الدراسة ، ففي قصيدة (في البدء كانت الحلة) يقول الشاعر صادق الطريحي^(٥) : الخبب

(١) التناس الديني والتاريخي في شعر محمود درويش، أبتسام موسى عبدالكريم، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، ٢٠٠٧، ١٠١.

(٢) الأنفال، ٦٠.

(٣) دراسة في بلاغة التناس الأدبي (الليث والخراف المعضومة) ، شجاع العاني، مجلة المواقف الثقافية ، بغداد، ١٧٤ ، ١٩٩٨ ، ٨٤.

(٤) استراتيجيات التناس في تحليل الخطاب الشعري في النقد العربي القديم من خلال كتاب الذخيرة لابن بسام ، داسة في الآليات والمستويات ، أكرم بن سلامة ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب واللغات، جامعة قسنطينة ، الجزائر، ٢٠١٣ ، ٢٢.

(٥) للوقت نص يحميه، منشورات بابل ، ط١، ٢٠٠٩ ، ٥.

أنتِ نسلِ الكتابة
نسل النبوة
نسل المحبة
فاتحة الزمن الرافدان
وظل الله على الأرض
أنت النهر الأول
ورغيف التوحيد والقربان الأزلي
ما زال أسمك في اللوح المحفوظ
يعمله الله لآدم:
هذه الأرض للشهداء
فأنبئهم بأسماء المقتولين
وأسماء المذبوحين
وأسماء المغتالين
وأسماء الأولياء
وأسماء الله الحسنى
...
كانت الحلة بدءاً
كانت أمّاً
تجمع لحم أبناءها المذبوحين
في أربيل
وبغداد
والبصرة
كانت تعرف...
إنها سوف تنجب أطفالاً آخرين
سيأتون مع الفجر
أصابعهم تعرف القاتل
والقاتل أعمى
لا يعرف أنه يقتل عشباً
تمتد إلى أقصى اللون الأخضر

كل المدائن تبدو آيلة للسقوط ، إذا ما تراكم عليها غبار الزمن إلا مدائن البوح الشعري المضمخة بالجرح والعذاب اليومي الذي يصيب الذات الإنسانية ، فهي تبدو متفاعلة في لغتها المتوهجة ؛ لأنها تتكئ على الحوار مع نصوص أخرى خالدة في طبيعتها -النص القرآني تحديداً- عبر ((تغيير النص الغائب ونفي قدسيته فلا مجال لتقديس كل النصوص الغائبة مع الحوار فالشاعر... يعيد ، انتاجه من جديد ويقبله ويحوله بقصد))^(١) ، وفق رؤية تلامس قضايا الإنسان الهوياتية حتى تغدو العبارات أجساماً لوظائف غير التي وجدت لها ، فالنص المائل أمامنا استحضر قوله تعالى : ((وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَقْبِلُوا بِسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَذَكَّرُ أَثَرَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَتَبَّاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ))^(٢) في خضم تفاعله الهوي ، وقد قام بإعادة بناء النص القرآني بصورة جديدة تتماشى مع ما يقدمه من مفاهيم يتقشى بين جنباتها أحساس بالانتماء المكاني لمدينة الحلة ، وهذا ظهر في قلب دلالة الأفعال ، فالأسماء التي علمها الله لآدم لم تكن الأسماء المتعارف عليها بل هي أسم الحلة الذي نُقش في اللوح المحفوظ قبل أن يكون نسل للكتابة والنبوة ، ومن ثم فآدم الذي ننتظر منه أن ينبأنا بهذه الأسماء أدهشنا كثيراً كون الله أمره بشيء آخر هو : إن الحلة أرض الشهداء، وهذا يحتم عليه أن يتوسع كثيراً في سرد الأسماء من (المقتولين والمذبوحين والمغتالين) ، فتعليم الأسماء بهذه الطريقة يعد سبيلاً للتناسل لأنه يشير إلى ((تجذر الهوية ... فالشاعر يحاول تسمية الأشياء من جديد؛ ليمنحها رؤيته الفكرية))^(٣) ، فالتناسل هنا يجيء مغايراً لأحداث القصة القرآنية ، فتوظيف الفكة عن طريق العملية التحويرية للنص القرآني لفظاً ودلالة ، حذفاً وتوليداً لم يأت لإشباع النص الشعري بالغنى الأسلوبي واللغوي الذي يتميز به الخطاب القرآني فحسب، بل لشحن القصيدة بطاقات متمزجة و رؤية توثيق ما حدث في هذه المدينة من إلغاء لهويات تنتمي لعقيدة معينة، فالأسماء التي ستذكر من المقتولين والمذبوحين وغيرهم هي ضحية لصراع الهويات المبني على فكر ديني متطرف كون هذه الأسماء غادرت الحياة في تفجير الحلة ، وهذه إضاءة تُفهم من عتبة الإهداء (إلى شهداء مجزرة أبن نما) في مدينة الحلة ((وهكذا يتم الانطلاق من النص الغائب لإعادة كتابته ؛ لأنه لا يمكن أن ينحصر في مدلول واحد ثابت وإنما يتحول إلى شبكة من المستويات المتفاعلة))^(٤) مع ما يعالجه

(١) غواية التجريب دراسة في التجريب الشعري عند جيل السبعينيات في العراق، ٩٦.

(٢) البقرة، ٣١-٣٣.

(٣) التناسل الديني والتأريخي في شعر محمود درويش ، ٢٧.

(٤) النص الغائب تجليات التناسل في الشعر العربي ، ٥٥.

الشاعر من قضايا تخص كينونة الإنسان ، تلك القضايا التي تعددت في كتابات الشاعر صادق الطريحي من شرفة الوجد المسكون في زوايا المدينة الممتد إلى الفضاء الزمكاني الواسع إذ يقول^(١): الخبب

كانت الحلة بدأ
كانت نهراً
يجري من أقصى كردستان
إلى أقصى الحلة
يحمل الناجين من الخردل
والمقابر
والجوع
حيث الوطن ، فراغ من الإسمنت
وحشد من الأعراب
يقولون أمنا
-قل لم تؤمنوا-

لا شك أنَّ هذا الاتصال الحميم بمدينة الحلة ينبئ بعمق التجذر ، وهوية الانتماء لعمق المكان، إذ جعل منها حياة تبتث الجمال والتجدد المستمر ، إذ كانت نهراً دائماً الجريان ، يحفر مساره في ذاكرة الإنسان، ذلك الإنسان الذي هرب بهويته كثيراً من قيود القمع التي أصبحت رداءً له ، لا سبيل لخلاص منه يتنوع هذا الرداء ليعمق من غربة الإنسان العراقي، فمرة يتنشق غازات الخردل السامة وأخرى يُجوع ويُدفن في المقابر الجماعية، نعم تحولت المدينة إلى نهر ولكن ليس للطبيعة، وإنما ليحمل الناجين من تلك الممارسات في وطن يخلو من كل شيء إلا من الأعراب الذين يدعون الإيمان ، عبر حملتهم الإيمانية المفضية إلى ضياع هوية الإنسان ، ومعنى المواطنة وتقويض فكرة الإيمان بالوطن، فالنص تعالق مع قوله تعالى : ((قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَناً قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَكَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))^(٢) ، في هذه الرؤية المستلثة من الماضي القريب ، ومقاربات الحاضر المؤلم يحاكي الشاعر و((يتصدى لمشاعر القلق والظلم والتمزق وغيره مما أصبح سمة عصرنا ، وهو مع ذلك لا يمثل ذاته بقدر ما يتمثل ذوات الآخرين

(١) للوقت نص يحميه، ٦.

(٢) الحجرات / ١٤.

الملتصقين بلحمه وعظمه وهو يضمّد جراح الإنسانية))^(١) في تكويناته التعبيرية الطاعنة في المأساة المنبثقة من وجع الهوية ، وجع يسافر إلى أقصى الذاكرة الدينية والتاريخية ليعود متجدداً فينا، وعبر قصيدة الشاعر مهدي الغانمي إذ يقول^(٢): رجز

هاشم وأمية
يلهوان بنا...
يرفعان معاً نخب أعطابنا
كلما أزهى الخبز في دمنّا
طفقا يخصفان على سوءة الأرض أجسادنا:
حيث يحتربان علينا بنا
ثم يصطلحان... على حربنا!
نحن فرج قريش
كلما عضها شبق
أطبقت فخذيهما علينا: هاشمياً وأمية
خوزفتنا بأسلحة الغرباء

فكرة الانتساب لتأريخ الصراع متمكنة من عقولنا ، وهي أكثر القضايا عناداً ومراوغة كونها تلامس انتماء وهاجس الإنسان الديني والتاريخي بحيث يغدو الإنسان مجرداً من الذات التاريخية ، وبطفو حوار الهويات المتصلبة المفضي إلى الاحتراب والإقتتال ، وبهذا يكون قد جثم على كل مفاصل الحياة بعد غياب حوار الذوات، فنحن نعيد صراع التأريخ الديني وإشكالياته بعدما أصبحنا أدواته التي يحترب بها وعليها طرفا النزاع ، وضمن هذه التجاذبات جاء النص مترعاً بالدلالة ، إذ يُسقى من فضاءين متواشجين للصراع يكمل أحدهما الآخر في تلاقح مستمر الامتداد إلى بداية الإسلام حيث صراع هاشم وأمية هو الفضاء المعلن في جسد القصيدة ، هذا الصراع الذي تقمص أحداثاً لكيّنونته من صراع آخر يغذي ذهن الشاعر إنه صراع أزلي بين آدم والشيطان مسئل من قوله تعالى ((فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ))^(٣) ، فالآية القرآنية أكسبت النص الشعري سمة التكثيف في اللغة والدلالة ضمن دائرة التناص، فما فعله آدم وزوجه بعد صراعهما مع الشيطان حين

(١) الرّفص في الشعر العراقي الحديث (١٩٢١-١٩٥٨) دراسة أدبية، ٥٠.

(٢) المملوء، ٩٥.

(٣) طه ، ١٢١ : الأعراف، ٢٢.

طفقا يخصفان ((أو يرقعان ورقة على ورقة عليهما من ورق الجنة ليستترا))^(١) لحظة ظهور سواتهما يتكرر في عالم الدنيا عبر اقتتال (هاشم وأميه) ، ولكن ما يخصفان به سوء الأرض هو أجسادنا، فنحن مسكونون بهذا التأريخ الموبوء بالصراع والتقاطع بين الهويات ، التي ما زالت تجدد دماؤها ونحن من يجدد هذه الدماء عب الأجيال، وهنا تكمن لعبة التناس عبر التحوير والامتصاص لتتلاءم مع عالم الشاعر الإبداعي المكتنز على إشكالية الهوية في عصرنا الحاضر لتصبح الكتابة الشعرية فضحاً مقصوداً يعري ويزيح ما انسدل على مكامن المسكوت عنه بكل تفاصيله القابعة في الذاكرة ((فلا عجب إن نصادف شعرائنا ينهلون من القرآن ويعيدون كتابته في نصوصهم ، فهو النص الذي لا يزال عالقاً بالذاكرة ... لخصوصيته وتميزه وغناه الدلالي والتاريخي وامتلائه بالعديد من العبر والأحداث المليئة بالإحياءات التي تغري الشاعر على توظيفها... وفقاً لما يتلاءم مع تجربته والمعطيات التي يريد التعبير عنها))^(٢) الهوية تـ تحديدًا .

التناس الشعري

الشعر عالم جميل ، ويثير إحساساً بالجمال لدى المتلقي ، والإنسان بدوره يهرب من عذابه الفيزيقي واليومي إلى هذا العالم ؛ كون الإبداع مقترن بالإنسان فهو لا يخرج إلا من بوتقة قضاياها الذاتية والجماعية في فضاء يتسم باللامكانية والزمانية ((فإذا كان الشاعر قد رحل وتلاشى جسده في التراب ، فإنَّ الجسد الثاني / القصيدة لن تذبل ولن يمسخها الفناء ما دامت تتجدد دماؤها من قارئ إلى آخر ، ومن قراءة إلى أخرى))^(٣) ، وما دامت تقنات من نهر توارث النصوص الأدبية وتداخلها عبر تقنية التناس ف ((مصادر النص الغائب كثيرة ومتنوعة تهاجر من الذاكرة لتحتط في ذاكرة أخرى وتكون في المتن الشعر المعاصر والقديم))^(٤) كون التناسات الأدبية هي الينابيع التي يرتشف منها الشعراء في الوعي واللاوعي ؛ بسبب حتمية اندماج المقروء الثقافي والشعري في ذاكرة الشاعر ثم تسريه إلى عالم القصيدة من خلال اللغة أو الصورة أو الأسلوب أو الرؤية^(٥) لتخصيب نص جديد ، فالشاعر الذي يتكئ على التناس مع الشعر ((يجذر رؤاه الشعرية للواقع والحياة والوجود ، فيأخذ من هذا التراث الشعري ما يتواءم ... وواقعه وهموم ... ولم يكن أخذه هذا سكونياً جامداً _ في معظمه _ بل أخذ يحاور وينفي بعض مضامينه ، ويخلل بعضها))^(٦) انطلاقاً من عدم اجترار

(١) تفسير شير، عبدالله شير، منشورات الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٠، ١٥٢.

(٢) التناس التراثي في الشعر العربي المعاصر، عصام حفظ الله ، دار عيدان للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١، ٧٧-٧٨.

(٣) مكائد اللغة قراءات في الشعر المغربي المعاصر، ٣٥.

(٤) قراءات في الشعر العربي الحديث المعاصر، خليل الموسى ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٠، ٥٥.

(٥) ينظر: التناس نظرياً وتطبيقاً ، ١٥٣.

(٦) التناس التراثي في الشعر العربي المعاصر، ١١٩.

المضامين بأشكالها السابقة ، وهو يتناول قضايا وهموم معاصرة ، ولعل ابرز الهموم التي يتوجع لها الإنسان هي إشكالية الهوية بكل تشظياتها و ومن ثمة بالإمكان تتبع اشتغال الهوية مع التناص الشعري في التجربة الشعرية العراقية .

فمثلاً نجد علاقة الإنسان بهويته المكانية في الفضاء الشعري تضمخت كثيراً بالتناص ، فبغداد التي كانت تزدهو بالجمال والحب و عيون المها أصبحت تعاني من الاستلاب والضياع الهوياتي وذلك تجلى في قصيدة الشاعر يحيى السماوي إذ يقول : ^(١) الرمل

مثكل ... القلب يتيم النظرات
فزعاً فرّ " علي الجهم " من زنبقة الروح
الى دغل الفلا
راعه أنّ الينابيع دماء
والبساتين موات
لا المها تدنو من الجسر
ولا دجلة تغوي بالرياحين الفراشات
فكل الشرفات
اغمضت منذ اجتياح السرفات
واحة العشق ... وأكوخ "الفرات"

التناص يحيل الى البيت المشهور للشاعر علي بن الجهم : ^(٢)
عيون المها بين الرصافة والجسر

جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

ثمة إقرار بأنّ الجمال لن يدوم بحكم طبيعة الحياة ، ولكن جمال المكان شيء مختلف ؛ لارتباطه بهوية الإنسان ضمن علاقة أزلية ، وإذا ما اقترب الخطر من احدهما يتأثر الآخر وما اصاب مدينة بغداد من ويلات جعلت الشاعر يحورّ ويعكس هذا البيت بوساطة التناص ؛ ليتلاءم مع واقع الهوية المكانية وهي تعاني من التهميش والاستلاب بعدما كانت المكان الدافئ لاحتضان عيون المها والجمال ، وهذه مفارقة تجلت في دوال السنة (مثكل ، يتيم ، فزعاً ، دماء ، موات) إذ جاءت هذه الدوال كدلالات إيحائية غايتها ((إضفاء دلالة جديدة على النص مضادة لدلالة التراثية لإبراز نوع من المفارقة التي تخدم هدف الشاعر)) ^(٣) ، وعبر هذا التصور يتضح لنا حجم المكابدات الوجودية

(١) نقوش على جذع نخلة ، ١٣٦ .

(٢) ديوان علي بن الجهم ، تح ، خليل مردم بيك ، المجمع العلمي العربي ، دمشق ، (د.ت) ، ٢٣ .

(٣) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، ١٩٨ .

التي تعاني منها الذات ، كون ما يتعرض له انتماءها المكاني يفضي الى الشعور بالضيق ، فأدبيات الجمال الحياتية في مواسم الدفء غادرت الى المجهول بعدما لاذ الشاعر مبتدع هذا البيت (علي بن الجهم) بالفرار حيث الينابيع تنزف الدم ، والبساتين موات ام الـ (مها) التي تغنى بها الجميع وهي لا تفارق توسطها بين الرصافة والجسر اصبحت لا تقوى على ان تدنو من الجسر ؛ لأن دجلة لا تغوي شيئاً حتى الفراشات ، فبغداد الماضي فقدت هويتها في الحاضر ؛ بفعل اجتياح الاحتلال ، فحالة المأساة التي أصابت المكان انعكست على الهوية في مواطن كثيرة من مساحة التناسل .

وضمن الإطار نفسه تختزل كل دلالات الظلم الصارخة والموجهة بقصدية نحو الجنوب العراقي ليعيش في فضاء البؤس، فهو المكان الذي يكتنز على عناصر الغنى وحال ساكنيه في اعلى درجات الفقر ، هذه المفارقة جاءت كروية تستمد طاقتها من التناسل بطريقة توضح شكل انكسار الهوية في قصيدة الشاعر حميد نجم الزبيدي إذ يقول : ^(١)

فوق مياه الهور

تجنم قريتي ... سكرى

مُعَمَّمة بالزهد

بالأحلام

بالصبر الندي

فكأنها

" كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ

والماء فوق ظهورها محمول "

حتى الكلاب تعافها

ويمقتها اللصوص

في الغدو ويلثمها الذباب

تودداً

وفي العشي يوسعها البعوض قُبْلُ

وكأن سيدنا " ايوب " في وكرها انتبذُ

هذه لغة شعرية تمارس فاعليتها الإبداعية في المكاشفة عن حجم الاضطهاد والاستهزاء بالإنسان وكيانه من جهة ، وتؤرخ الانكسارات التي هزت الهوية عبر استدعاء من يسعها في ذلك من الشعر

(١) لآلئ طيفها ألق ، ٤٣ .

العربي ((وهذه الوسيلة في الحديث بلسان الآخرين هي أحد وجوه المعادل الموضوعي ... فبدل ان يعبر الشاعر بصيغة ضمير المتكلم ، يستطيع ان يكون لا شخصانياً بان يصوغ سلسلة من الصور ... تكون موضوعاً يقف معادلاً للفكرة التي يرمي إليها))^(١) وفكرته تنطلق من وصف هوية الإنسان وهي تعاني من الاغتراب في كينونتها المكانية مستثمرا طاقة نص آخر هو : ^(٢)

كالعيس في البداء يقتلها الظماً... والماء فوق ظهورها محمول

فالتناص هنا يجئ بطريقة الاجترار، أي إعادة كتابة البيت الشعري من دون تغيير او تحوير^(٣) ؛ لأنه يحقق طقس المشابهة الجوهرية بين واقع العيس ومعاناتها وهي تحمل الماء ويقتلها العطش وواقع هذه القرية التي تملك كنوز الدنيا ويقتلها الجوع . إذ انَّ الهوية المتجسدة في النص تستند الى مرجعية ادبية ، لتشابه المعاناة وتنطلق منها إلى مساحة البوح لسيرورة اعماق وهي المجال المعبر عن الرؤية الهوياتية ، سيرورة تنبثق من دوال تحتم عدم صلاحية العيش البشري في كنف هذه القرية ، إذ انها تعممت بالزهد كثيراً حتى ان الكلاب تعافها ، ثمَّ أنَّ أيَّ ملامسة واضطهاد للمكان إنّما هي تقويض لشبكة العلاقات التي تربط الاشخاص بهذا المكان ، ارتباط وجود وانتماء وهوية^(٤) والانتماء متعدد ، فاذا كان هذا الانتماء مثلاً بؤرة الهوية المكانية للقرية فالنص الآتي يقتنص نوعاً آخر وهو الانتماء للهوية الوطنية لتحقيق الشعرية عبر تجلي واقع هذه الهوية وما أصابها وذلك يظهر في قصيدة الشاعر سعيد جاسم الزبيدي إذ يقول : ^(٥) الكامل

أرأيت ذاك

نعم

بلا جلد مشى

من غير لون ، ربّما من غير دم

واذا سألت عن اسمه

لاك الحروف فلم تبين عنه الكلم

مستغرباً اردفتُ : لم افهم هنا ما كنت تعنيه ولم

فأضاف مخنوقاً ومنه العين تنطق بالألم

باع (الجواز الاخضر) الممهور بالنخل الذي يغفو بروحي

(١) التناص في الشعر الحديث البرغوثي نموذجاً ، ٦٠ .

(٢) لم يرد البيت بهذه الصيغة ، وانما بهذه : والعيس اقتل ما يكون لها الصدى ... والماء فوق ظهورها محمول . شرح ديوان سقط الزند ، ابو العلاء المعري ، تح ، ن رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان ، ١٩٨٧ ، ٩٩ .

(٣) ينظر: التناص في شعر علي بن الجهم ، عواد صياح ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة آل البيت ، ٢٠١٢ ، ١٩ . : غواية التجريب ، دراسة في التجريب الشعري عند جيل السبعينيات في العراق ، ٩٦ .

(٤) ينظر: فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية ، ٧ .

(٥) صوت بلا صدى ، ٤٠ .

فتفتقت منه جروحي

لا استسيغ لقاءه

عادة بي الذكرى الى زمن القراءة

ما كنت ادرك ضجة كبرى اثارته " براءه "

فتصور الادهي

اذا بيع الوطن

هون عليك بـ (من يهنُ ...)

القصيد تطلُّ على سواحل الوجع ، وجع الغربة الذي أصاب الذات في أسفارها خارج أسوار الوطن ، الذي لم يعد ملاذاً لها ، فذات الشاعر انخرطت في حوارها مع صوتٍ آخر فزرز الذاكرة الحبلى بعقب النخيل ، لتتفتق الجروح من جديد ، جروح الهوية الوطنية المنكسرة في وطن يخلو من أبنائه ، حيث من باع (الجواز الأخضر) لن يفكر بالرجوع الى وطنه ، وإذا ما حدث بيع الوطن وهو الأدهى تأخذ الذات بتلابيب قولٍ يخفف من الألم وهو : هون عليك ، المقتطع من نص آخر كون القصيدة تتداخل مع نصوص لتسافر مع عوالم متعددة الدلالات لتفاعلها مع بيتين من الشعر العربي :الاول لابن الرومي إذ يقول :^(١)

ولي وطن آليتُ ألا أبيعهُ ولا أرى غيري له الدهر مالكا

الثاني للمتنبى إذ يقول :^(٢)

من يهنُ يسهّل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام

إذ ان الحوار مع البيت الاول هو ((تغيير النص الغائب وقلبه وتحويله بقصد قناعة راسخة من عدم محدودية الابداع من اجل كسر الجمود والوصول الى فضاءات نصية جديدة))^(٣) تعبر عن هشاشة الانتماء للوطن القابع في دياجير العتمة ، في حين وظفت القصيدة البيت الثاني بطريقة ((تنطلق اساساً من الاقرار بأهمية هذا النص فيتعامل معه كحركة وتحول لا ينفيان الأصل، بل يساهمان باستمراره كجوهر قابل للتجدد))^(٤) ؛ ولذا جيء بجزء من صدر البيت استناداً على ذاكرة القارئ لربط المداليل وانضواء البيتين تحت رداء المعنى في النص مما أكسبه نزعة جمالية وهو يحاكي موضوعة الهوية الوطنية .

(١) ديوان ابن الرومي ، شرح احمد حسن بسبح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠٢ .

(٢) شرح ديوان المتنبي ، عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ٢٠١١ ، مج ٢ ، ج ٢ ، ١٦١ .

(٣) التناص في شعر علي بن الجهم ، ٢٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ٢١ .

إنّ توظيف التناسل بنوعيه القرآني والشعري زاد من غزارة النص الشعري وارفده بالحياة والجمال وهو يقدم أفكاره ومضامينه الهويةية ، وهذا متأثّر من كون النص العراقي نص يجيد التفاعل والتحاوّر مع النصوص الأخرى بحنكة وحذر شديدتين وهو يحاكي ويلامس قضايا دولة الإنسان وهمومه ويتوجع لها ،ولذا مدّ جسور التواصل مع البلاغة العالية والاسلوب النادر من جهة وحظي بالانتساب للتراث الشعري العربي ليكون الابن البار لذلك الإبداع العظيم من الجهة الأخرى ، ويمكن تتبع نصوص أخرى بهذا الصدد (١)

(٤) ينظر: لماذا تأخرت دهرًا ، ١٢٠ : مياه النص الاول ، ٧٥ : نقوش على جذع نخلة ، ١١٠ ، ١٢٩ : الضحك من الايام الآتية ، ٤٩ : نسيج الزمن ، ١٩٢ .

الخاتمة

الخاتمة

ها نحن نقطف ما أبيع ، لنعود من رحلتنا المشاكسة للكائنات الشعرية في بطون ثلاثة فصول عسى أن تكون هذا الرحلة وفقت في مسائلة الشعر للبحث عن الهوية ، بضاعتنا المزجاة هي نتائج هذه الرحلة الممتعة ، وهي كالآتي :

- تجلت الهوية الايديولوجية رؤيةً فكريةً عبر فضاءات النص الابداعي ، بوصفه أحد خطاباتها الذي يكون وثيق الصلة بالمجتمع فكراً وثقافياً ، هذه الرؤية ما هي إلا قراءة للحياة تنهل ديمومتها من تطور الفكر الإنساني ونمو انتماءات هوياتية تحددت في : علمنة الحياة لمواجهة ازدواجية التدين الزائف من جهة ، والانفتاح الثقافي العالمي الذي أفضى إلى انتشار الحزب الشيوعي والفكر الماركسي في ارجاء الوطن العربي والعراق خصوصاً وقتذاك .
- استقراء النصوص الشعرية اظهر لنا أن الهوية الدينية تعزز الشعور بالانتماء للجماعة بوساطة مقدساتها وآليات ممارستها الفكرية عبر استدعاء الموروث الديني ، والقوى الروحية التي تؤمن بها المتمثلة برموزها الدينية التي تعمق تجذر من ينتمي إليها وتُحصنه من كوابيس القلق الوجودي (الهوية المسيحية أنموذجاً) ، فالإحساس بالتهميش ظل يُراود المسيحيين في صراعهم من اجل البقاء .
- قراءة وتأويل النصوص الدينية قراءة احادية أهتمت بالمقدس الديني الذي تظن انه مقدس على حساب الإنسان أفضت إلى ظهور من يتترجس لامتلاك وهم الحقيقة الدينية التي تتكئ على إلغاء الآخر المختلف فكراً او ثقافياً معها ، هذا التعصب والتطرف في شرعنة الدين جاء ؛ لمرض الروح الدينية الإسلامية التي تؤمن بإرهاب وقتل وتفجير من لم ينتم إليها باسم الرب ، هذا التصدع مثل موضوعاً تضمخت به اغلب نصوص الهوية الدينية .
- شعرية القصائد سلطت ضوء ألقها على صعود الهويات الهامشية التي مزقت نسيج المجتمع العراقي ، ومن بين هذه الهويات التي لمع نجمها هي : الهوية الطائفية ، فكانت نصوصها الشعرية تناقش الاقتتال الطائفي الذي حدث في العراق بعد ٢٠٠٣ ، هذا الاقتتال الذي هدر ارواح العراقيين جميعاً ؛ بوصف المجتمع العراقي أرتبط بالموروثات الدينية سلبياً ولم يتمرّد على

سطوة هذه الموروثات ؛ لأن القراءة لم تكن في النص الديني ، بل كانت قراءة للفكر البشري ضمن مقاسات ضيقة داخل فضاء النص .

- الوعي بالهوية الوطنية وإشكالياتها المتعددة شغل مساحةً من المنجز العراقي الذي اصبح ميداناً خصباً يستوعب قضايا المجتمع التي طرأت بعد ٢٠٠٣ ، ولعل اخطر قضية خلخلت كيان الدولة العراقية هي : تشطي الهوية الوطنية بفعل ممارسات سياسية شخصها النص الشعري لا تخرج من محيط السلطة الصدامية وسلطة الاحزاب للنظام الحالي ، فكان اللجوء إلى الولاءات الضيقة الدينية والطائفية والعرقية على حساب الهوية الوطنية ظاهرة لا تُتكرر .

- الهوية المكانية ظهرت وهي تعاني من الاستلاب الوجودي ضمن علاقة طردية ، كلما تعرض هذا المكان الى التهميش تجذرت هوية من ينتمي إليه ، فحين يحقق الخطر بكيونة الإنسان فحتماً أن المكان هو من يتصدى لأرشفة هذه القضايا لأنه جزءٌ من الذاكرة التي تؤرخ انكسارات الهوية المكانية ؛ ولذا حفلت النصوص الشعرية بأسماء المدن التي تعرضت للقلق والاضطراب الوجودي وبشكل كبير .

- استحضار تاريخية المدن العربية التي ذاقت الانكسار القومي في النص الشعري للتعبير عن الواقع المماثل في وقتنا الحاضر ، ورصد خيانة العرب للعراق ولعروبتهم أبرز تمثّلات الهوية القومية .

- اسهم الرمز بأنواعه (الدينية والتاريخية والاسطورية) في رقد مفاهيم الهوية برؤية إيحائية تزيد من تفاعل المتلقي مع دلالات النصوص الشعرية التي تظل مترعة التأويل ؛ لأنها تتأى بنفسها عن الوقوع في فخ المباشرة في محاكاة قضايا الإنسان الهوياتية ، فالنص الشعري اتكئ على الطاقات الإيحائية الرمزية ؛ لأنها هي المعبر الوحيد للوصول الى ضفاف الدلالة اللامحدودة ، ومن ثم فكل قصص وحيثيات هذه الرموز أُعيد خلقها وانتاجها من جديد ؛ لتكون معادلاً موضوعياً للهوية

- النص الشعري حاور إشكالية الهوية في كنف نص آخر بوساطة تقنية التناص ؛ لوجود قواسم مشتركة نفسية ووجدانية ومضامين افكار متقاربة بين النصّين المتناسين ، وهذا لامس هواجس القارئ بوصف القارئ ومنتج النص قد خُلقا من الطينة الثقافية نفسها ، واحداثهما قد خُزنت في ذاكرة واحدة ، وبذا فالتعالق النصي بنوعيه القرآني والشعري زيّن حياة النصوص جمالاً وهي تقدم مكوناتها الهوياتية إلا إن التناص مع الشعر كان قليلاً مقارنة مع نظيره القرآني .

- للنصوص الشعرية شهوة مفرطة في توظيف ما تجدهُ يُثير المتلقي ، فلم تكتف بالتناص والرمز لجذب المتلقي ، بل شاكست المعاني والأفكار الهويةتية عبر فضاء الصورة الشعرية ؛ لتلامس هوية الإنسان ووجوده ، فكانت النصوص الشعرية تبعث إيعازات كنائية واستعارية وتشبيهية تفرض نوعاً من الانتباه للمعنى الذي تناقشه .
- خلو النصوص الشعرية من الهويات الأخرى للمجتمع العراقي مثل الهوية التركمانية والكردية والاييزيدية وغيرها ، فكان تركيز النصوص على الهوية الشيعية والسنية والمسيحية فقط

روافد البحث

روافد البحث

• القرآن الكريم

١_ المجاميع الشعرية :

- أبناء إيننا ، سامي مهدي ، دار أزمنة ، عمان ، ٢٠٠٩
- الأسماء كلها ، حمد الدوخي ، دار ديوان المسار ، بيروت ، ٢٠٠٩.
- الإله تموز ، حمودي عبد ، دار فيثون ميديا ، السويد ، ط١ ، ٢٠٠٦.
- اندلسيات لجرح العراق ، بشرى البستاني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٠.
- أنقذيني مني ، يحيى السماوي ، دار تموز للطباعة والتوزيع ، دمشق ، سوريا ، ط١ ، ٢٠١٤.
- إيقاع القمر الفضي ، قاسم العابدي ، دار سطور ، ط١ ، ٢٠١٥.
- بعيداً عني قريباً منك ، يحيى السماوي ، دار الينابيع ، دمشق ، ط١ ، ٢٠١١.
- البكاء على كتف الوطن ، يحيى السماوي ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٨.
- بياض السواد ، حسن رحيم الخرساني ، دار ومكتبة عدنان ، ط١ ، ٢٠١٣.
- تراتيل اوروك ، قاسم والي ، دار الينابيع ، دمشق ط١ ، ٢٠١٠.
- تلميذ الفراشة ، مهدي حارث الغانمي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٧.
- توابيت عائمة ، عبد اللطيف أطميش ، دار الحكمة ، لندن بريطانيا ، ط١ ، ٢٠٠٩.
- جدارية النهرين ، كاظم الحجاج ، دار تموز ، ط١ ، ٢٠١١.
- جرة أسئلة ، عارف الساعدي ، مكتبة عدنان للطباعة والنشر ، ط١ ، ٢٠١٣ .
- خذ الحكمة من سيدوري ، عبد الرزاق الربيعي ، منشورات بابل ، المركز الثقافي السويسري ، ط١ ، ٢٠٠٦.
- خلجات عند احتضار الافق ، شاكِر التميمي ، دار ابن السكيت ، ط١ ، ٢٠١٥.
- ذكريات نبض ، مدرك الحبيب ، مؤسسة السياح ، ط١ ، ٢٠١٣.
- رسائل الى الموصل ، علي الامارة ، شركة الغدير للطباعة والنشر ، البصرة ، ط١ ، ٢٠١٥ .
- سلام الأسئلة ، زيارة مهدي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ٢٠٠٩.
- سلسلة من ذهب ، درع غزاي الطائي ، دار ضفاف ، ٢٠١٤ ، ٥٩.
- سمراء تحفر في ذاكرتي ، باقر السماوي ، حوض الفرات ، النجف الأشرف ، ط١ ، ٢٠١٣ . م.
- سيد الوحشين ، علي جعفر العلاق ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٦.
- صدى لزمان الغربة ، وليد حسين ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٢.

- صوت بلا صدى ،سعيد جاسم الزبيدي ،دار كنوز المعرفة ،عمان ، ط ١ ، ٢٠١٠.
- الضحك من الأيام الآتية ، عبد الأمير خليل مراد ، دار الفرات الإعلامية ، بابل ، ٢٠٠٩.
- طقوس موت الاشياء ، حسن عبد راضي ، شرق غرب للنشر ، ط ١ ، ٢٠٠٩.
- الطيور ، ألفريد سمعان ، دار الاديب للصحافة والنشر ، عمان، ٢٠١٣.
- ظلي هناك ، وليد حسين ، دار نينوى ،دمشق، سورية ،ط١، ٢٠٠٧.
- عذابات الصوفي الازرق ، حمد الدوخي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١، ٢٠١٢ .
- عرق من جبين الغيم ، محسن العويسي ، دار تموز ، ط ١ ، ٢٠١١.
- على طبق من أنثى ،علي حميد الشويلي ، مكتبة عدنان ، ط١، ٢٠١٢.
- عمره الماء، عارف الساعدي ،منشورات الاجتهاد ، بغداد، العراق، ٢٠٠٩.
- في الطريق الى القلب ،نوفل الحمداني ،دار الشؤون الثقافية ،بغداد ٢٠١٤.
- في بغداد لي قمر ،مهند الحديثي ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ، ط ١ ، ٢٠١٣.
- لا ، مسار رياض ، دار تموز ، دمشق ، ط١، ٢٠١١.
- لآلئ طيفها ألق ، حميد نجم الزبيدي ، دار ميزوبوتاميا ، ط١، ٢٠١٣.
- للدرس فقط ،عمر السراي ، دار الزاوية ، بغداد ، ٢٠١١.
- للوقت نص يحميه ، صادق الطريحي ، منشورات بابل ، ط١، ٢٠٠٩.
- لماذا تأخرت دهرًا ، يحيى السماوي ، دار الينابيع ، دمشق ، سوريا ، ط١، ٢٠١٠.
- الماء يكذب ، بسام صالح مهدي ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٧.
- مدونات هابيل بن هابيل ، سامي مهدي ، دار أزمنة ، عمان ، ٢٠٠٦
- مرايا العمياء ، مجاهد ابو الهيل ، شركة الساقى للإنتاج الفني والثقافي ، ط١، ٢٠٠٥.
- مطر ييكي ،حسن رحيم الخرساني ، دار سطور ، ط ١ ، ٢٠١٤.
- معجز احمد، تنمة معاصر ثنائيات العقل ، محمد الاسدي، دار تموز ،دمشق، ط٢، ٢٠١١.
- مفاتيح لأبواب مرسومة ،حمد محمود الدوخي ،اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،٢٠٠٧.
- المملؤه مهدي حارث الغانمي ،دار المدينة الفاضلة ، ط ١ ، ٢٠١٤.
- منامات مستيقظة ،فليح الركابي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١، ٢٠١٣.
- مواجه باء . عين بشرى حمد البستاني ،عمان ، ٢٠١١.
- مياه النص الأول ، صادق الطريحي ، سلسلة شعر ، بغداد ، ط١، ٢٠١١.
- نسيج الزمن ، شاكر التميمي ، مطبعة البرهان ، بغداد ، ط١، ٢٠٠٧.
- نقوش على جذع نخلة ، يحيى السماوي ، دار التكوين ، دمشق ، ط٢، ٢٠٠٧.
- هم يعرفون ،الفريد سمعان، دار ئاراس للطباعة والنشر ، اربيل، ط١، ٢٠١٠.

- وطن تحت خط الوجد ، جمال الفريج ، دار ضفاف ، بغداد ، ٢٠١٥.
- يحدث دائماً، سامي مهدي ، دار ميزوبوتاميا ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٤

٢_ الكتب

- الأدب والايديولوجيا ، عمار بلحسن ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، د. ط ، الجزائر ١٩٨٤.
- إدوار سعيد المؤثرات الدينية للثقافة ،وليام د.هارت ، تر، قصي انور هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث ، ط١، ٢٠١١.
- أزمة المواطنة في شعر الجواهري ، (دراسة تحليلية في ضوء المنهج التكاملي) ، فرحان اليحيى ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١.
- أزمة الهويات ، كلود دو بار ، تر : رنده بعث ، المكتبة الشرقية ، ط١ ، ٢٠٠٨.
- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، علي عشري ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٧.
- استنطاق الحجر ، دراسة في شعر جواد الحطاب ، ياسين النصير، دار الفراهيدي ، بغداد ، ٢٠١٧.
- إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية) ، ماجدة حمود ، عالم المعرفة ، الكويت ، ٢٠١٣.
- إشكالية المكان في النص الادبي ،ياسين النصير ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ، ط١، ٢٠١١.
- أصول الهوية الحديثة وعللها ، مقاربة شارلز تايلور إنموذجاً ، مصطفى بن تمسك ، دار جداول ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٤ .
- الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر ،مرحلة الرواد، محمد راضي جعفر ،منشورات اتحاد الكتاب العرب
- إنتاج الدلالة الادبية ،قراءه في الشعر والقص والمسرح ،صلاح فضل ، مؤسسة مختار ، ط١، ١٩٨٧.
- الانتماء في الشعر الجاهلي ، فاروق احمد ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٨.
- الإنسان والسلطة ، إشكالية العلاقة واصولها الاشكالية ، حسين الصديق ، اتحاد الكتاب العرب ، ٢٠٠١.

- إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين ، عبد الجبار الرفاعي ، مركز دراسات فلسفة الدين ، بغداد ، ط ٢ ، ٢٠١٣.
- الإيديولوجيا ، محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي ، دار توبقال ، ط ٢ ، ٢٠٠٦ .
- الإيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي ، عمرو عيلان ، منشورات جامعة منتوي _قسنطينة ، ط ١ ، ٢٠٠١.
- الإيديولوجيا وصراع المركز والهامش عند الغربيين ، احمد مداس ، مجلة المخبر ، ابحاث في اللغة والادب الجزائري ، جامعة خضير بسكرة ، الجزائر ، ع ٧ ، ٢٠١١.
- الإيديولوجيا ، عمار علي حسن ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط ١ ، ٢٠٠٧.
- البحث الادبي ، طبيعته ، مناهج ، اصوله ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
- بدر شاكر السياب ، دراسة اسلوبية لشعره ايمان محمد الكيلاني ، دار وائل للنشر ، عمان الاردن ، ط ١ ، ٢٠٠٧.
- البنى الأسلوبية ، دراسة في أنشودة المطر ، حسن ناظم ، المركز الثقافي العربي ، ط ١ ، ٢٠٠٢.
- تأويلات وتقنيات ، فصول في الفكر الغربي المعاصر ، محمد شوقي الزين ، منشورات ضفاف ، ط ١ ، ٢٠١٥.
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، ط ٢ ، ١٩٩٢ .
- التحليل النقدي للأدب ، عناد غزوان ، دار آفاق العربية ، ١٩٨٥ ، ١٩٧٧.
- تحولات مفهوم القومية العربية من المادي الى المتخيل ، هاني عواد ، الشركة العربية للأبحاث و النشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٣.
- التراث والعلمانية ، البنى والمرتكزات ، الخلفيات والمعطيات ، عبد الكريم سروش ، تر: احمد القبانجي ، دار الفكر الجديد النجف ، د.ط ، د.ت.
- الترميز في شعر عبد الوهاب البياتي ، حسن الخاقاني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠١٣.
- تطور الشعر العربي الحديث في العراق (اتجاهات الرؤيا وجماليات النسيج) ، علي عباس علوان ، منشورات وزارة الاعلام سلسلة الكتب الحديثة ، ١٩٧٥.
- التفسير النفسي للأدب ، عز الدين اسماعيل ، مكتبة غريب ، ط ٤ ، (د.ت).
- تفسير شبر ، عبدالله شبر ، منشورات الفجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، ٢٠١٠.
- التفكيرية إرادة الاختلاف وسلطة العقل ، عادل عبدالله ، دار الحصاد ، دمشق ، ط ٢ ، ٢٠٠٠.
- التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر ، عصام حفظ الله ، دار عيدان للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ٢٠١١.

- التناص في الخطاب النقدي والبلاغي ، دراسة نظرية وتطبيقية ، عبدالقادر بقشي ، أفريقيا الشرق ، ٢٠٠٧.
- التناص في الشعر العربي الحديث البرغوثي نموذجاً ، حصة البادي ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٩.
- التناص نظرياً وتطبيقياً ، أحمد الزعبي ، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ط٢ ، ٢٠٠٠ .
- التناص وتداخل النصوص ، المفهوم والمنهج دراسة في شعر المتنبي ، أحمد عدنان حمدي ، دار المأمون للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠١٢.
- جماليات الشعر العربي، دراسة في فلسفة الجمال في وعي الشعر الجاهلي، هلال جهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١ ، ٢٠٠٧.
- جماليات المكان ،اعتدال عثمان ،مجلة الاقلام ،بغداد ، ع ٢ ، ١٩٨٦.
- جماليات المكان ،جماعة من الباحثين ، عيون المقالات ، دار قرطبة ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٨٨.
- جماليات المكان، غاستون باشلار، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢ ، ١٩٨٤.
- جماليات النص الادبي (دراسة البنية والدلالة) ،مسلم حسين ،دار السياب ،ط١ ، ٢٠٠٧.
- جمالية الصورة ، في جدلية العلاقة بين الفن التشكيلي والشعر، كلود عبيد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، ط١ ، ٢٠١٠م.
- حصاد العاصفة ،ثقافة التضاد العراقي بين زمنين، سعيد العبيدي ، سلسلة دراسات ،العراق ،بغداد، ط١ ، ٢٠١١ .
- حفريات النص الشعري ،قراءات في نصوص عراقية معاصرة ،حمد الدوخي وطلابه ، دار ميزوبوتاميا ، بغداد ٢٠١٢ .
- خطاب الهوية ،(سيرة فكرية) ،علي حرب ، منشورات الاختلاف ،ط٢ ، ٢٠٠٨.
- الدراويش والمرابا ، قراءات نقدية في نصوص عراقية معاصرة ، حمد محمود الدوخي ،دارميزوبوتاميا، ٢٠١٣.
- دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ) ، تح، محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ،ط٥ ، ٢٠٠٤.
- دير الملاك دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر ، محسن اطيمش ، دار الرشيد ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٨٢.

- الدين ، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان ،محمد عبدالله دراز ،دار العلم ،الكويت 'ط٥، ٢٠٠٦.
- دين الانسان ،فراس السواح ،،بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني ، دار علاء الدين ،ط٤، ٢٠٠٢.
- الدين والظماً الانطولوجي ،عبد الجبار الرفاعي ،دار التنوير للطباعة والنشر ،بيروت لبنان ،ط٢، ٢٠١٧.
- ديوان ابن الرومي ،شرح احمد حسن بسبح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠٢.
- ديوان علي بن الجهم ، تح ، خليل مردم بيك ، المجمع العلمي العربي ، دمشق ، (د.ت.).
- ديوان عمره الماء للشاعر عارف الساعدي ،مقاربة وهموم ،عباس عبيد الساعدي ،دار الفراهيدي ٢٠١٢،.
- الذات عينها كآخر ، بول ريكو ،تر: جورج زيناتي ،مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٥،.
- رماد الشعر ، دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق ، عبد الكريم راضي جعفر ، مكتبة عدنان ، ط ٢ ٢٠١٤.
- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ،محمد فتوح احمد ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٧.
- الرؤي الفلسفية في الشعر العراقي الحر ،بشير عريعر ، دار المدينة الفاضلة ، ط١، ٢٠١٤ .
- زمن الشعر ، ادونيس ، دار العودة ، بيروت ، ط ٢ ١٩٧٨.
- زمن الشعر ،علي احمد ، أودنيس ،دار الساقى ،بيروت لبنان ، ط ٦، ٢٠٠٥.
- السخرية في ادب المازني ، حامد عبده الهوال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢.
- سمات الشخصية وعلاقتها بأساليب مواجهة ازمة الهوية لدى طلاب المرحلة الثانوية والجامعية ، محمد عبد الرحمن ، دار قباء للطباعة والنشر ، ١٩٩٨.
- سوسيولوجيا الاديان ،جميل حمداوي ،الدار البيضاء ،٢٠١٧.
- سوسيولوجيا العنف والارهاب ،ابراهيم الحيدري ،دار الساقى ، بيروت ،لبنان ، ط١، ٢٠١٥ .
- سوسيولوجيا الهوية ، جدليات الوعي والتفكيك واعادة البناء ،عبد الغني عماد، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ١ ، ٢٠١٧ .
- سياسة جديدة للهوية ،بيكو باريك ،تر: حسن محمد فتحي ،المركز القومي للترجمة ط ١ ٢٠١٣،.
- سيكولوجيا السلطة، بحث في الخصائص المشتركة للسلطة، سالم القمودي ، مكتبة مدبولي ،القاهرة، ط ١ ، ١٩٩٩.

- سيكولوجية الابداع ، عبد العلي الجسماني ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٥.
- الشخصية العراقية (البحث عن الهوية) ، ابراهيم الحيدري ، التنوير ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٣.
- شرح ديوان المتنبي عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، مج ٢ ، ج ٢ ، ٢٠١١.
- شرح ديوان سقط الزند ، ابو العلاء المعري ، تح ، ن رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان ، ١٩٨٧.
- الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى ١٩٥٨ . دراسة نقدية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ٢٠٠٦.
- الشعر فاعلا ارهابيا ، قراءة في خطابات شعرية سألبة ، رحمن غركان ، رند للطباعة والنشر ، دمشق ١٩٩٩.
- الشعر كيف نفهمه، أليزبث درو، تر: محمد إبراهيم الشوش، منشورات مكتبة منيمنة، بيروت، ١٩٦١ م .
- الشعر والتلقي ، دراسات نقدية ، علي جعفر العلاق، دار المشرق ، عمان ، الاردن ، ط ٣ ، ١٩٩٧.
- الشعر والفكر المعاصر ، عبد الكريم غلاب ، منشورات وزارة الاعلام جمهورية العراق ، مطبعة الشعب ، بغداد.
- شعرنا الحديث الى اين ، شكري غالي ، مكتبة الدراسات الادبية ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٦.
- شعريات المتخيل ، اقتراب ظاهراتي ، شركة النشر والتوزيع المدارس ، ط ١ ، ٢٠٠٠.
- شعرية التجريب ، الشعر العراقي الحديث ما بعد مرحلة الريادة ، القصيدة الستينية أنموذجا ، مهند طارق نجم، دار الشؤون الثقافية ، العامة، بغداد، ط ١ ، ٢٠١١.
- الشعرية العربية ، أدونيس ، دار الآداب ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٩.
- صدام الحضارات ، إعادة صنع النظام العالمي ، صاموئيل هنتجتون ، تر طلعت الشايب ، دار سطور ، ط ٢ ، ١٩٩٩.
- الصورة الادبية في القرآن الكريم ، صلاح الدين عبد التواب ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، ط ١ ، ١٩٩٥.
- الصورة الشعرية عند خليل حاوي، هدية جمعة البيطار ، دار الكتب الوطنية ، ابو ظبي ، ط ١ ، ٢٠١٠.
- الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، بشرى موسى صالح ، المركز الثقافي العربي، ط ١ ، ١٩٩٤.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، ط ٢ ، ١٩٩٢.

- الصورة في شعر الرواد ، دراسة في تشاكلات الصورة ، عليا سعدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠١١.
- الصورة في شعر المقالح ، الأبعاد الرمزية والسيكولوجية ، محمد مسعد العودي ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، ط ١ ، ٢٠٠٤.
- ضد الطائفية ، العراق... جدل ما بعد نيسان ٢٠٠٣ رشيد الخيون ، مدارك ٢٠١١.
- الطائفية بين السياسة الدين ، حسين موسى الصفار ، المركز الثقافي العربي ، ط ١ ، ٢٠٠٩.
- الطائفية في العراق ، سعيد السامرائي ، مؤسسة الفجر ، لندن ، ط ١ ، ١٩٩٣.
- العراق التائه بين الطائفية والقومية ، محمود الشناوي ، دار هلا للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١٢.
- العراق الحديث بين الثوابت والمتغيرات ، طه جابر العلواني ، مكتبة شروق ، ٢٠٠٤.
- العراق من صدمة الهوية إلى صحوة الهويات ، علي طاهر الحمود ، مؤسسة مسارات ، بغداد ، ٢٠١٢.
- علم الاجتماع ، انتوني غدنز ، تر ، فائز الصياغ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٥.
- غبار السباع قراءات نقدية في نصوص شعرية ، عبد الرضا علي ، شركة العارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠١١.
- غوايات سيدوري ، قراءات في شعر محمود درويش ، خالد عبد الرؤوف ، دار جليل ، عمان ، ٢٠٠٩.
- غواية التجريب ، دراسة في التجريب الشعري عند جيل السبعينيات في العراق ، مناف جلال ، دار الشؤون الثقافية ، ط ١ ، ٢٠١٢.
- الفكر العربي وسيكولوجيا الفشل ، شوقي جلال ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط ١ (د.ت).
- فلسفة المكان في الشعر العربي ، قراءة موضوعاتية جمالية ، حبيب مونسي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١.
- الفلسفة الهوية والذات ، مارتين هايدجر ، تر: محمد زيان ، منشورات الصفاف ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٥.
- فن الشعر ، احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٩ .
- فن الشعر ، احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، ط ٣ ، (د.ت)
- في الشعر والفن والجمال ، رضوان الشهبال ، دار الأحد ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٦١.
- في القول الشعري ، يمنى العيد ، دار توبقال للنشر ، ط ١ ، ١٩٨٧ م.
- في بنية الشعر المعاصر ، محمد لطفي اليوسفي ، دار سرائش للنشر ، تونس ، ط ١ ، ١٩٨٥.

- في جماليات شعر الحداثة ، عبد الناصر هلال ، دار الحرم للتراث ، (د. ط) ، ٢٠٠٦.
- في رحاب الكلمة ، دراسات ادبية ونقدية ، مهدي شاكر العبيدي . مطبعة النعمان . النجف الاشرف ، ١٩٧٢.
- في معرفة النص ، دراسات في النقد الادبي ، يمنى العيد وحكمت صباغ الخطيب ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٥.
- القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة ، عبدالله الغدامي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠٩ م .
- قراءات اسلوبية في الشعر الجاهلي ، موسى ربابه ، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ط ١ ، ٢٠١٠.
- قراءات في الشعر العربي الحديث المعاصر ، خليل الموسى ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٠ .
- القراءة وتوليد الدلالة ، تغير عاداتنا في قراءة النص الادبي ، حميد لحميداني ، المركز الثقافي العربي ، ط ٢ ، ٢٠٠٧.
- كتاب الحروف ، الفارابي ، دار المشرق ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٠.
- كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ١٧٠ هـ ، تح : عبد الحميد هندائي ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٣.
- الكتابة على جدار اخضر ، جاسم حسين السلطاني ، دار ميزوبوتاميا ، بغداد ط ١ ، ٢٠١٣.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء الكفوي ، ١٠٩٤ هـ ، تح ، عدنان درويش و محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٩٨ م.
- لسان العرب ، ابن منظور ، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري (٧١١ هـ) ، دار صادر ، بيروت (د.ت).
- لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري ، احمد مداس ، عالم الكتب الحديث اريد ، عمان ط ٢ ، ٢٠٠٩.
- اللغة والهوية ، قومية أثنية دينية ، جون جوزيف ، تر عبدالنور خرافي ، المجلس الوطني للثقافة الآداب ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ٢٠٠٧ ، ٧.
- الماركسية والمسألة القومية ، جورج طرابيشي ، دار الآداب ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٩.
- المثقف والسلطة ، ادور سعيد ، تر : محمد غالب ، دار رؤية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦.
- مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، محمد عمارة ، دار نهضة مصر ، ط ١ ، ١٩٩٩ ، ٦.
- مختار الصحاح ، الرازي ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ١٩٨١ .
- مدارات الحداثة ، محمد سبيلا ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٩.

- مدارات الحداثة محمد سبيلا ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٩.
- المدينة في الشعر العراقي الحديث ، عبدالله حبيب كاظم التميمي ، دار الراي ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠١٠.
- مرابا نرسييس (الانماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديث)، حاتم الصكر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط ١ ، ١٩٩٩.
- المسألة الطائفية ،تعدد الهويات في الدولة الواحدة ،كاظم شبيب ،دار التنوير بيروت، لبنان، ط ١ ، ٢٠١١.
- مسألة الهوية العروبة والإسلام والغرب ، محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٧.
- مسؤولية المثقف ،علي شريعتي ،تر :ابراهيم الدوسقي ، دار الامير بيروت ،لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٥.
- معجم التعريفات ، الجرجاني ، تح محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيحة ، القاهرة ، ٢٠٠٤.
- المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٢.
- معجم المصطلحات السياسية ، عبد الوهاب الكيالي ، المركز القومي للترجمة ، ط ١ ، ٢٠١١ .
- مفهوم الايديولوجيا ، عبدالله العروي ،الدار البيضاء ،بيروت ،المركز الثقافي العربي ، ط ٥ ، ١٩٩٣.
- من نحن التحديات التي تواجه الهوية الامريكية ، صاموئيل هنتغتون ، تر: حسام الدين خضور ، دار الراي ، دمشق ، ٢٠٠٥.
- المنجد في اللغة والاعلام ، لويس معلوف ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان، ط ١ ، ١٩٧٣.
- منطق النخل ، استدعاءات قرائية في الشعر العراقي الحديث ،علي حداد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ، ٢٠٠٨.
- موسوعة الفلسفة ، عبدالرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١ ، ١٩٨٤.
- موسيقى الحوت الأزرق ،(الهوية الكتابة العنف) أودنيس ، دار الآداب ،بيروت ، ٢٠١٢.
- نحن والآخر دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر ، محمد راتب الحلاق ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٧ .
- النص الغائب ، تجليات التناص في الشعر العربي ، محمد عزام ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١.
- النص والممانعة، مقاربات نقدية في الادب والابداع، محمد راتب الحلاق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩.
- النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ط، ١٩٩٧م.

- نقد الحداثة ، الآن تورين ، تر: انور مغيث ، المجلس الاعلى للثقافة ، ١٩٩٧.
- النقد الروائي والايديولوجي ، من سوسيولوجيا الرواية الى سوسيولوجيا النص الروائي ، حميد لحداني ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٠.
- نقد الشعر العربي الحديث ، عباس توفيق ، دار الرسالة للطباعة وزارة الثقافة والفنون ، د٠ت.
- نقد الشعر العربي الحديث في العراق ، عباس توفيق ، دار الرسالة للطباعة ، وزارة الثقافة والفنون ، د٠ت.
- نقد النص ، علي حرب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ٢٠٠٨.
- هايدجر ضد هيجل (التراث والاختلاف) عبد السلام بن عبد العالي ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٦.
- الهويات القاتلة (قراءات في الانتماء والعولمة) ، امين معلوف ، تر: نبيل محسن ، ورد للطباعة والنشر ، دمشق ط١ ، ١٩٩٩ .
- الهوية ، حسن حنفي ، المجلس الاعلى للثقافة ، ط١ ، ٢٠١٢ ، ٩.
- الهوية ، أليكس مكشيللي ، تر: علي وطفة ، دار الوسيم ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٣.
- الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع (دراسة في الفكر المعاصر) ، عهد كمال شلفين ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، ٢٠١٥.
- الهوية والحرية ، نحو انوار جديدة ، فتحي الميسكيني ، جداول للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١١ ، ١٤.
- الهوية والزمان (تأويلات فينومينولوجية لمسألة النحن) ، فتحي الميسكيني ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١ ، ١٤.
- الهوية والسرد ، حاتم الورفلي ، دار التنوير ، ٢٠٠٩.
- الهوية والشعر ، في تجربة ألفريد سمعان ، عمر السراي ، دار بغداد ، ط١ ، ٢٠١٦.
- الهوية والعنف امارتيا صن ، تر: سحر توفيق ، سلسلة عالم المعرفة ، ٢٠٠٨.
- الهوية والمواطنة ، البدائل الملتبسة والحداثة المتعثرة ، عبد الحسين شعبان ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، ٢٠١٧.
- الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر ، أحمد بعلبكي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، ٢٠١٣.
- الوطن في شعر السياب ، كريم مهدي المسعودي ، دار صفحات للدراسات والنشر ، سوريا ، ط١ ، ٢٠١١.
- الوعي الشعري ومسار حركة المجتمعات العربية ، مبارك محمد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠٤.

- يقظة الهوية العراقية ،سليم مطر ، ميزوبوتاميا ،ط١، ٢٠١٠ .

٣_ الدوريات

- الأدب و الايديولوجي ،كمال ابو ديب ، مجلة فصول ،ع٤، ١٩٨٥ ، ٢١٧.
- أزمة الهوية واشكالات بناء الذات الحضارية، برهان غليون ،مجلة مواقف، بيروت، ع٦٦ ، ١٩٩٢.
- إشكالية الهوية في العراق (رؤية في التحديات ومستقبل بناء هوية وطنية عراقية بعد العام ٢٠٠٣ (، عبير سهام مهدي ، عمار حميد ياسين ، المجلة السياسية والدولية ، العدد ٢٨-٢٩ ، العراق ، ٢٠١٥ .
- الإيديولوجيا /الخطاب / النص، نحو مقارنة مفاهيمية ، عموري السعيد ، مجلة الأثر ، جامعة الرحمن ميرة بجاية الجزائر ، ع١٨، ٢٠١٣.
- ايديولوجية الخطاب السردي ، قراءة نقدية في قصص (قلعة الحاج سهراب) لهشام الركابي ، خالد علي ، مجلة ديالى ، ع٧٢، ٢٠١٦.
- بلاغة الاستفهام في شعر علي جعفر العلق ، محمد جواد علي ، مجلة آداب الفراهيدي ، كلية الآداب ، جامعة تكريت ، مج٦١، ع١٦، ٢٠١٣.
- بنية الصورة الفنية في النص الشعري الحديث (الحر) نازك الملائكة أنموذجا ، رائد وليد جرادات ، مجلة جامعة دمشق ، ٢٠١٣.
- تجليات الرمز في الشعر الليبي المعاصر ، علي عياد المجلة الليبية العالمية ،جامعة بن غازي كلية التربية، ع٢، ، ٢٠١٥.
- دراسة في بلاغة التناص الأدبي (الليث والخراف المعضومة) ، شجاع العاني، مجلة المواقف الثقافية ، بغداد، ع١٧، ١٩٩٨.
- الدولة والمواطنة: نحو مفهوم مركب للهوية الوطنية العراقية ، ظاهر محسن هاني ، نعيم حسين كزار ، مجلة جامعة بابل - العلوم الإنسانية ، مج٢٤، ع١، ٢٠١٦.
- الرموز التاريخية والدينية والاسطورية في شعر محمود درويش ، محمد فؤاد السلطان ،مجلة جامعة الاقصى (سلسلة العلوم الانسانية)، مج ١٤، ع١، ٢٠١٠.
- الزمن ومصادر الهوية ، بحث في اجتماعية الذاكرة وعلاقتها بتمزيق الهوية العراقية ، حاتم راشد علي ، جامعة القادسية -مجلة كلية الآداب.
- الطالب المراهق وأزمة الهوية ، دعد الشيخ ، مجلة إتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس ، مج٤، ع٢، ٢٠٠٦.
- عراق الهوية النسقية ،اسماعيل نوري الربيعي ومجلة الكوفة ، ع٤، ٢٠١٣.

- العلمانية ، ماهيتها، تعريفها ،مقاصدها ،كريم عبد الرحمن، مجلة الاستغراب ، ع ٢ ، ٢٠١٦.
- العنف السياسي في العراق ،طالب حسين حافظ ، مركز الدراسات الدولية ، جامعة بغداد .
- قصيدة المكان والمكان القصيدة ، بوشوشة بن جمعة ، مجلة علامات ، مج ١٨ ، ع ٧٠ ، جدة، ٢٠٠٩.
- مدارات المنفتح والمنغلق في التشكيلات الدلالية والتاريخية لمفهوم الهوية ، اراق سعيد، مجلة عالم الفكر ،مج ٣٦ ، ع ٤ ، ٢٠٠٨ ، ٢١٥.
- المكان والمصطلحات المقاربة له ، دراسة مفهوماتية ، غيداء احمد ، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية ،مج ١١ ، ع ٢٤.

٤_ الرسائل والأطاريح

- الاداء البياني في شعر الشيخ احمد الوائلي ، كاظم عبدالله عنوز ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٥ .
- استراتيجية التناص في تحليل الخطاب الشعري في النقد العربي القديم من خلال كتاب الذخيرة لابن بسام ، دراسة في الآليات والمستويات ، أكرم بن سلامة ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب واللغات ، جامعة قسنطينة ، الجزائر، ٢٠١٣.
- إشكالية الهوية العربية في الرواية (٢٠١٣-٢٠٠١)، اطروحة دكتوراه ، محمد جري جاسم ،كلية الآداب ،الجامعة المستنصرية ،العراق ،٢٠١٥.
- التناص الديني والتأريخي في شعر محمود درويش، أبتسام موسى عبدالكريم، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، ٢٠٠٧.
- التناص في شعر علي بن الجهم ، عواد صياح ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة آل البيت ، ٢٠١٢.
- الذاكرة نصّاً في الشعر العراقي الحديث ، التجربة الشعرية عند الرواد ، فاتن عبد الجبار أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد كلية التربية للبنات ، ٢٠٠٦ .
- رثاء الإمام الحسين(ع) في الشعر العراقي الحديث ١٩٤٢-٢٠١٠م، دراسة أسلوبية، ياسمين رحيم ماهود، (رسالة ما جستير)، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠١٥م.
- الرفض في الشعر العراقي الحديث ،عمار سلمان عبيد ،أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة الكوفة، ٢٠١٠.

- الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث في ضوء تأثير النقد الانجليزي (مفهومها ومناهج دراستها) ، حيد محمود غيلان ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٣ .
- صورة المكان الفنية في شعر احمد السقاف ، بدر نايف الرشيد ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم ، جامعة الشرق الاوسط ، ٢٠١٢ .
- المعذب في الشعر العراقي الحديث ١٩٥٨_٢٠٠٠ ، لؤي شهاب محمود ، اطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد ، ٢٠٠٥ .
- المكان في شعر محمود درويش ، حسن غانم ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠١١ .
- المكان في الشعر العراقي الحديث ١٩٦٨_١٩٨٠ ، سعود احمد ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٦ .
- المكان في شعر ابن زيدون ، ساهرة عليوي حسين ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠٠٨ .
- المكان في شعر بدر شاكر السياب ، فائق محمد فارح ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة آل البيت ، ٢٠١٠ .
- المكان وتحولات الهوية عند محمود دويش ، ليانة عبد الرحيم ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا ، جامعة بيزيت فلسطين ٢٠١٢ .
- الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي ، سعيدة بن بوزة ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الحاج لخضر - باتنة / كلية الآداب والعلوم الانسانية ، الجزائر ، ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ .
- جماليات النص الشعري في شعر يحيى السماوي (شعر التفعيلة أنموذجاً) علي كتيب دخن ، رسالة ماجستير ، جامعة المثنى / كلية التربية ، ٢٠١٣ .

الشبكة العالمية للإنترنت :

- mawdoo.com مصطلحات ومعاني .شبكة الانترنت
- العنف المقدس في الاسس الثقافية لعنف الجماعات التكفيرية ، عقيل سعيد ، مؤمنون بلا حدود ٢٠١٧ .
- www.mominoun.com
- الدين والهوية بين ضيق الانتماء وسعة الابداع ، الحاج دواق ، مؤمنون بلا حدود ، ٢٠١٦ .
- www.mominoun.com

الدين والهوية بين ضيق الانتماء وسعة الابداع، الجاح دراق ، مجلة مؤمنون بلا حدود للدراسات
والابحاث، سلسلة ملفات بحثية ، ٢٠١٦ ، ١٣.

www.momino

un.com

الهوية الوطنية والجهوية ،عباس الجراري ،الموقع

www.abbesjirari.com

مشكلة المكان في فلسفة ابن شد ، عبد العزيز لعمول ، مجلة فكر fikrwanakd-aljabriabed.net
ونقد ، ع١٣ ، موقع فكر ونقد الجابري

**Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Muthanna / Faculty of Education for
Human Sciences
the department of Arabic language**



Confrontation of Identities in Contemporary Iraqi Poetry The Choice (٢٠٠٣ – ٢٠١٥)

A letter from the student

Ahmed Jamil Abdel-Safrani

To the Council of the Faculty of Education for Human Sciences –
Muthanna University

It is part of the requirements for obtaining a master's degree in
Arabic language and literature

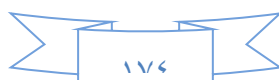
Supervised by

Prof. Dr

Mohamed Falih al – Jubouri

١٤٣٩ A.H

٢٠١٨ A.C



The celebration of creative writing, which chronicles the pain of man and its fractions, tempts the study to follow this writing in criticism and analysis as possessing a great ability to emulate human life and to identify with it. This celebration came to capture what man's life is full of manifestations. Perhaps the most dangerous subject that touches the human existence Taking the poetry of space for its emergence; the possibility of this gender to contain the issues of the fateful state of man, awareness of the problem of identity has become a prominent phenomenon in the poetic horizon of Iraq.

Therefore, what is interesting to the reader is the reasons for choosing (the conflict of identities in contemporary Iraqi poetry chosen by the ٢٠٠٣-٢٠١٥) title of this study, these reasons in fact multiple, but lean on two questions will be raised: Was not the identity address? Was not the textual? The answer stems from the modernity of the field of identity in literary studies in general and its scarcity in the poetic arena, which allows this study to be at the forefront of the studies that took the title as a description of our study in addition to two studies we will mention, as well as the need to discuss the dialogue of identities leading to the conflict and fighting we live As a result of the rise of marginal identities in Iraqi society, this society, which made the identity of the newly created daily in his life, because it is the most dangerous threat to the existence of Iraqi people in our time, the study of the study was a poetic ability to seize the concepts of identity and explore the depths of humanity The difference and the importance of this transformation in the history of Iraq, and the importance of this period of time, where the liberation from authoritarian constraints and falling into the trap of the constraints of identity struggle is the one who leads this stage .

The study adopted a mechanism for selecting poetic texts to avoid falling into the glamor of fame for some of the poets. This mechanism deals with the specificity of the chosen poetic text, provided that the salient feature is the manifestation of the concepts of identity and its problems, that is, the poetic text imposes itself on study and there are no other influences. That these texts have been identified in the totals poetry and the printed documents within the history of the study only.

As for the previous academic studies, I did not find anything other than the study of the researcher Omar Saray, a master thesis discussed at Mustansiriya University / Faculty of Education entitled "Identity and Poetry Study in the Experiment of Alfred Simon" The novel horizon was presented to the researcher Ghosun Aziz Nasser entitled "Identity in the novels



of Ali Badr after ٢٠٠٣, a study in the light of cultural criticism), which is a thesis Ph.D. , The study of the researcher, Emad Jassim, a master's thesis entitled "Representing the sub-identities in the Iraqi novel ٢٠٠٣_٢٠١٤, the Christian identity model", Iraqi University / Faculty of Arts, and Shaima Jabbar Ali. (٢٠٠١٢٠١٣), PhD thesis, researcher Mohammed Jari Jassim, Faculty of Arts, University of Mustansiriya.

The obstacles are many and perhaps the most important is the difficulty of getting the totals poetry because they quickly run out of libraries or distribute gifts, but I can not ignore the sense of intensity of divine reconciliation to complete the work, this compromise made me to mention the rest of the obstacles and problems,

The nature of the subject ensured the establishment of the research on the introduction and three chapters followed by the most important results, means the introduction to monitor the concept of identity in the language and terminology, and then addressed the two types of identity and access to the identity approach in other fields of knowledge, as we tried to clarify the philosophical concept of psychological, social and cultural identity, The first chapters were entitled "The Representations of Major Identities in the Poetry of the Iraqi Revival". In turn, it is divided into three sections: national identity, religious identity, national identity. The second chapter, entitled "The Representations of Marginal Identities in Iraqi Poetry", included three topics: sectarian identity, identity, identity, and identity. Spatial and ideological identity; to identify the representations of these identities, as the sublimation of the sectarian identity led to the bleeding of life and the view of life with a vision of a radiant ideology away from the darkness of false religiosity ensures the demonstration of ideological identity, and rooting and spatial affiliation in consciousness and unconscious in the face This is the most important dialogue of the poetic texts in this chapter. Then comes the third chapter entitled "The aesthetics of artistic performance" to examine the effect of aesthetics on presenting the concepts of identity to the reader; describing the text and its producer and reader breathing from the same cultural environment. Namely, the symbol, identity, image, identity, identity and identity. In this chapter, we did not address the study of rhythm, because it has less impact on the recipient compared to the three mabahith that we studied.

The tools of the inductive method did not prevent the study from benefiting from other curricula that are in harmony with the nature of the subject. This is a recent study that relies on cultural criticism because it employs what it sees in the analysis of the studied text.

Before the conclusion of the

